g



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ـ وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠١٦ - ٢١٦٢

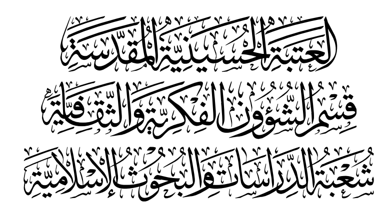
مصدر الفهرسة:	IQ-KaPLI ara
رقم تصنيف LC:	BP 22.9.S2 2016
المؤلف الشخصي:	الصفراني، رياض رحيم حسين
العنوان:	الافتراءات على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم
بيان المسؤولية:	تأليف رياض رحيم حسين الصفراني؛ تقديم محمد علي الحلو.
بيانات الطبعة:	الطبعة الأولى
بيانات النشر:	كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة – قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية ١٤٣٨هـ= ٢٠١٧م
الوصف المادي:	[٢٧١] صفحة
سلسلة النشر:	قسم الشؤون الفكرية والثقافية. شعبة الدراسات والبحوث الاسلامية (٢٠٢)
تبصرة عامة:	اصل الكتاب اطروحة قدمت لنيل درجة دكتوراه فلسفة في التاريخ الاسلامي
تبصرة ببليوغرافية:	يتضمن هوامش، لائحة المصادر: (الصفحات ٢٣٩ – ٢٦٢)
موضوع شخصي:	محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، نبي الإسلام، ٥٣ قبل الهجرة – ١١ هجرياً – دفع مطاعن
مصطلح موضوعي:	السيرة النبوية – شبهات وردود
مصطلح موضوعي:	احاديث اهل السنة – شبهات وردود
مؤلف اضافي:	الحلو، محمد علي، ١٩٥٧ - ، مقدم

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة



تأليف

رياض رحيم حسين الصفراني



طُبِعَ برعاية

العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

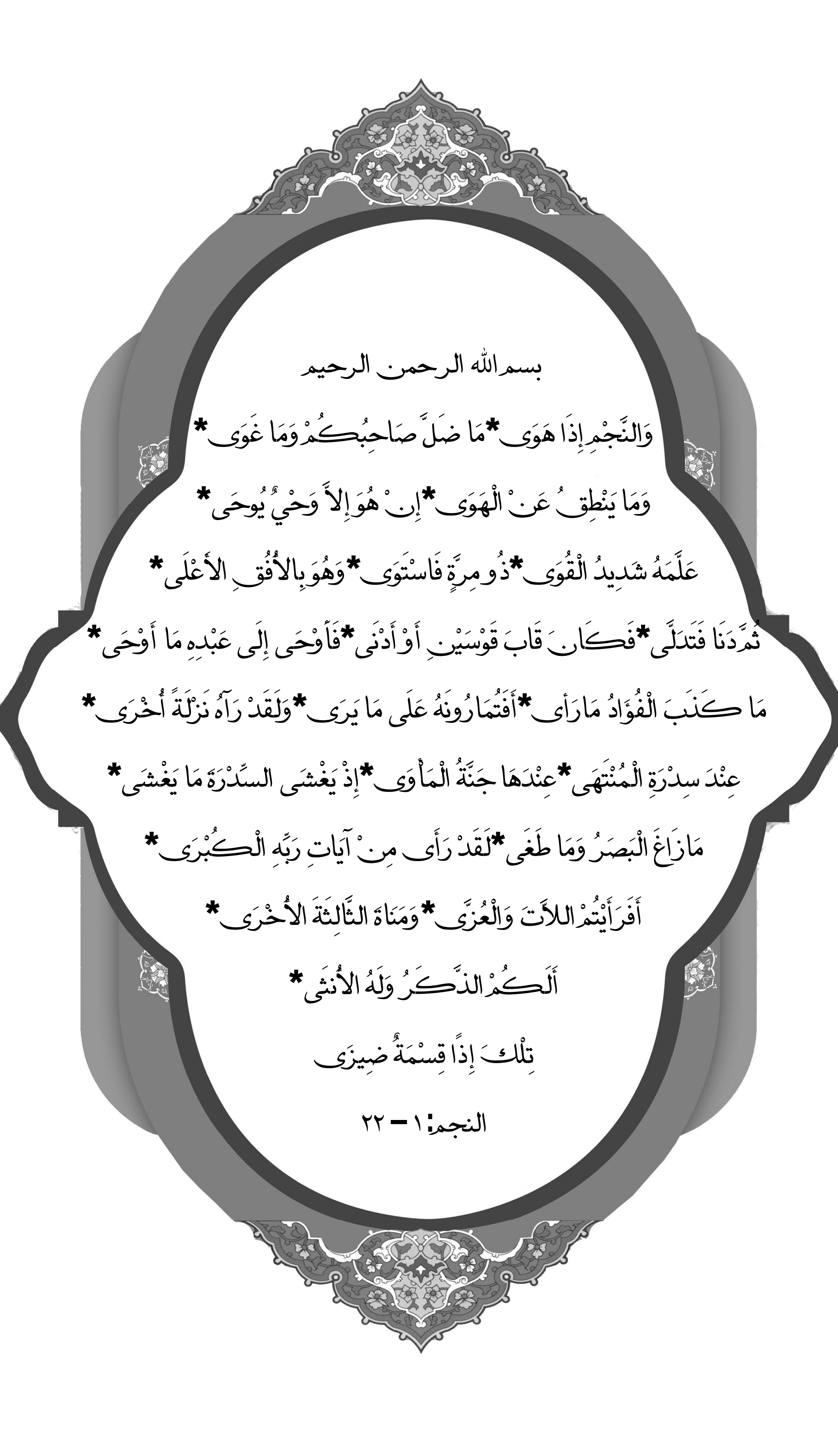


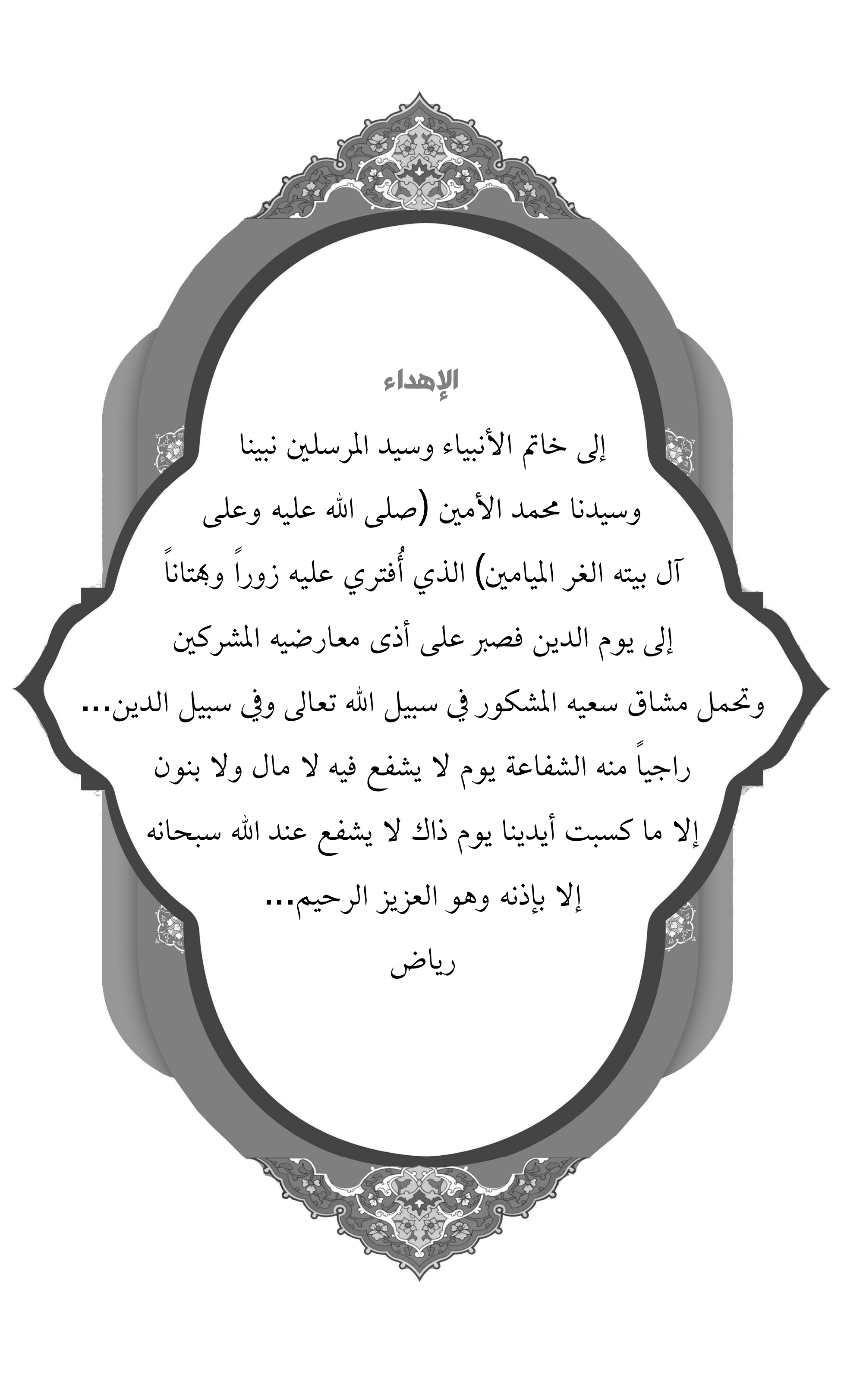
العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: ٣٢٦٤٩٩

www.imamhussain-lib.com

E-mail: info@imamhussain-lib.com


بسم الله الرحمن الرحيم
وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى *مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى *
وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى *إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى *
عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى *ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى *وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى *
ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى *فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى *فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى *
مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى *أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى *وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى *
عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى *عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى *إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى *
مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى *لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى *
أَفَرَأَيْتُمْ اللاَّتَ وَالْعُزَّى *وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى *
أَلَكُمْ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى *
تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى
النجم: ١ – ٢٢



الإهداء

إلى خاتم الأنبياء وسيد المرسلين نبينا

وسيدنا محمد الأمين (صلى الله عليه وعلى

آل بيته الغر الميامين) الذي أُفتري عليه زوراً وبهتاناً

إلى يوم الدين فصبر على أذى معارضيه المشركين

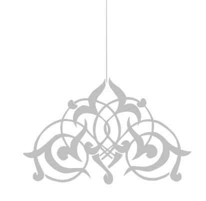
وتحمل مشاق سعيه المشكور في سبيل الله تعالى وفي سبيل الدين...

راجياً منه الشفاعة يوم لا يشفع فيه لا مال ولا بنون

إلا ما كسبت أيدينا يوم ذاك لا يشفع عند الله سبحانه

إلا بإذنه وهو العزيز الرحيم...

رياض



مقدمة اللجنة العلمية

بدأت حملة المواجهة ضد النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قبل مشركي قريش إبّان دعوته صلى الله عليه وآله وسلم، إذ لم يجد هؤلاء بُداً من إيقاف الرسالة التي زحفت على عقائدهم واستأصلت شأفتهم، وأثبتتهم في حالة من الانكسار والانهزام التي لم يتوقعوا حدوثها وهم في غمرة التحدي لجهود النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن هنا فقد وجدت قريش نفسها مضطرة للوقوف أمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حرب دعائية تستمد من خلالها العون والمدد الذي فقدته في جولاتها العسكرية، فعمدت إلى إشاعة الطعن في شخصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم والافتراء عليه فوصفته بالساحر والكذاب - وحاشاه - صلى الله عليه وآله وسلم وقد برّأه الله من ذلك بقوله تعالى: { وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ } ص: ٤. وحاربوه كأشد ما تكون الحرب ضد نبيٍ مرسل أبطل أحدوثتهم وأظهر أكذوبتهم، وتعدت مرحلة العداء القرشي بالنصر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتثبيت أقدام المؤمنين معه وخسر هنالك

المبطلون. إلاّ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم واجه لوناً آخر من الحرب الإعلامية التي شُنت ضده صلى الله عليه وآله وسلم وهي تشويه الحقائق وبث الأباطيل خصوصاً بعد رحيله الأقدس إذ أمتلأت بعض مدونات الحديث النبوي بموضوعات سعت إلى إيجادها دوائر الأنظمة المتسلطة يوم كان معاوية بن أبي سفيان يعلنها حرباً ضد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته، فقد بدأ بأولى خطواته بُعيدَ الهدنة التي عقدها مع الإمام الحسن عليه السلام إلى وضع استراتيجية فكرية لترويج الحديث الموضوع وذلك من خلال أمور:

أولاً: الإرسال على ثلاثي الواضعين، أبي هريرة، كعب الأحبار وذي قربات وهو يهودي كما أكده رجاليو أهل السنة أمثال ابن حجر العسقلاني في الإصابة في تمييز الصحابة وغيره، وقد كلفه معاوية بوضع أحاديث مختلقة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي فضائل الثلاثة بما يقابل فضائل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

ثانياً: إخفاء فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ودرسها، ومعاقبة من يحدّث بها، وقطع العطاء عنه ومسحُ اسمه من الديوان.

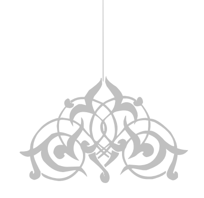
ثالثاً: نشر أكاذيب في فضائل الثلاثة ودفع رشاوى للمحدثين ووعاظ السلاطين الذين يسيرون في ركابه.

ولم تنتهِ هذه المأساة بل استمرت إلى أحاديث تتهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تعاليمه مع الأحكام، وتطعنُ في شخصه الكريم حتى روجت لها دوائر الحديث السلطوي التي باتت تترصد الأحاديث الموضوعة وتُشيع روايتها وتشجع رواتها في ذلك وأغربها بل وأشدها روايات سهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم

وأحاديث أكل الحرام وما ذبح على النصب، وروايات الرقص والغناء وغيرها مما تنافي مع شأنه صلى الله عليه وآله وسلم، فضلاً عن عصمته الإلهية، وقد وجدت دوائر الإعلام الغربي غايتها في هذا الشأن حيث أخذت هذه الروايات المنبثة في صحاح البخاري ومسلم وابن ماجه والترمذي والنسائي وغيرها من صحاح أهل السنة لتجعلها أحد مصادر الإساءة للنبي الأقدس والطعن به وبرسالته الغراء واحتجت بأنها تأخذ من مصادر إسلامية وصحاح اعتمد عليها المسلمون وهذه هي المأساة الكبرى التي باتت تعيش في يوميات المسلمين ويتعاطونها في كل حين، ولابد من التصدي إلى مثل هذه المحاولات الرعناء والتوجهات الحمقاء بإيقاف مدها السعور، وقد تصدى أحد الباحثين الناهين في هذا المجال ليؤلف بحثه الموسوم الافتراءات على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو الأستاذ رياض رحيم الصفراني الذي أغنى بحثه بشواهد قيمة وتحليلات راقية يستحق عليها التقدير والدعاء يحالفه التوفيق مرة أخرى في بحث جديد يميط اللثام على شبهات ابتدعها أعداء الله ورسوله وأهل بيته الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين.

عن اللجنة العلمية

السيد محمد علي الحلو



المقدمة

إن الدراسة الموسومة (الافتراءات على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم) هي دراسة نقدية للروايات وقد جاءت للرد على منهج مخطط له قديماً وحديثاً وهو الإساءة لمقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم من بعض المغرضين الغربيين ومن سار على نهجهم عن طريق رسم سياسة للافتراء كان آخرها عرض أفلام تاريخية على شبكة المعلومات الدولية (الأنترنت).

والمتمعن في مصادر تلك الإساءات يلحظ أنها مُسندة إلى نوعين من المصادر بصورة أساسية الأولى هي إساءة تفسير بعض آيات القرآن الكريم محاولين قولبة نصوصه وتحريفها بما يخالف الحقيقة والواقع.

أمّا المصدر الثاني فهي المصادر الإسلامية، سيما مصادر السيرة النبوية وكتب الحديث عموماً وما اصطلح على تسميتها بالصحاح تحديداً، فقد استخدمت تلك الروايات والأحاديث الواردة فيها بغير تأويلٍ أو تحريفٍ لسبب بسيط جداً وهو أن بعضها كان يطعن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم تارة بصورة مباشرة وأخرى بشكل معنوي غير مباشر، فمن تعمد الإساءة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من الغربيين لم يجهد نفسه ليحرف تلك النصوص بل كانت جاهزة ومقولبة بما يخدم غرض المفترين، هذا من جهة.

ومن أخرى إذا كان الأمر كذلك فلا ينبغي للمسلمين أن يوجهوا الطعن للمستشرقين أو الغربيين عموماً لسبب منطقي هو أنّ الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، فالافتراءات التي استخدمت للطعن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم هي موجهة بالأساس للإسلام، وحري بنا أن نوجه النقد لما ورد في مصادرنا من روايات اختلط فيه الغث والسمين، فمنها انطلق الافتراء قديماً لرواسب قبلية أو سياسية أو مذهبية، ومنها أيضاً انطلق الافتراء حديثاً من قبل أعداء المسلمين من يهود أو نصارى فألزمونا بما ألزمنا به أنفسنا.

إنّ الدراسة دعوة للرد على بعض الروايات الزائفة والمحرفة سواء أكان الافتراء مقصوداً أم من جهلة القوم الذين لم تغربل رواياتهم، فملأت الآفاق وأصبحت تلك الترهات حقائق مسلَّماً بها، ومن هنا جاءت فكرة البحث هذه لرد الافتراءات عن مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مع الإشارة إلى أنّه لم يتم دراسة آراء المستشرقين لأن هناك دراسة عنيت بهذا الموضوع [١]، وبغية عدم التكرار أولاً ولاختلاف نطاق هذه الدراسة عن مرمى الهدف المنشود آنفاً ثانياً والوصول إلى منابع تلك الافتراءات التي نهل من معينها أولئك المغرضون ثالثاً.

الجدير بالذكر أنّ موضوع الافتراء واسع جداً ولكن مالا يدرك كله لا يترك كله، وعليه لم ينحصر في جانب معين بل أخذ جوانب متعددة ومختلفة منها الجانب القبلي وهو ما تمثل بصراع المشركين من قريش سيما الأمويين منهم، والجانب السياسي وهو الصراع على مؤسسة الخلافة، ذلك المنصب الدنيوي الذي جر معه الويلات على المسلمين وامتدت آثاره ورواسبه إلى الحاضر، والجانب الديني أو

---

١) العليلي: الوحي والنبوة في رؤية وليم ميور.

المذهبي سواء تمثل ذلك بصراع اليهود مع المسلمين بعد البعثة النبوية وما تلاها أو الصراع المذهبي بين المسلمين أنفسهم بغية إثبات أحقية صحة كل مذهب فجاء ذلك كله على حساب نصوص التشريع من القرآن والسُّنة ليتم تأويلهما حسب فهم كل طائفة فكرست بذلك سلطة النص، فضلاً عن نص السلطة، وهذا ما انعكس سلباً على سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والافتراء عليه لخلق مشروعية لتلك الأهداف.

وعليه تعددت الافتراءات وتشعبت مضامينها إذ كان من الصعوبة بمكان حصرها في جانب معين أو حسب ترتيب زمني أو موضوعي واحد، فكان لزاماً على الباحث أن يجمع بين الاثنين لمراعاة التسلسل التأريخي للأحداث مع عدم إغفال الجانب الموضوعي في الدراسة خشية الخروج عن القصد.

فجاءت هذه الدراسة بأربعة فصول سبقتها مقدمة وتلتها خاتمة، مع الإشارة إلى أنها لم تتطرق إلى الافتراء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الجانب الاجتماعي لوجود دراسة تطرقت إلى ذلك[١] وبحوث بهذا الصدد سيما أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم والروايات الموضوعة في ذلك، وكذلك الشبهات التي أُختلقت في ولادته[٢] ومن الافتراءات ما هو فقهي، إذ نسب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم صيامه يوم عاشوراء تيمناً باليهود، فتصدى لها الباحث نفسه وأظهر بطلانها[٣]، وافتراءات أُخرى تتعلق بعدم عصمة النبي صلى الله عليه وآله

١) الحسيناوي: صورة السيرة النبوية في صحيح البخاري دراسة تحليلية تاريخية.

٢) المحمداوي: دراسات في أزواج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، الافتراءات في ولادة سيد الكائنات.

٣) صيام يوم عاشوراء، دراسة تاريخية فقهية.

وسلم منها ما طعن في صلاته وأنّه توضأ بالنبيذ ولبسه المزركش وأنّه غير عارف بالأحكام الشرعية، وأمور تتعلق بمعاشرته إحدى زوجاته وتقبيلها بصورة علنية وأمور أخرى يعجز اللسان عن ذكرها، منها جماع إحدى زوجاته وهي حائض وغيرها[١] وكذلك رد الباحث نفسه شبهة ما اصطلح على تسميته صحيفة المدينة[٢] وكذلك الحديث المنسوب إليه مثالاً عن الزهراء عليها السلام لو أنّها سرقت لقطع يدها، وتم رد هذا الافتراء[٣] كما تناول الباحث كثيراً من الشبهات في بحوث منشورة وغير منشورة[٤].

تجدر الإشارة إلى أنّ دراسة سلسلة السند إنما وضعت لتقييم رواة الأحاديث النبوية، إلا أن ذلك لا يمثل الوصول إلى أقرب الحقائق وإنما جزءاً نسبياً منها، وذلك للاختلاف بين علماء الجرح والتعديل في تجريح شخصٍ أو تعديله من عالمٍ إلى آخر، فضلاً عن ذلك قد يدخل في جوانبه بعض الميول الشخصية أو القبلية أو المذهبية، عليه لم يكن معيار الجرح والتعديل (وإن اعتمدنا عليه بسبب متطلبات البحث) المعيار الأساسي في تقييم الرواية ومن ثَمّ قبولها أو رفضها، بل كان الاعتماد في ذلك فضلاً عما سبق، على السُّنة المحمدية بعد عرض الرواية على القرآن الكريم فهو الفيصل في تقييم صحة الخبر أو عدمه؛ فعن الإمام الصادق عليه السلام عن النبي

١) الشبهات التي أثارها المنافقون ضد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

٢) ألفاظ القرآن الكريم في وثيقة المدينة.

٣) فاطمة الزهراء لا تصح مصداقاً عن السرقة.

٤) وصية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لـ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام دراسة في روايات أتباع مدرسة الصحابة، جبريل وكيفية نزوله على النبي صلى الله عليه وآله وسلم دراسة في روايات العامة، شذرات قرآنية في سورة الأسراء، ماذا رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند سدرة المنتهى، هل رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ربه في معراجه.

صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إن على كل حق حقيقة، وعلى كل صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه)[١] وقول الإمام علي عليه السلام: (اعقلوا الخبر إذا سمعتموه عقل دراية لا عقل رواية فإن رواة العلم كثير ورعاته قليل)[٢] فدراسة متن الرواية أكثر النتائج إفصاحاً عن مدى سقمها أو صحتها، وينبغي التنويه إلى أنّ الباحث استخدم المنهج الاستقرائي النقدي في عرض الرواية ومن ثَمّ مناقشتها إلى جانب المنهج الوصفي، فكان الأخير لابد منه للتقليل من سرد النصوص المقتبسة وبالقدر المستطاع، لكن كان هناك حاجة ماسة للاستشهاد بالنصوص وإثبات الأدلة التي تؤيد ما نذهب إليه من آراء ثم إن التأريخ عبارة عن وثيقة ولا تأريخ من غير وثيقة[٣].

تناول الفصل الأول دراسة في مفهوم الافتراء ونشأته، فتحديد هذا المصطلح لغةً واصطلاحاً أمر لا مناص منه بغية تمييزه عن المصطلحات الأخر مثل الكذب أو البهتان أو الإفك؛ وعلى الرغم من أن جذور تلك المصطلحات مختلفة لغوياً إلا أن دالها ومدلولها يندرج تحت مفهوم عام وشامل وهو الافتراء، وكان من الضروري دراسته من منظور قرآني لمعرفة دلالته وأوجه استعماله في مواضع القرآن الكريم والغاية التي من أجلها تم تكراره في مواضع عديدة منه، وفي الوقت نفسه استدعى ذلك دراسته من منظور الحديث النبوي الشريف لأن السّنة النبوية ملازمة للقرآن فهما لا يفترقان، وكان من الوجوب معرفة هل أنّ أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد اتجهت بالسياق نفسه في هذا الصدد أم أنّ الأسلوب القرآني في

١) الكليني، الكافي ١/ ٦٩.

٢) الشريف الرضي: نهج البلاغة ٤/ ٢٢.

٣) أدوارد كار: ما هو التاريخ / ٧.

استخدام هذا المصطلح كان مرحلياً أي عالج حالة معينة في زمن معين؟ فضلاً عن ذلك أنّ الأحاديث النبوية قد ورد فيها ما يشير صراحةً للافتراء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأصبح لزاماً دراسة هذا النمط من الأحاديث حصراً ومطابقتها مع السيرة المحمدية، وهذا الأمر دعا الباحث إلى دراسة نشأة الافتراء من جذوره، أي أيام حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقبيل وفاته وبعدها، ومن ثم معرفة الأسباب التي دعت إلى ذلك وما النتائج التي تمخض عنها ذلك الافتراء على حاضر المسلمين ومستقبلهم، وتداعيات ذلك فيما بعد سواء على مستوى الرواة والمؤرخين أو على عموم المسلمين وارتباط ذلك مع سياسة حظر الحديث النبوي بالرواية أو التدوين منذ حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مروراً قبيل وفاته وحتى فسح المجال لتدوين الحديث والغاية من ذلك.

أمّا الفصل الثاني فكان هو المدخل المباشر لدراسة روايات الافتراء بصورتيه الظاهرة والمبطنة، فقد تناول دراسة روايات تكفير أبوي النبي من خلال الأحاديث التي نُسبت إليه في هذا الصدد لمعرفة السقيم منها والصحيح، فضلاً عن المغزى من إيراد تلك الأحاديث والهدف الذي أريد له أن يصل لقارئها، ثم تم تسليط الضوء على روايات شق صدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصل صدورها وعرضها على نصوص القرآن الكريم مع مقارنتها بعصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والزيادات اللفظية الحاصلة عليها أفقياً، أي باختلاف تعدد كتب التأريخ والسيرة والحديث، وعمودياً أي تطور الرواية على مر الزمن ومن ثم الغاية التي من أجلها وضعت الرواية، لأن الافتراءات كانت مدروسة ولم توضع بصورة اعتباطية، وتم التطرق إلى مسألة رعاية النبي صلى الله عليه وآله وسلم الغنم ومقارنتها مع حديث شق الصدر زمانياً ومكانياً وبيان تطابق أو اختلاف الأحداث في كلا

المسألتين، موضحين جميع الروايات التي ذكرت رعايته الغنم سواء رعايته بالأجرة أو رعايته الغنم لأهله، ومن ثم معرفة دواعي إيراد هذه الفرية، وتم بحث حديث أكل النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الحرام وما ذبح على النُصب ومقارنة تلك الروايات بعضها مع البعض الأخر لمعرفة الزيادة اللفظية وزمان حدوث ذلك ومكانه ومعرفة دوافع ذلك الافتراء.

وكان الفصل الثالث قد خصص لدراسة مسألة التشكيك بالنبوة والطعن في القرآن، وذلك عن طريق شقين: أحدهما روايات بدء الوحي التي اختلفت واختلط بها الحابل بالنابل إذ كانت أهم مواطن الافتراء قد تركزت فيها، فتمت دراستها بالتفصيل لمعرفة ملابسات تلك الافتراءات وأسبابها والمغزى من اختلاق تلك الافتراءات الظاهرة منها والباطنة، وثانيهما أسطورة الغرانيق التي كانت أشهر صورة من صور الطعن في القرآن، فاختلف فيها المفسرون بين مصدق لها أو لبعضها وبين رافض لها جملةً وتفصيلاً، فكان لابد من دراسة حيثيات ذلك بشيء من التفصيل للوقوف على إدراج أساطير كهذه في المصادر، سيما كتب التفسير وفي الوقت نفسه معرفة أسباب الوضع والاختلاق.

أمّا الفصل الرابع فقد تضمن الافتراءات التي طعنت في عصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنها نسيانه لآيات من القرآن فتمت دراسة تلك الروايات سنداً ومتناً ومن ثم تم عرضها على نصوص القرآن الكريم لمعرفة مدى توافقها أو معارضتها له، وكذا كان الحال بالنسبة لقضية سهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة ومسألة نسيانه صلى الله عليه وآله وسلم غسل الجنابة في الصلاة، وليس هذا فحسب بل كانت روايات الرقص والغناء باختلاف زمانها ومكانها

حاضرة في الدراسة فتم إيضاح السبب في وضعها، وكذلك تعرض البحث إلى افتراء غير مباشر وهو قضية إهداء الخمر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكان لابد من التطرق إلى مسألة تحريم الخمر بمراحلها التدريجية للوقوف على بيان أمر تحريمها ومن ثم معرفة الأسباب الموجبة لكذا طعن والغاية منها، وتم إيراد النصوص القرآنية لمعالجة وهن تلك الروايات جميعاً.

كانت أهم المصادر المعتمدة في الدراسة المصدر الأول للتشريع عند المسلمين ألا وهو القرآن الكريم، إذ كان مصدراً أساسياً لا يمكن الاستغناء عنه وأفاد الباحث منه بعرض كل الروايات على مقياسه، فكان بحق المعيار الذي أضعف الروايات السقيمة كلها.

أما المصادر الأخر فهي مختلفة ومتعددة ولا يسعنا ترجيح بعضها على بعض فكانت مكملة الواحد للآخر وأثرت الدراسة بمعلومات قيّمة، فجاءت بالنهاية لتكون ثمرة الجهد لإنجاز هذه الدراسة، ولكن ينبغي التنويه إلى حقيقة يجب عدم إغفالها، وهي أنّ معظم الروايات التي اشتملت عليها الدراسة قد نهلت بالدرجة الأولى من معين كتب الحديث سيما مسند ابن حنبل وصحيحا البخاري ومسلم، إذ لا يكاد يخلو موضع إلا وكان لها حضور فيه مع ملاحظة أنّ ابن حنبل انفرد بأصل رواية إهداء الخمر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، هذا ولا يعني ذلك صحة جميع الأحاديث التي وردت في كتب الحديث، فهذا أمر مختلف تماماً فهذه الكتب لم تكن قرآناً منزلاً لا ينبغي الاختلاف فيه، بل على العكس وردت فيها روايات ما أنزل الله بها من سلطان وتم بيان ذلك كل في محله وحسب مواطن الافتراء المشار إليها على طول نطاق البحث؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر كان

صحيح البخاري خير مثال على ذلك فليس كل ما ورد بين طياته كان صحيحاً بل إنّ مسألة إيراد تلك الأحاديث كان يخضع لهوى المصنف(١) لأن البخاري اعترف أنّه حفظ ما يقارب مائة ألف من الأحاديث الصحيحة ومائتي ألف من الأحاديث غير الصحيحة، وإذا تجاهلنا الأخيرة منها وافترضنا أنّه لم يخرج بعضها في الصحيح، فأنه يبقى المشكل الأكبر في السؤال الآتي: أين ذهبت تلك الأحاديث الصحيحة التي لم يخرجها في الصحيح؟ لأن ما ورد من أحاديث في الصحيح ومع تكرارها وتعليقاتها لا يتجاوز ٩٠٧٢ حديثاً وهذه تمثل نسبة ١٠% من الأحاديث التي كان يحفظها، فأين ذهبت نسبة ٩٠% المتبقية منها؟! فضلاً عن ذلك كيف تم الجزم أنّ المائتي ألف من الأحاديث غير الصحيحة التي كان حفظها لم تدرج في الصحيح؟ إلى غير ذلك من التساؤلات التي ينبغي الانتباه إليها (٢).

هذا ولم تكن كتب الحديث الأخر أقل حظاً في الاعتماد عليها بل تمت الإفادة منها في مواضع كثيرة وعلى طول الدراسة فضلاً عن مقارنة الأحاديث الواردة فيها بعضها مع البعض الآخر ومن أهم تلك الكتب مسند أبي داود الطيالسي (ت ٢٠٤هـ /٨١٩م) والمصنف للصنعاني (ت ٢١١هـ / ٨٢٦م) ومسند الحميدي (ت ٢١٩هـ/٨٣٤ م) والمصنف لابن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ /٨٤٩م) وسنن الدارمي (ت ٢٥٥ هـ/٨٦٨م) وسنن ابن ماجة (ت ٢٧٣ هـ/٨٨٦م) والسنن لأبي داود (ت ٢٧٥ هـ/٨٨٨م) وكتابا السنن الكبرى والسنن للنسائي

---

١) ابتعد منهج البخاري عن مدرسة آل البيت عليهم السلام إذ لم يروِ عنهم وكان كل حديث يخرج من طرقهم يصف رواته بالتشيع. ينظر الحسيناوي: صورة السيرة النبوية في صحيح البخاري دراسة تحليلية تاريخية /٦٩-٩٤.

٢) ينظر الفصل الأول، المبحث الثالث، ص ٢٩- ٣٠.

(ت٣٠٣ هـ/٩١٥م) ومسند أبي يعلى الموصلي (ت ٣٠٧هـ/٩١٩م) وكتب المعجم الكبير والأوسط والصغير للطبراني (ت ٣٦٠ هـ/٩٧٠م) وسنن الدارقطني (ت٣٨٥هـ /٩٩٥م) والمستدرك للحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ/١٠١٤م) وشرح مسلم للنووي (ت ٦٧٦ هـ/١٢٧٧م) وصحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان لابن بلبان (ت ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م) ومجمع الزوائد للهيثمي (ت ٨٠٧ هـ /١٤٠٤م) وعمدة القارئ للعيني (ت ٨٥٥ هـ/١٤٥١م) والديباج على مسلم للسيوطي (ت ٩١١ هـ/١٥٠٥م) وغيرها كثير.

أمّا كتب السيرة النبوية فأخذت المنزلة الثانية في أهمية الاعتماد عليها، وبالطبع لم يكن ممكناً الاستغناء عنها سيما أنّ موضوع البحث يدور في فلكها، وربما كان الاعتماد على مغازي ابن عقبة (ت١٤١هـ/٧٥٨م) والسير والمغازي لابن إسحاق (ت ١٥١ هـ/٧٦٨م) الأهم من بين كتب السير الأخر، وذلك لأنها أقدم مصادر سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدونة، وعليه كان لابد من الاعتماد عليها بصورة أساسية لمعرفة أصل تلك الروايات الواردة، ومنها حديث شق الصدر ورواية رعاية الغنم وروايات بدء الوحي إنما صدرت من ابن إسحاق، أما ابن عقبة فقد انفرد بأصل رواية أكل النبي الحرام وما ذبح على الأنصاب وكذلك رواية الغرانيق فكان ابتداء ذكرهما في مغازيه، وكلاهما قد أخذا عن الزهري وهم جميعاً من رواد مدرسة المدينة، فكانت أغلب رواياتهم مطعوناً فيها من جهة الزهري الذي وجه له الطعن في مواضع من الدراسة فرواياته لا يعول عليها.

وكان كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (ت٥٤٤هـ/ ١١٤٩م) حاضراً وأغنى الدراسة بأطروحاته الجريئة واللاذعة التي وجهها لكثير من الروايات التي كانت موضع شك وريبة، سيما في مسألة عصمة النبي صلى الله

عليه وآله وسلم إذ أنكر رواية الغرانيق من هذا المنطلق، فكان حرياً إيراد بعض النصوص المقتبسة من كتابه وذلك لإثبات حجة رأيه الناقد لتلك الافتراءات؛ ولكن من المآخذ التي أخذت على رأيه أنّه حصر أصل تلك الرواية ومصدرها عند ابن الكلبي بينما ثبت أنّ أصلها ورد عند ابن عقبة في المغازي، ثم إنّه احتج على بطلانها لعدم تصريح البخاري بعبارة الغرانيق وهذا ما لم يثبت لأن الأخير أورد خبرها مبطناً واحتج بها في موضع من صحيحه.

وربما كان السبب الذي دعا القاضي عياض لتوجيه الطعن لابن الكلبي من دون البخاري لميوله إلى الأخير مذهبياً وعدِّه صحيحَه لا يقبل الخطأ والعكس صحيح بالنسبة إلى ابن الكلبي إذ وهنه في أكثر من موضع من دون إثبات ذلك الوهن؛ ومن المستبعد على القاضي عياض أن يكون غير مطلع على مغازي ابن عقبة سيما وأن كتابه يدور في فلك السيرة المحمدية، فربما كان للاتجاه المذهبي دور في ذلك.

ومن كتب السيرة الأخر التي اشتملت عليها الدراسة، السيرة النبوية لابن هشام (ت ٢١٨ هـ/٨٣٣م) وعيون الأثر في فنون المغازي والشمائل لابن سيد الناس (ت ٧٣٤ هـ/١٣٣٣م) والسيرة النبوية لابن كثير (ت ٧٧٤ هـ/١٣٧٣م) والسيرة الحلبية المسماة (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون) للحلبي (ت١٠٤٤هـ/١٦٣٤م).

أما كتب التاريخ العام فكانت مصدراً لا يستغنى عنه في كتابة البحث ومن أهمها تاريخ اليعقوبي (كان حياً سنة ٢٩٢ هـ/٩٠٥م) إذ كانت رواياته متينة على الرغم من أنّه لم يهتم بأسانيد الروايات لكنها كانت موضوعية سيما في مسألة بدء نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكانت روايته لها تسير في الأفق

الواضح الذي لا يقبل الشك وأفيد منها في رد بقية الروايات المختلقة، وكتاب تاريخ الرسل والملوك للطبري (ت ٣١٠ هـ/٩٢٢م) الذي على الرغم من اهتمامه بسلسلة السند للروايات التي أوردها إلا أن الأسلوب الجمعي لها وكثرة تعدد طرق الرواية مع عدم إعطاء رأيه إلا ما ندر، كان من المآخذ التي يؤاخذ عليها سيما أنّ القارئ لا تتضح له وجهة نظر المؤلف وهذا أمر ضروري ومهم جداً، لكن مع ذلك تم الانتفاع منه في روايات بدء الوحي ورواية رعاية النبي صلى الله عليه وآله وسلم الغنم ورواية الغرانيق إذ أورد بعض التفصيلات التي لم يذكرها غيره، وكتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي (ت ٣١٤ هـ/٩٢٦م) الذي كانت رواياته أكثر ملامسة للواقع، وانفرد بذكر أخبار أفادت البحث، منها خبر إسلام كعب الأحبار، والكامل في التاريخ لابن الأثير (ت٦٣٠ هـ/١٢٣٢م) الذي كان كتابه عبارة عن نسخة مصغرة من كتاب تاريخ الرسل والملوك للطبري ولكن ما تميز به عن الأخير أنّه قلل من الجانب القصصي وسلاسل السند فأكتسب ميزة السلاسة في عرض الروايات وأن لم يأتِ بجديد.

وكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٦م) الذي أفدت منه مستشهداً في موضع التفسير النقلي الذي كان يشمل الغث والسمين وكان قد أجاد في نقد ذلك.

ولا يفوتني أن أذكر أنّ كتب التاريخ المحلية كانت لها فائدة كبيرة لما حوته بين سطورها من معلومات وظفت في محلها، وفي مقدمتها تاريخ المدينة لابن شبة النميري (ت ٢٦٢هـ/٨٧٥م) الذي أورد تفصيلات عن تميم الداري وتحديثه بقصص أهل الكتاب في المدينة، وكتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (ت٤٦٣ هـ/١٠٧٠م) وأفيد منه في بيان خطأ البخاري وحفظه للحديث، وتاريخ مدينة

دمشق لابن عساكر (ت٥٧١ هـ/١١٧٥م) الذي تم الانتفاع منه في إيضاح بطلان حديث تعمد الكذب وزيادة كلمة التعمد حسب رواية الزبير بن العوام.

أخذت كتب الطبقات والتراجم حيزاً واسعاً من البحث ومن أهمها: الطبقات الكبرى لابن سعد (ت٢٣٠ هـ/٨٤٤م) الذي أورد معلومات تاريخية ونسبية متنوعة ولم يقتصر على التراجم، وكذا الحال بالنسبة لطبقات خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ/٨٥٤م) كما كانت مؤلفات ابن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣ هـ/١٠٧٠م) المتعددة لا يستغنى عنها في إيراد أخبار وآراء قد وثقت في محلها سيما في مناقشة شخصية ذي اليدين أو ذي الشمالين، وإن كانت روايته لا يعول عليها في ذلك إذ أثبتت الأدلة خلاف ما ذهب إليه من رأي، وكذلك مؤلفات ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ/١٤٤٨م) كانت لا تقل أهمية عن سابقتها، وربما كانت أهميتها في الآراء التي طالما كان ابن حجر يستطرد بها مفصلاً في مناقشة الروايات فكانت تعليقاته حاضرة على مدى نطاق الدراسة، وإن اختلف معه الباحث في مواضع عدة، سيما فيما يتعلق بأسطورة الغرانيق، إذ جزم بمصداقيتها نظراً لتعدد طرق نقلها، وهذا لا يمكن قبوله في جميع الأحيان.

أما كتب الجرح والتعديل فكان من أهمها: معرفة الثقاة للعجلي (ت٢٦١هـ/٨٧٤م) والجرح والتعديل لابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ/٩٣٨م) والمجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين لابن حبان (ت ٣٥٤هـ - ٩٦٥م) والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي (ت ٣٦٥ هـ/٩٧٥م) وغيرها، وعلى الرغم من أنّ دراسة السند مهمة لمعرفة الرواة ودرجة وثاقتهم والطعون الموجهة إليهم إلا أن ذلك لا يمكن الركون إليه بصورة باتة لأن دراسة متن الرواية هو الأهم بطبيعة الحال (وكما أشرنا سابقاً).

أما كتب التفسير فقد أخذت فضاءً واسعاً في الدراسة لتفسير الآيات القرآنية ومعرفة أسباب نزولها، وإن كان الاختلاف حاضراً في تفسير أو سبب بيان النزول من كتاب إلى آخر وكان ذلك جلياً في رواية الغرانيق التي اختلف المفسرون في بيان تأويل أسطورة كهذه، وهذا الأمر حتم على الباحث الاعتماد على الأدلة القرآنية والعقلية من دون الأدلة النقلية المتضاربة في إيضاح أسرار تلك الأسطورة، ومن أهم كتب التفسير تفسير مجاهد (ت ١٠٤هـ/٧٢٢م) وتفسير مقاتل (ت١٥٠هـ/٧٦٧م) وجامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري (ت ٣١٠ هـ/٩٢٢م) والتبيان في تفسير القرآن للطوسي (ت٤٦٠ هـ /١٠٦٧م) وكتابا أسباب نزول الآيات وتفسير الواحدي للواحدي النيسابوري (ت٤٦٨هـ /١٠٧٥م) والمحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز لابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ /١١٥١م) ومجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م) وزاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) والتسهيل لعلوم التنزيل للغرناطي الكلبي (ت٧٤١هـ /١٣٤٠م) وغيرها كثير، ومن التفاسير الحديثة تفسير الميزان للطباطبائي (ت ١٤١٢هـ /١٩٩١م) والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل للشيرازي.

ولم تكن المعاجم اللغوية أقل حظاً في الاعتماد عليها، إذ أسهمت في إيضاح المكنون من معاني الكلمات والألفاظ ومن أهمها: كتاب العين المنسوب للفراهيدي (ت ١٧٥ هـ/٧٩١م) وكتاب الصحاح للجوهري (ت٣٩٣ هـ/١١٠٢م) ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت٣٩٥هـ /١٠٠٤م) والفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ/١٠٠٤م) ولسان العرب لابن منظور (ت٧١١هـ/١٣١١م) وتاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)؛ وأخيراً كان للمراجع والكتب الحديثة نصيب من الدراسة فكان الاعتماد عليها

لمناقشة الآراء لا لأخذ الروايات منها، إلا أن ذلك لا يغني من الاطلاع عليها نظراً لاحتواء بعضها على آراء كانت مهمة في رفد البحث ومن أهمها: الصحيح من سيرة النبي لجعفر مرتضى، وألف سؤال وإشكال لعلي الكوراني العاملي اللذان تطرقا إلى بعض الروايات المشكوك بصحتها فكانت دليلاً للباحث لعرضها ومناقشتها، كما كان لبعض المراجع أهمية كبيرة في رفد الدراسة بآراء أغنت في بعض الأحيان عن التنقيب والتفصيل في أمور قد تخرج الباحث عن لب البحث فاستخدمنا الإحالة في تفصيل ذلك إليها، ومنها كتاب دراسات في الحديث والمحدثين لهاشم معروف الحسني وكتاب شيخ المضيرة أبي هريرة لمحمود أبو رية (ت١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) وكتاب أبو هريرة لعبد الحسين شرف الدين (ت١٣٧٧هـ/١٩٥٧م) وكتاب يهود بثوب الإسلام لنجاح الطائي، كما كان لكتاب تاريخ الحديث النبوي لمحمد علي الحلو أهمية وأفيد منه في أكثر من موضع سيما مسألة حظر الحديث النبوي الشريف.

ولا يفوتني أن أذكر أنّ الأطاريح والرسائل الجامعية والبحوث كان لها جانب مهم في الدراسة، إذ انها دراسات أكاديمية مهذبة علمياً ومن ثَمّ اعتماد الآراء الواردة فيها لا يخلو من فائدة، وأفادت في أغلب الأحيان من الإحالة لغرض عدم التفصيل في أُمور قد تخرج الباحث عن القصد في البحث؛ هذا واشتملت الدراسة على كثير من المصادر والمراجع التي تراوح الاعتماد عليها في مواضع متباينة ولا يسعنا ذكرها جميعاً خشية الإطالة في تحليل المصادر والمراجع.

الباحث



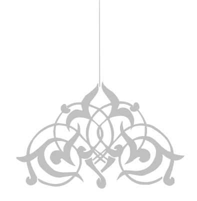
الفصل الأول: الافتراء دراسة في المفهوم والنشأة

المبحث الأول: مفهوم الافتراء في النص القرآني

المبحث الثاني: مفهوم الافتراء في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم

المبحث الثالث: نشأة الافتراء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم

المبحث الرابع: منع رواية الحديث النبوي الشريف



المبحث الأول: مفهوم الافتراء في النص القرآني

الافتراء لغةً هو من الفري أي الشق، خلقت الأديم ثم فريته، إذا أعلمت عليه علامات المقاطع ثم قطعته، وفريت الشيء بالسيف وبالشفرة قطعته وشققته[1] وأفريت الأديم أي قطعته وهنا تأتي على جهة الافساد[2].

والفرية من فرى يفري فلان الكذب إذا اختلقه، فهي الكذب والقذف[3] ويستعملها الفقهاء بمعنى القذف الكاذب[4] أو الكذب مع العمد وهي اسم من الافتراء[5].

والفري هو الأمر العظيم كقوله تعالى في قصة مريم: {لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا

---

١) الفراهيدي: العين ٨ /٢٨٠ – ٢٨١.

٢) الجوهري: الصحاح ٦ / ٢٤٥٤؛ الزبيدي: تاج العروس ٢٠ / ٤٦.

٣) الفراهيدي: العين ٨ /٢٨٠ – ٢٨١؛ ابن منظور: لسان العرب ١٥ /١٥٤.

٤) قلعجي: معجم لغة الفقهاء /٣٤٥.

٥) الزبيدي: تاج العروس ٢٠/ ٤٧.

فَرِيًّا ﴾ (١) أي جئتِ شيئاً عظيماً مصنوعاً مختلقاً(٢)، أو أمراً كاذباً مأخوذاً من الافتراء بمعنى الكذب عن عمد كقول الزهراء عليها السلام: (أفعلى عمد تركتم كتاب الله)(٣) وهنا هو استفهام تقريري، إذ لم يكن كذبهم هذا عن شبهة بعد وضوح أمر الشريعة، وشيوع مسألة التوارث للعموميات الدالة عليه من الكتاب والسنة(٤).

وفي التنزيل العزيز: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾ (٥)، أي اختلقه، فهذا من أفرى الفرى، كأن يري الرجل عينيه ما لم تريا فيقول: رأيت في النوم كذا وكذا، ولم يكن رأى شيئاً، فهذا المعنى من أكذب الكذب في اختلاق الافتراء (٦) لأنه جاء بالعجب في قوله هذا فأكثر منه من غير دلالة واضحة فدل ذلك على استغراب قوله والتعجب منه (٧).

وقيل إنّ الافتراء مشتق من فري الأديم، وهو مثل الاختلاق والافتعال(٨) ولكن الفرق بين افترى واختلق: أنّ افترى قطع على كذب وأخبر به، واختلق قدر كذباً وأخبر به لأن أصل افترى قطع وأصل اختلق قدر (٩).

---

١) مريم: ٢٧.

٢) ابن منظور: لسان العرب ١٥ /١٥٤.

٣) النعمان المغربي: شرح الأخبار ٣/٣٦؛ أبو منصور الطبرسي: الاحتجاج ١/١٣٨.

٤) التبريزي الأنصاري: اللمعة البيضاء/ ٦٥٢.

٥) الأحقاف: ٨، السجدة: ٣، هود: ١٣، ٣٥، يونس: ٣٨.

٦) ابن منظور: لسان العرب ١٥ / ١٥٤.

٧) ابن السكيت الأهوازي: ترتيب إصلاح المنطق/ ٤٩؛ الجوهري: الصحاح ٦ / ٢٤٥٤.

٨) الطبرسي: تفسير مجمع البيان ٤/ ٣٠٥.

٩) أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية / ٦٢.

وعليه فإن الفرق واضح في المعنى اللغوي بين الكذب والافتراء وحتى البهتان ولكن هذه الألفاظ تدل على معنى الافتراء من حيث الاصطلاح وربما كانت إحدى أدواته، لأن الكذب هو عدم مطابقة الخبر للواقع أو لاعتقاد المخبر لهما على خلاف في ذلك، والافتراء أخص منه لأنه الكذب في حق غير بما لا يرتضيه، بخلاف الكذب فإنه قد يكون في حق المتكلم نفسه، ولذا يقال لمن قال: (فعلت كذا ولم أفعل كذا) مع عدم صدقه في ذلك: هو كاذب، ولا يقال: هو مفتر، وكذا من مدح أحداً بما ليس فيه، يقال: إنه كاذب في وصفه، ولا يقال: هو مفتر، لأن في ذلك مما يرتضيه المقول فيه غالباً، وقال سبحانه وتعالى حكاية عن الكفار: ﴿ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ [١] لزعمهم أنه أتاهم بما لا يرتضيه الله سبحانه مع نسبته إليه؛ وقد يحسن الكذب على بعض الوجوه، كإصلاح ذات البين، وعدة الزوجة، بخلاف الافتراء [٢].

والفرق بين الافتراء والبهتان أنّ الأخير هو الكذب الذي يواجه به صاحبه على وجه المكابرة له كقوله تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ [٣] فاليهود كانوا يواجهون مريم عليها السلام بالقذف وينسبونها إلى ما لا ينبغي من القول بالمشافهة من دون البينة [٤].

أمّا الفرق بين الكذب والإفك، فالكذب اسم موضوع للخبر الذي لا مخبر له على ما هو به، سواء أكان الكذب فاحش القبح أم غير فاحش القبح، أمّا

---

١) سبأ: ٨.

٢) أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية / ٤٤٩.

٣) النساء: ١٥٦.

٤) الطبراني: المعجم الكبير ٣١/٢٣؛ الطوسي: التبيان ٣٨١/٣.

الإفك فهو: الكذب الفاحش القبح مثل الكذب على الله ورسوله والقرآن وقذف المحصنة وغيره مما يفحش قبحه قال تعالى: ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ (١) وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ منكم ﴾ (٢) فلا يقال لحديث الكاذب إفك حتى يكذب كذبة يفحش قبحها، وأصله في العربية الصرف، وفي القرآن ﴿ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (٣) أي يصرفون عن الحق، وتسمى الرياح المؤتفكات لأنها تقلب الأرض فتصرفها عما عهدت عليه، وسميت ديار قوم لوط المؤتفكات لأنها قلبت بهم(٤).

كما وردت لفظة الافتراء أو مايدل عليها في مايقرب تسعة وأربعين موضعاً من القرآن الكريم في إحدى وعشرين سورة قرآنية (٥).

ومن خلال النظر في الآيات القرآنية الكريمة والتمعن فيها، نجد أن مفهوم الافتراء على الله جل وعلا يندرج تحته الشرك والكذب والظلم (٦) نحو قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ (٧) ومن ملاحظة الآية نرى أنّ

---

١) الجاثية: ٧.

٢) النور: ١١.

٣) المائدة: ٧٥؛ التوبة: ٣٠؛ المنافقون: ٤.

٤) أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية/ ٤٥٠ – ٤٥١.

٥) ينظر سبأ: ٨، السجدة: ٣، الشورى: ٢٤، الصف: ٧، الفرقان: ٤، القصص: ٧٥، الكهف: ١٥، طه: ٦١، المائدة: ١٠٣، المؤمنون: ٣٨، يوسف: ١١١، الأحقاف: ٨، ٢٨، الأنبياء: ٥، ٢٠، آل عمران: ٢٤، ٩٤، العنكبوت: ١٣، ٦٨، النساء: ٤٨، ٥٠، الأعراف: ٣٧، ٥٣، ١٥٢، النحل: ٥٦، ٨٧، ١٠٥، ١١٦، هود: ١٣، ١٨، ٢١، ٣٥، يونس: ١٧، ٣٠، ٣٧، ٣٨، ٥٩، ٦٠، ٦٩، الأنعام: ٢١، ٢٤، ٩٣، ١١٢، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٤.

٦) الزبيدي: تاج العروس ٢٠/٤٦.

٧) النساء: ٤٨.

الله سبحانه وتعالى قد قرن مبدأ الشرك بالله بالافتراء عليه وجعل الشرك باباً من أبواب الافتراء والآثام العظيمة التي لا تغتفر، لأنه سبحانه وتعالى لا يغفر الشرك ويغفر ما دون ذلك وهذا ما يؤكده قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [١].

وقوله تعالى: ﴿ انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ﴾ [٢] وهنا استخدم الأسلوب نفسه من حيث اقتران الافتراء بالآثام المبينة أي الواضحة الظاهرة التي لا التباس فيها بدلالة قوله تعالى: ﴿ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ﴾، وقيل إنّ المراد من ذلك تعظيم الإثم وإنّما يقال كفى به في العظم على وجه المدح أو الذم، ويحتمل أن يكون معناه كفى به إثماً أي ليس يقصر عن منزلة الإثم[٣].

أمّا قوله جل وعلا: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ [٤] فقد جاء الأسلوب القرآني كاستفهام في معنى الإنكار أي، لا أحد أظلم ممن كذب على الله وافترى فادعى أنّه نبي وهو ليس بنبي أي انه ادعى النبوة، ولا يأتيه الوحي فلا يجوز في حكم الله سبحانه وتعالى أن يبعث كذاباً وهذا وإنْ كان داخلاً في الافتراء، فإنما أفرد بالذكر تعظيماً[٥].

إنّ نظرة سريعة في الآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر الافتراء، تبيّن أنّ غالبيتها ورد فيها نفي الكذب أو النهي عنه بصورة أكثر تكراراً من النفي أو النهي

١) النساء: ٤٨.
٢) النساء: ٥٠.
٣) الطوسي: التبيان ٣/ ٢٢٢-٢٢٣.
٤) الأنعام: ٩٣.
٥) الطبرسي: تفسير مجمع البيان /١١٢.

عن الشرك أو الظلم، مما يعطي مدلولاً واضحاً لمدى قبح هذه الرزية وربما لتناميها واستفحالها في المجتمع المكي، مما حدا بالأُسلوب القرآني أن يركز عليها للحد من هذه الآفة، هذا من جهة ومن جهة أخرى كان أغلب استخدام مصطلح الافتراء تقريباً موجهاً للمشركين أو المنافقين سواء أكانوا يهوداً أم نصارى أم مسلمين، كانوا يفترون أو يتقولون على الله سبحانه وتعالى وأنبيائه (عليه السلام) وكأنه كان أسلوباً قرآنياً خاصاً لتنزيه الأنبياء ودفع الشبهات عنهم من باب كون الكذب على الله سبحانه وعلى أنبيائه متعمداً أو مقصوداً، فكان الأسلوب القرآني حاسماً في الرد على الافتراء، ولم يكن منشأ ذلك من فراغ بل إن طبيعة المرحلة الحرجة وكثرة التقول افتراءً على النبي صلى الله عليه وآله وسلم استدعى ذلك لرد الشبهات عنه.

وعليه يجب التنويه إلى حقيقة قرآنية يجب عدم إغفالها وهي أنّ الله سبحانه وتعالى قد تولى رد الافتراء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من دون سائر الأنبياء، وبخلاف من تقدمه منهم، إذ كانوا هم المتولين لمهمة الدفاع عن أنفسهم[1] لقول نبي الله نوح عليه السلام)): { قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ }[2] وقول النبي هود عليه السلام: { قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ }[3] ونحو ذلك.

أمّا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فلقد تولى الله سبحانه وتعالى مهمة تبرئته مما نسب إليه من افتراءات فأجاب عنه حين قالوا: مجنون فقال سبحانه:

---

١) الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد ١٠/ ٣٠٨.

٢) الأعراف: ٦١.

٣) الأعراف: ٦٧.

{ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ }[١] وأجاب عنه تعالى حين قالوا: هو شاعر، فقال: { وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ }[٢] فنفى الله تبارك وتعالى عنه الشعر، وأجاب سبحانه وتعالى عنه حين قالوا: افترى القرآن، فقال عز وجل: { وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ }[٣] وحين قالوا: إنما يعلمه بشر، قال عز وجل: { وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ }[٤]، وأجاب جل اسمه عنه حين قالوا إنّه أبتر، فقال سبحانه وتعالى: { إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ }[٥].

---

١) القلم: ٢.

٢) يس: ٦٩.

٣) يونس: ٣٧.

٤) النحل: ١٠٣.

٥) الكوثر: ٣.



المبحث الثاني: مفهوم الافتراء في أحاديث النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم

لا يختلف اثنان في أنّ الكذب من الصفات الذميمة التي لا يحمد عليها أحد، ولئن كان بين أفراد المجتمع يمكن تداركه والقضاء عليه، فإن بلاء ذلك يكون عظيماً إذا كان على شخص مثل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالكذب عليه ليس كسائر الكذب على غيره، ولعل ذلك هو الذي دفعه للتحذير منه بقوله: (إنّ كذباً عليَّ ليس ككذب على أحد ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) [١].

ولعل الحديث واضح وصريح في جملته ومعانيه، فالكذب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم (وإن لم يصرح في هذا الحديث) يعد من الكبائر وإن اُختلف في نوع هذا الكذب أمتعمداً كان أم غير متعمد ويكفر فاعله أم لا؟، فبعض أهل الحديث ذكر أنّ الكذب عمداً عليه من الكبائر، ولا يكفر فاعله على الصحيح وقال بعضهم يكفر [٢].

١) ابن حنبل: مسند ابن حنبل ٤/٢٤٥؛ البخاري: صحيح البخاري ٢/ ٨١؛ مسلم: صحيح مسلم١/ ٧.

٢) النووي: روضة الطالبين ٥/ ٣٦٢.

وثمة من جعل حكم مرتكب الكبيرة [١] كشهادة القاذف تقبل مادام لم يدمن عليها إلا في حالة الكذب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليه فإن ذلك من الكبائر وأنّ حكمه في الدنيا عدم قبول شهادته وإن تاب عن الكذب [٢] أما حكمه في الآخرة فقد أشار إليه حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم الوارد آنفاً في أنّه يتبوأ مقعده من النار.

وهذا الحديث أفاض ابن الجوزي في ذكر سببه وروى طرقه المتعددة، ومنها ما رواه عن ابن بريدة[٣] عن أبيه قال: (جاء رجل إلى قوم في جانب المدينة، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرني أن أحكم فيكم برأيي وفي أموالكم... وكان خطب أمرأة منهم في الجاهلية فأبوا أن يزوجوه، ثم ذهب حتى نزل على المرأة، فبعث القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: كذب عدو الله، ثم أرسل رجلاً فقال إن وجدته حياً فاقتله، وإن أنت وجدته ميتاً فحرقه بالنار، فانطلق فوجده قد لدغ فمات فحرقه بالنار، فعند ذلك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار")[٤].

وفي الرواية نفسها بإسناد آخر أنّ هذا الرجل قال: (إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كساني هذه الحلة وأمرني أن أحكم في أموالكم ودمائكم، ثم

١) الكبيرة من الذنوب هي التي فيها حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة كأكل الربا وعقوق الوالدين وقيل معناها أنّ عقابها أعظم والصغيرة أقل. للمزيد ينظر: البهوتي: كشف القناع ٦/ ٥٣٠.

٢) البهوتي: كشف القناع ٦/ ٥٣٠.

٣) ابن بريدة: عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي ولد في بداية إمارة عمر بن الخطاب وكان يكنى أبا سهل، روى عن أبيه وعن عبد الله بن عمر وأخوه سليمان بن بريدة، قيل إنّ أخاه سليمان كان أصح حديثاً وأوثق منه. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٢٢١.

٤) ابن الجوزي: الموضوعات ١/٥٥.

انطلق فنزل على تلك المرأة التي كان يحبها فأرسل القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال كذب عدو الله ثم أرسل رجلاً، فقال: إن وجدته حياً، وما أراك تجده حياً فاضرب عنقه، وإن وجدته ميتاً فأحرقه بالنار) [١].

والمختلف في هذه الرواية فضلاً عما سبق من تعدد لفظ الحديث هو أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال للرجل الذي أرسله ليقتص منه إن وجدته حياً، وما أراك تجده حياً فاضرب عنقه، وإن وجدته ميتاً فأحرقه بالنار، وبإسناد آخر أنّ الرجل ذكر للقوم أنّ الرسول أمره أن يضيف في أي بيوقم ما شاء وأنّهم ذهبوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له رجل منهم: " إن فلاناً أتانا يزعم أنك أمرته أن يبيت في أي بيوتنا شاء، فقال: كذب يا فلان انطلق معه فإن أمكنك الله عز وجل منه فاضرب عنقه وأحرقه بالنار، ولا أراك إلا قد كفيته، فلما خرج الرسول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ادعوه، فلما جاء قال: إني قد كنت أمرتك أن تضرب عنقه وأن تحرقه بالنار، فإن أمكنك الله منه فأضرب عنقه، ولا تحرقه بالنار فإنه لا يعذب بالنار إلا رب النار ولا أراك إلا قد كفيته " [٢].

والملاحظ أنّ الحكم في هذه الرواية يختلف عن سابقتها فتارة أحرقه بالنار وتارة لا تحرقه، فضلاً عن تغيير الحكم الذي أصدره النبي صلى الله عليه وآله وسلم للوهلة الأولى ثم العدول عنه، هذا من جانب ومن جانب آخر فإن ما يُشكل على الحديث الحكم الصادر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكيف يأمر بحرق شخص ميت وهل يجوز المثلى في الكلب العقور؟ ويبدو أنّ هذا الأمر من صُنع الذين أرادوا إيجاد الغطاء الشرعي لإلحاق الأذى بالمخالفين والمعارضين ولا

١) ابن الجوزي: الموضوعات ١/٥٥ - ٥٦.

٢) ابن الجوزي: الموضوعات ١/٥٦.

يخلو ذلك من وضع.

إنّ هذا الاختلاف في سبب قول الحديث وكذلك في الحكم الصادر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم يؤدي بنا إلى البحث عن جوهر الحديث نفسه الذي تعددت ألفاظه، ولعنا نجد ذلك في الروايات نفسها باختلاف أسانيدها فهناك معنى أريد له أن يصل للمتلقي أن الكذب المتعمد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو من المحظورات أمّا غير المتعمد فليس فيه وزر.

ولو أوردنا حديثاً آخر مروياً عن عمر بن الخطاب في الصدد نفسه عندما سأله المسلمون أن يحدث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإن الصورة ستتضح أكثر إذ أجابهم بالقول: (أقلوا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنا شريككم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: " من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) [(١)].

وما نريد أن نصل إليه في إيراد هذا الحديث هو عبارة تعمد الكذب، فهل أنّ النبي فعلاً ذكر هذه العبارة؟ وهل أنّ الذي يكذب عليه من دون تعمد لا يعد مفترياً على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؟.

ولعل التضارب يحوم حول هذه المسألة بمجرد تدقيق النظر في قول عمر بن الخطاب نجد الإجابة فهل أنّ المسلمين طالبوه بتعمد الكذب في الرواية على النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكي يذكر لهم ذلك؟ هذا من جهة ومن جهة أخرى لماذا أمرهم بالإقلال من رواية الحديث في الوقت الذي تتواتر الروايات عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أثناء احتضاره وقوله تمسكوا بكتاب الله وعترتي[(٢)] أو

١) ابن الجوزي: الموضوعات ١/٥٨.

٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢/١٩٤؛ ابن حبيب: المنمق /٢٥ ؛ البلاذري: أنساب الأشراف ←

وسنتي[١] على اختلاف الروايات وسواء أكانت السّنّة أو العترة فكلاهما واحد، ولكن مع ذلك نقول: إذا كان قوله صلى الله عليه وآله وسلم العترة، فعند ذلك قد يصح حديث عمر في الإقلال من الرواية طالما أنّ العترة ملازمة لكتاب الله، أمّا إنّه صلى الله عليه وآله وسلم قال السّنة فهذه هي الطامة الكبرى! فكيف يوصي النبي صلى الله عليه وآله وسلم باتباع السنة وبالمقابل يتم الإقلال منها؟ أليست السّنة هي أفعال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأقواله؟ وعندما نلغي أو نقرر الإقلال منها فهذا يعني أن لا يكون هناك سّنة وبالمحصلة من أين نأخذ ديننا بوصفنا مسلمين إذا اختلفنا في تفسير القرآن أليس من السّنّة الملغاة؟.

وعليه فالباحث يشك في رواية ذلك الحديث من حيث إضافة كلمة التعمد إليه التي فيها إشكال كبير وشك واضح من باب أنّ الكذب على النبي أو الافتراء عليه سواء أكان متعمداً أم غير متعمد فهو يدخل ضمن المحظور فكيف أنّ النبي قال ذلك؟.

ويجيبنا عن هذا التساؤل النووي عندما يبين أصناف الكاذبين في الحديث وحكمهم في الإسلام قائلاً: (الكاذبون ضربان أحدهما ضرب عرفوا بالكذب في حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم أنواع منهم من يضع عليه ما لم يقله أصلاً إمّا ترافعاً واستخفافاً كالزنادقة وأشباههم ممن لم يرج للدين وقاراً وإمّا

/١١١؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ١١١/٢؛ النسائي: السنن الكبرى ٤٥/٥؛ ابن أعثم الكوفي: الفتوح ٣٢٥/٤؛ ابن الأثير: أسد الغابة ١٣/٢؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٢٦٦/٩؛ ابن كثير: السيرة النبوية ٤١٦/٤.

١) الحاكم النيسابوري: المستدرك ٩٣/١؛ البيهقي: السنن الكبرى ١١٤/١٠؛ ابن عبد البر: الاستذكار ٨/ ٢٦٥؛ السيوطي: الجامع الصغير ١/ ٥٠٥.

حسبه بزعمهم تديناً كجهلة المتعبدين الذين وضعوا الأحاديث في الفضائل والرغائب وإمّا إغراباً وسمعة كفسقة المحدثين وإمّا تعصباً واحتجاجاً كدعاة المبتدعة ومتعصبي المذاهب وإمّا اتباعاً لهوى أهل الدنيا فيما أرادوه وطلب العذر لهم فيما أتوه وقد تعين جماعة من كل طبقة من هذه الطبقات عند أهل الصنعة وعلم الرجال ومنهم من لا يضع متن الحديث ولكن ربما وضع للمتن الضعيف إسناداً صحيحاً مشهوراً ومنهم من يقلب الأسانيد أو يزيد فيها ويتعمد ذلك إمّا للاغراب على غيره وإمّا لرفع الجهالة عن نفسه ومنهم من يكذب فيدعى سماع ما لم يسمع ولقاء من لم يلق ويحدث بأحاديثهم الصحيحة عنهم ومنهم من يعمد إلى كلام الصحابة وغيرهم وحكم العرب والحكماء فينسبها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهؤلاء كلهم كذابون متروكو الحديث وكذلك من تجاسر بالحديث بما لم يحققه ولم يضبطه أو هو شاك فيه فلا يحدث عن هؤلاء ولا يقبل ما حدثوا به ولو لم يقع منهم ما جاؤوا به إلاّ مرة واحدة كشاهد الزور إذا تعمد ذلك سقطت شهادته... والضرب الثاني من لا يستجيز شيئاً من هذا كله في الحديث ولكنه يكذب في حديث الناس قد عرف بذلك فهذا أيضاً لا تقبل روايته ولا شهادته وتنفعه التوبة ويرجع إلى القبول...) [1].

مما تقدم كلّه: فإن الأحاديث التي وضعت في الفضائل والرغائب تدخل أيضاً ضمن باب الكذب على النبي أو الافتراء عليه، وإذا كان كذلك فكيف يمكن أن يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلمة التعمد آنفة الذكر؟ وعليه فمن الممكن أنّ هذه الكلمة قد أضيفت فيما بعد لنص الحديث الشريف، وإذا كان الأمر كما ندعي فإن هناك إشكالاً واضحاً وسؤالاً يطرح نفسه بقوة عن ماهية

١) شرح مسلم ١ / ١٢٦ – ١٢٧.

التفسير الذي يمكن أن يكون مقنعاً لكلام عمر بن الخطاب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما أنكر وفاته واعتذاره بعد يوم من ذلك عندما ارتقى منبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً: (أما بعد فإني قلت لكم أمس مقالة وأنها لم تكن كما قلت، وإني والله ما وجدت المقالة التي قلتها لكم في كتاب أنزله الله ولا في عهد عهده إلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكني كنت أرجو أن يعيش رسول الله حتى يدبرنا ويكون آخرنا " [١].

يمكن أن يستنتج من كلام عمر آنف الذكر أنّه تعمد قول مالم يذكر في القرآن الكريم وفي السيرة المحمدية من قول أو فعل أو ميثاق وذلك باعتراف صريح منهُ، وهنا السؤال: كيف يمكن للفقهاء والمحدثين أن يتعاملوا مع روايات كهذه وهم يعظمون في كتبهم الكذب على الله ورسوله؟ ناهيك أنّ هذا التقول قد صدر من أمير القوم! فهل يمكن إسدال الستار على تناقض كهذا؟ أم أنّه يتطلب وقفة جريئة لحل هذا الإشكال؟! هذا من جهة ومن جهة أخرى إذا لم نكن نحن المسلمين مَنْ نصحح أخطاءنا ونتغاضى عنها، فالأجدر بنا أن لا نلقي باللوم على الآخرين عندما يقومون برواية ما ورد في كتبنا من تناقضات والتعليق عليها سواءً بالسلب أو الإيجاب لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، فالأولى أن نُقوم أنفسنا بدلاً من التهجم على الآخرين (كالمستشرقين مثلاً) لأنهم لم يضعوا هذه الروايات في كتبنا فنحن من وضعها (سواء أكانت صحيحة أم غير صحيحة) ونحن من يتحمل وزرها وليس غيرنا الذي ناقشها سواء بروح علمية أو لمجرد التشهير وإظهار العيوب في هذا الدين الحنيف.

---

١) ابن طاووس: الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف /٤٥٣.

إنّ التضارب والتناقض يجعل الباحثين في حيرة من أمرهم، فهل يغمضون أعينهم أم يجب عليهم ذكر ذلك والتعرض له، ونعتقد أنّ قليلاً منهم من انتفض جريئاً وأقدم على الانتقاد لإيضاح حقائق لا يمكن السكوت عنها مهما كانت حقيقتها مرعبة.

وإذا رجعنا إلى حديث الكذب على النبي فإنه لا يعترينا الشك في أنّ كلمة متعمداً قد أضيفت فيما بعد، بدليل كتب الصحاح نفسها، فقد روى مسلم عن ربعي بن حراش[1] عن الإمام علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لا تكذبوا عليَّ فإنّه من يكذب عليَّ يلج النار)[2] ولم ترد هنا كلمة التعمد أو ما يدل على أنّه خص بذلك الكاذبين عمداً، وإنما مجرد الكذب عليه يؤدي بالشخص الكاذب إلى النار.

وثمة أدلة أُخر تؤيد ما ذهبنا إليه من أنّ كلمة التعمد لم ترد في حديث النبي في بعض الأحاديث المروية بأسانيدها عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ولا تشير لهذه الكلمة في الحديث المذكور[3] وإن رواية الزبير بن العوام ليس فيها ما يشير لذلك أيضاً، بل إنّه طعن في صحة ذلك فقال: (والله ما قال متعمداً وأنتم تقولون متعمداً)[4].

---

١) ربعي بن حراش بن جحش بن عمرو بن عبد الله بن بجاد، روى عن الإمام علي عليه السلام، قيل توفي في ولاية الحجاج بن يوسف وقيل في إمارة عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١هـ. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٢٧.

٢) صحيح مسلم ١/٧.

٣) ينظر: الهيثمي: مجمع الزوائد ١/ ١٤٢-١٤٣.

٤) ابن سعد: الطبقات ٣/١٠٧؛ ١/٣٣٥؛ ابن الجوزي: الموضوعات ١/٦٣؛ العظيم آبادي: عون المعبود ١٠/٦٠.

وفي رواية أخرى أنّ عبد الله بن الزبير سأل أباه عن الحديث فأجابه قائلاً: (والله يا بني ما فارقته منذ أسلمت ولكني سمعته يقول من كذب عليّ فليتبوأ مقعده من النار والله ما قال متعمداً وأنتم تقولون متعمداً) [١].

وعليه نجزم بالقول: إنّ كلمة التعمد قد أضيفت لنص الحديث في أوقات مبكرة وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدليل ما نص عليه قول الزبير من إضافتهم لها ودسها في الحديث.

وإذا دققنا النظر في مسألة تعمد الكذب، سيما حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم من كذب متعمداً، نلحظ أنّ الأحاديث تختلف بأسانيدها كما تختلف في روايتها، فبعضها يذكر ذلك ويشير إلى التعمد والآخر يناقضها ولا يؤكد ورودها في الحديث [٢] وهذا دليل واضح على إرباك رواتها.

وإذا خرجنا من نطاق هذا الحديث قليلاً وجدنا ما يشبه هذا النمط من الأحاديث شيئاً كثيراً، وعلى سبيل المثال لا الحصر مما جاء في هذا السياق حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقوله: (كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع)[٣]، وهذا الحديث من حيث المتن فيه كثير من الغموض والإشكال، وإذا طبقنا ذلك على من سمع حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم رواه عنه واتهمناه بالكذب فإنه يتبادر إلى الإذهان السؤال الآتي: كيف يجوز للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقول ذلك وهو يعلم أنّ هناك من سيحفظ حديثه عنه وسوف ينقله بعده إلى الناس بعد وفاته؟ فهل يعقل ذلك؟!.

---

١) الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية / ١٢٨؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق ١/٣٣٥.

٢) ينظر الهيثمي: مجمع الزوائد ١/١٤٢- ١٤٤.

٣) مسلم: صحيح مسلم ١/٨.

يتضح من ذلك أنّه أريد لبعض الأحاديث النبوية أن تكون غائبة عن النص التحديثي وعدم روايتها للمسلمين، وهناك مشكل آخر وهو أنّ الحديث نفسه قد روي بمنزلة قول نُسب إلى عمر بن الخطاب، إذ روى مسلم بإسناده عن أبي عثمان النهدي[١] عن عمر بن الخطاب قال: (بحسب المرء من الكذب أن يحدث بكل ما سمع)[٢].

والملاحظ أنّ قول عمر بن الخطاب هو بحذافيره ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث الشريف المشار إليه آنفاً.

والسؤال: هل كان هذا النص حديثاً نبوياً أم كان قول عمر؟ ولماذا التشديد على هذا المجال؟.

يبدو أنها كانت محاولة للإقلال من الحديث الشريف، وبعبارة أخرى هناك محاولات لتوجيه بعض الأحاديث وتأويلها بالصيغ التي كانت تتلاءم والحالة السياسية آنذاك، لأن هناك من الأحاديث ما يشير صراحةً أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر رجوع المسلمين إلى حديثه وأوصاهم بذلك، فقد روى أبو موسى الغافقي[٣]: (إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان آخر ما عهد إلينا أن

---

١) أبو عثمان النهدي: عبد الرحمن بن مل ويقال فيه ابن ملي، وينسب إلى نهد بن زياد بن بشير من قضاعة، أسلم ولم يرَ النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مات سنة ١٠٠هـ. ابن عبد البر: الاستيعاب ٨٥٣/٢.

٢) مسلم: صحيح مسلم ٨/١.

٣) أبو موسى الغافقي: مالك بن عبادة وقيل عبد الله، وغافق هو ابن العاص بن عمرو بن مازن ابن الأزد، له صحبة وحدث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان أحد الحاضرين في حجة الوداع، مات سنة ٥٨هـ. ابن الأثير: أسد الغابة ٢٨٢/٤.

قال عليكم بكتاب الله وسترجعون إلى قوم يحبون الحديث عني فمن قال علي ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار ومن حفظ شيئاً فليحدث به) [١].

وفي هذا الحديث دلالتان: الأولى أنّه لم ترد كلمة التعمد في الكذب أو عدمه بخلاف ما ذكر في بعض الأحاديث آنفة الذكر، والثانية أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم صرح برواية الحديث من بعده من قبل المسلمين وكذلك أباح لهم ذلك شريطة عدم الافتراء عليه.

وهذا يتنافى مع ما روي من أحاديث أخر تشير إلى الإقلال من الحديث أو روايته، وهو ما مر علينا آنفاً.

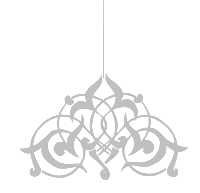
ومع الإشكالات التي تواجهنا كلها في مسألة أسانيد الروايات ورجالها، إذا دققنا النظر وأهملنا تلك الإشكالات فإننا نجد أنّ من رواة هذا الحديث من هو غير ثقة أو متهم بالكذب والتدليس في الحديث، وليس القصد توجيه الطعن للحديث نفسه من حيث الإطار العام لمصداقيته وإنما من حيث إضافة كلمة التعمد لتلك الأحاديث باختلاف نصوصها، ولعل من أشهر الرواة الذين أوردوا هذا الحديث أبا هريرة الدوسي، وهذه الشخصية طالما حامت حولها الشبهات حتى إنّ الصحابة الكبار اتهموه بالكذب والتدليس[٢] وكذلك المغيرة بن شعبة الذي لا يخفى على أحد أنّه أيام إمارة عمر بن الخطاب ارتكب فاحشة الزنا وبشهادة بعض المعاصرين له من المسلمين عندما كان والياً على البصرة، حتى إنّ عمرَ أراد أن يقيم عليه الحد وينفذ به حكم الزاني لولا عفوه عنه في آخر المطاف [٣] وغيرهم آخرون.

---

١) الهيثمي: مجمع الزوائد ١/١٤٤- ١٤٥.

٢) أبو رية: شيخ المضيرة أبو هريرة / ١٣٣ ومابعدها.

٣) للتفصيلات ينظر: ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١٢/٢٣١ – ٢٣٩.



المبحث الثالث: نشأة الافتراء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم

على الرغم مما أوردنا من آيات قرآنية دلت على كيفية قيام المشركين والمنافقين بالافتراء على الله ورسوله في بداية الدعوة المحمدية ومحاولة توجيه التهم للطعن في شخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم والنبوة بصورة عامة[1] إلا أنّ ذلك كان صفحة من صفحات بداية الافتراء عليهما في بداية البعثة، وعليه فمن المناسب أن نوضح صورة أخرى للافتراء بعد أن قويت شوكة الدعوة المحمدية واشتد ساعدها، إذ لم يرَ من كان يقف أمامها سوى استخدام أسلوب جديد وهو طريق الحيلة والخداع بعد العجز عن النيل منها بالقوة والنزاع.

دور اليهود في مخطط الافتراء على النبي صلى الله عليه وآله

ولعل أصحاب الخط الثاني من المفترين قد تمثل باليهود الذين كانوا أشد عداوة للمسلمين آنذاك، فهم بحسب زعمهم شعب الله المختار ولا يعترفون لأحد غيرهم بفضل ولا يقرون لأي نبي بعد النبي موسى عليه السلام برسالة، الذين لم يجد أحبارهم بعد أن غلبوا على أمرهم وأُخرجوا من ديارهم بداً من أن يستعينوا بالمكر والخديعة والدهاء لكي يصلوا إلى مبتغاهم، ولذلك تظاهر بعضهم بالإسلام

١) ينظر الفصل الأول، المبحث الأول / ١٣.

ولكنهم في باطن أمرهم ظلوا على عقيدتهم المحرفة [١].

ولما كان القرآن الكريم محفوظاً بالتدوين من كل زيف أو تحريف لقوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [٢] فقد كان المصدر الثاني للتشريع وهو حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته العطرة مبتغى هؤلاء وغيرهم، لأنه لم يكتب في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما كتب القرآن وإنما وثق في عهود لاحقة، على أغلب الروايات في عهد عمر بن عبد العزيز[٣] وجاءت مسألة منع تدوين الحديث النبوي الشريف سواء أكان في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أم بعد وفاته لتزيد الطين بلة[٤] ولذلك اتجه أصحاب هذا الخط إلى التقول على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والافتراء عليه من خلال دس الأحاديث المنسوبة إليه ومن خلال تفسيرهم الأحداث القديمة، لأنهم كانوا أصحاب كتاب وكان لهم علماء يروون ذلك، سيما ان العرب كانوا يستعينون بأهل الكتاب لجهلهم بأمور الشرائع السابقة، وهذا ما أكده ابن خلدون عند كلامه عن التفسير النقلي الذي كان يشتمل على الغث والسمين والمقبول والمردود قائلاً: (... والسبب في ذلك أنّ العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وإنّما غلبت عليهم البداوة والأمية وإذا تشوقوا إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية في أسباب المكونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى

---

١) محمود أبو رية: أضواء على السنة المحمدية / ١٤٤.

٢) الحجر /٩.

٣) ابن حجر: فتح الباري ١/١٧٤؛ العيني: عمدة القاري ٢/١٢٩.

٤) ينظر الفصل الأول، المبحث الرابع / ٣٨.

وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ولا يعرفون من ذلك إلاّ ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ومعظمهم من حمير الذين أخذوا بدين اليهودية فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاجون لها مثل أخبار بدء الخليقة وما يرجع إلى الحدثان والملاحم وأمثال ذلك وهؤلاء مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم فامتلأت التفاسير من المنقولات عندهم في أمثال هذه الأغراض أخبار موقوفة عليهم وليست مما يرجع إلى الأحكام فتتحرى في الصحة التي يجب بها العمل وتساهل المفسرون في مثل ذلك وملئوا كتب التفسير بهذه المنقولات وأصلها كما قلنا عن أهل التوراة..)[١].

ولعل ابن خلدون في كلامه هذا لم يجانب الصواب، فالإسرائيليات قد ملأت التفاسير كما ملأت من قبلها أحاديث النبي وسيرته التي أضيف إليها كثير مما لا يتلاءم مع افعال النبي صلى الله عليه وآله وسلم واقواله.

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ بعض الصحابة قد رجعوا إلى أهل الكتاب في تفسير القرآن ودليل ذلك التفصيلات التي وردت على لسان الصحابة في تفسير بعض الأحداث التاريخية السابقة المرتبطة بقصص الأنبياء، فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم تسمح له ظروفه الخاصة أن يفسر كل القرآن بهذا الشكل الواسع الدقيق وعلى المستوى العام للمسلمين، ثم إنّ العلماء اعترفوا بهذه الحقيقة التاريخية (الاعتماد على أهل الكتاب) عندما تحدثوا عن التفسير[٢].

وعليه فإن الشخصيات التي ذكرها ابن خلدون كان لها دورٌ واضحٌ في رسم

١) العبر وديوان المبتدأ والخبر ١/٤٣٩.

٢) الحكيم: علوم القرآن / ٢٨٤.

تلك الخارطة وهذا يحتم علينا معرفة نبذة عن إحدى هذه الشخصيات المشهورة في التاريخ الإسلامي، وعلى سبيل المثال لا الحصر نتعرف إلى شخصية كعب الأحبار:

١: من هو كعب الأحبار؟

هو كعب بن ماتع ويكنى أبا إسحاق وكان يقال له كعب الأحبار وهو من حمير من آل ذي رعين، وكان على عقيدة اليهود في اليمن وأسلم هنالك، ثم قدم المدينة في إمارة عمر بن الخطاب ثم خرج إلى الشام فسكن حمص حتى توفي بها سنة اثنتين وثلاثين وقيل أربع وثلاثين في إمارة عثمان بن عفان، وروي أنّه بلغ من العمر مائة سنة وأربع سنين [١] وقيل انه قدم في إمارة أبي بكر إلى المدينة [٢].

٢: قصة إسلامه الغريبة والمشكوكة

إنّ قصة إسلام كعب الأحبار فيها من التناقض والغرابة شيء كثير! ففي رواية ابن أعثم الكوفي عندما دخل عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس عند فتحها سنة ١٨هـ، ونزل كنيستها العظمى (... أقبل إليه كعب الأحبار يريد الإسلام فعرض عليه عمر الإسلام وقرأ عليه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾ [٣] فلما سمع كعب ذلك أسلم من ساعته)[٤].

---

١) ابن قتيبة: المعارف / ٤٣٠؛ ابن ماكولا: إكمال الكمال ٢٠٦/٧؛ السمعاني: الأنساب: ٢٧٠/٢ – ٢٧١، ٥/ ٤٢٧.

٢) ابن حجر: الإصابة ٤٨٢/٥.

٣) النساء /٤٧.

٤) الفتوح ١/ ٢٢٨.

إنّ هذه الرواية تتناقض مع روايات أخر أشارت إلى أنّ إسلام كعب الأحبار كان في عهد أبي بكر[١] ثم إنّ هذه الرواية تصرح أنّ كعب الأحبار كان يريد الإسلام فأقبل على عمر فلماذا إذاً يعرض عليه الأخير الإسلام إذا كان هو قد أتى من تلقاء نفسه؟ هذا من جهة ومن جهة أخرى يتضح لنا من الرواية أنّ السبب في إسلامه كان بسبب أسلوب التهديد والوعيد أو الترغيب والترهيب الذي ذكر على لسان عمر في الآية الكريمة ولم يكن من قناعة مسبقة وهذا فيه دلالة تناقض ما قيل في سبب إسلامه وزمانه ومكانه في روايات أخرى كالتي يرويها ابن سعد إذ قال (قال العباس لكعب ما منعك أن تسلم في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر قال إنّ أبي كان كتب لي كتاباً من التوراة فقال اعمل بهذا وختم على سائر كتبه وأخذ علي بحق الوالد على الولد ألا أفض الختم عنها فلما رأيت ظهور الإسلام قلت لعل أبي غيب عني علماً ففتحتها فإذا صفة محمد وأمته فجئت الآن مسلماً)[٢].

٣: علاقته السيئة بالصحابة وقربه من السلطة

لم يكن كعب الأحبار على توافق مع بعض الصحابة الكبار أمثال أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، ففي رواية أنّ عثمان بن عفان قال: (أيجوز للإمام أن يأخذ من المال، فإذا أيسر قضى؟ فقال كعب الأحبار: لابأس بذلك فقال له أبو ذر: يا بن اليهوديَين، أتعلمنا ديننا! فقال عثمان: قد كثر أذاك لي وتولعك بأصحابي، إلحق بالشام، فأخرجه إليها)[٣].

١) الذهبي: تاريخ الإسلام ٣/٣٩٧؛ الصفدي: الوافي بالوفيات ١٠/١٦.
٢) الطبقات الكبرى ٧/ ٤٤٥؛ وينظر: ابن حجر: الإصابة ٥/ ٤٨٢.
٣) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٣/ ٥٤، ٢٥٦.

في هذا النص يتضح أنّه كان مقرباً من رأس السلطة إذ إنّ عثمان عَدَهُ من أصحابه، وكذلك فإن كعب الأحبار لم يكن له شأن بين صحابة رسول الله المخلصين وإلا لِمَ قال له أبو ذر الغفاري رضي الله عنه يا بن اليهوديَين أتعلمنا ديننا، يضاف إلى ذلك أنّ أبا ذر لم يعَدَ كعباً من المسلمين وهذا واضح من نعته له بالعبارة آنفة الذكر.

٤: تكذيبه من قبل كثير من الصحابة وغيرهم

وقد كذبه الإمام علي عليه السلام[١] في مسائل كان يسأل عنها كعب الأحبار الإمام علي عليه السلام فكان أسلوب الإمام واضحاً في فضحه وتكذيبه عندما نعته لأكثر من مرة بقوله: (كذبتم يا كعب)[٢] نعتاً له هو وأصحابه من الأحبار اليهود.

وكذلك اتهمه عبد الله بن سلام بالكذب عند حديثه مع أبي هريرة[٣] وقال زرارة[٤]: (كنت قاعداً إلى جنب أبي جعفر عليه السلام وهو... مستقبل الكعبة، فقال: إنّ النظر إليها عبادة فجاءه رجل من بجيلة يقال له عاصم بن عمر فقال لأبي جعفر عليه السلام: إن كعب الأحبار يقول: إنّ الكعبة تسجد لبيت المقدس في كل غداة، فقال أبو جعفر عليه السلام: فما تقول فيما قال كعب؟ فقال

١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٧٧/٤.
٢) الشريف الرضي: خصائص الأئمة / ٨٩.
٣) الهيثمي: موارد الظمآن ٣٤٧/٣.
٤) زرارة بن أعين بن سنسن مولى لبني عبد الله بن عمرو السمين بن همام بن مرة الشيباني، كان قارئاً فقيهاً من أصحاب الإمام جعفر الصادق عليه السلام، توفي سنة ١٥٠هـ. النجاشي: رجال النجاشي /١٧٥.

صدق، القول ما قال كعب، فقال أبو جعفر عليه السلام: كذبت وكذب كعب الأحبار معك وغضب؛ قال زرارة ما رأيته استقبل أحداً بقول كذبت ثم قال: ما خلق الله عز وجل بقعة في الأرض أحب إليه منها ثم أومأ بيده نحو الكعبة ولا أكرم على الله عز وجل منها...) [١].

٥: دسه للإسرائيليات في الحديث الشريف بمساعدة السلطة

يتبين مما تقدم كُلّه زيف ادعاء إسلام كعب الأحبار، والرواية الأخيرة تكشف لنا كيف أنّ الإسرائيليات قد دسها الأحبار أمثال كعب الأحبار وغيره في الشريعة المحمدية، ويتضح من الروايات آنفة الذكر كيفية فضح حقيقة كعب الأحبار وأمثاله من الزيف والكذب ومدى حقيقة إسلامهم.

ولعله من المناسب هنا الإشارة إلى أنّ هناك بعض البحوث والدراسات التي أشارت وأوضحت كذب كعب وأصحابه وادعاءاتهم ودسهم الروايات الإسرائيلية في الحديث الشريف بصورة خاصة والتاريخ الإسلامي بصورة عامة [٢].

لقد استطاعت الإسرائيليات اختراق منظومة القرار الإسلامي (السلطة) عن طريق دس أحاديث ما أنزل الله بها من سلطان سوى أنّها موجودة في مخيلة اليهود، وكان ذلك على أيدي أحبارهم أمثال كعب الأحبار وأصحابه، وكانت تلك الإسرائيليات تبث حتى في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ كان اليهود يمارسون ذلك عن طريق اختلاطهم بالمسلمين فعن عبد الله بن ثابت الأنصاري[٣]

١) الكليني: الكافي ٤/ ٢٤٠.

٢) ينظر: الجبر: روايات أهل الكتاب للسيرة النبوية حتى عهد البعثة؛ الطائي: يهود بثوب الإسلام؛ أبو رية: أضواء على السنة المحمدية / ١٤٥ وما بعدها.

٣) عبد الله بن ثابت الأنصاري أبو أسيد، روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وروى عنه ←

قال: (جاء عمر بن الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا رسول الله إني مررت بأخ لي من قريظة فكتب لي جوامع من التوراة ألا أعرضها عليك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال عبد الله فقلت له ألا ترى ما بوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال عمر رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم رسولاً قال فسُرّي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم إنكم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين) [(١)].

إنّ هذا النص يؤدي بنا إلى حقيقتين مهمتين:

الأولى: إنّ أحبار اليهود كانوا على صلة بالمسلمين بغية إيصال ما في أيديهم من توراة محرفة للطعن في الإسلام.

والثانية: إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يدرك ما لليهود من أغراض ونيات خبيثة للتلاعب بعقول المسلمين مع ذكائهم في ذلك، لذا كان رده حاسماً في تلك القضية وهي عدم إيصال آراء اليهود للمسلمين لقناعته الراسخة أنّ تلك النصوص من التوراة مُحرفة، وإلا لما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد استاء من الاطلاع عليها، فكتب التوراة أو الإنجيل أو القرآن من حيث الإطار العام كتب سماوية قد نزلت من الله تعالى، ولكن خوف النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان مما حرفه اليهود من التوراة ومن ثَمّ من آثار هذا التحريف على المجتمع الإسلامي.

وعليه فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ينهى حتى عن الاتصال

→

الشعبي، وهو غير عبد الله بن ثابت الأنصاري أبي الربيع الذي توفي في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ابن عبد البر: الاستيعاب ٨٧٥/٣.

١) ابن حنبل: مسند ابن حنبل ٤٧١/٣، ٢٦٦/٤.

بأهل الكتاب أو سؤالهم، ففي رواية (أنّ عمر نسخ صحيفة من التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء) [(١)].

ونلحظ أنّ روايات النهي عن الاستماع أو قراءة كتب اليهود من لدن النبي صلى الله عليه وآله وسلم جاءت متواترة، إذ روى الزهري (أنّ حفصة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم جاءت إلى النبي بكتاب من قصص يوسف في كتف، فجعلت تقرأ والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يتلون وجهه فقال: والذي نفسي بيده لو آتاكم وأنا فيكم فاتبعتموه وتركتموني لضللتم) [(٢)].

ويبدو أنّ نصوص التوراة المحرفة التي كان اليهود قد بثها بين المسلمين قد أدت مفعولها، ولذلك نرى أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم غضب من الاستماع إليها أو التداول بها (حين رأى مع عمر صحيفة فيها شيء من التوراة وقال: " أفي شك أنت يابن الخطاب؟ " وفي رواية " أمتهّوكون[(٣)] أنتم؟ لو كان موسى أخي حياً ما وسعه إلا اتباعي " وفي رواية " ألم آت بها بيضاء نقية؟ لو كان موسى أخي حياً ما وسعه إلا اتباعي فلولا أنّ ذلك معصية ما غضب صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم منه) [(٤)].

---

١) الهيثمي: مجمع الزوائد ١/١٧٣.

٢) الصنعاني: المصنف ١/١٧٣.

٣) التهوك في اللغة: هو التحير وأيضاً التهور وهو الوقوع في الشيء بقلة مبالاة، وقيل كلمة تدل على الحمق والوقوع في الشيء على غير بصيرة. للمزيد ينظر: الجوهري: الصحاح ٤/١٦١٧؛ ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ٦/ ٢٠؛ ابن منظور: لسان العرب ١٠/٥٠٨.

٤) النووي: المجموع ١٥/٣٢٨ ؛ وينظر: الزمخشري: الفائق في غريب الحديث ٣/٤١١؛ ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ٥/٢٨٢.

وقيل في معنى (أمتهوكون أنتم) أي كما تهوكت اليهود والنصارى ومعناه أمتحيرون أنتم في الإسلام ولا تعرفون دينكم حتى تأخذوه من اليهود والنصارى؟ فالنبي كره ذلك منه [١] وأمّا قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم جئتكم بها بيضاء نقية فإنّه أراد منه الملة الحنيفية [٢].

وأمّا التحير على وجه عمر الذي عبر عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتهوك فهذا الأمر يثير تساؤلات عدة؟ إذ ماذا يعني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتهوك عمر، فهل لأن الأخير لم يكن مقتنعاً بما يتلقاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الوحي؟ أم أنّه صلى الله عليه وآله وسلم عبر عن شيء يكمن في نفس ابن الخطاب فيدفعه إلى التحير في دينه ويخفي أمراً عظيماً ليثير غضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتساؤله عما يريب عمر في دينه؟ فهناك ما يهيمن عليه ليثير لديه الحيرة التي عبر عنها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتهوك.

ويبدو أنّ عامل الانبهار باليهود الذي ابتلي به بعض المسلمين يومذاك كان يثير قلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكان يخشى أن يتغلب عليهم حسن الظن بهؤلاء فيزلزلون دينهم ويحرفون اعتقادهم [٣]، ولعل خشية النبي صلى الله عليه وآله وسلم تلك كانت في محلها، ففي رواية عن عطاء بن يسار تؤيد ما نذهب إليه إذ قال: (كانت اليهود يحدثون أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيسيحون كأنهم يتعجبون، ... فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تصدقوهم، ولا تكذبوهم، وقولوا: آمنا بالذي أنزل إلينا، وأنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد،

١) الراوندي: الدعوات /١٧٠.

٢) الصدوق: معاني الأخبار /٢٨٢؛ المجلسي: بحار الأنوار ١٧٩/٣٠.

٣) الحلو: تاريخ الحديث النبوي /٢٧٤.

ونحن له مسلمون) [١].

وما يمكن أن يفهم من حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّ اليهود حاولوا الالتفاف على بعض المسلمين ليتيح لهم ذلك تمرير مخططهم بإلقاء كفرهم على المسلمين ومحاولة تحريف اعتقادهم فما كان من النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن كان حازماً في رد ذلك والنهي عن مجالستهم.

بوادر الافتراء كانت في بداية العهد النبوي والنوايا لم تكن سليمة

ولعل بواكير الافتراء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت قد بدأت منذ العهد النبوي الشريف وبدت دوافعها أكثر مما كان متوقعاً (ومن المسلمين المنافقين تحديداً)، ولم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعيداً عن رصد مثل هذه الحالات السلبية إذ تنبأ بوقوعها بعد وفاته بشكل مرير[٢] ففي رواية مسندة عن عبد الرحمن بن نافع عن أبيه قال: (كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فجاءه رجل فقال: إنّ الناس يتحدثون عنك بكذا، قال: "ما أقول إلاّ ما ينزل من السماء، ويحكم لا تكذبوا عليَّ فإنه ليس كذب عليَّ ككذب على أحد)[٣].

إنّ في هذا الحديث دلالةً على أنّ بوادر الافتراء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد ظهرت منذ بداية العهد النبوي وكان على علم بها في حياته، هذا من جهة ومن جهة أُخرى يؤيد ما ذهبنا إليه من أنّ بعض المسلمين كانوا قد تقولوا على النبي وافتروا عليه، وهذا يعني أنّ هناك تياراً قد استشرى منذ حياة

---

١) الصنعاني: المصنف ٦/١١١، ١٠/٣١٢؛ ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ٢/٤١.

٢) الحلو: تاريخ الحديث النبوي /٢٦٤.

٣) ابن الجوزي: الموضوعات ١/٧٧.

النبي وكانت مهمته وضع الحديث والافتراء على النبي، تؤيدنا في ذلك رواية ابن عباس عن العباس قال: (يارسول الله لو اتخذنا لك عريثاً (عريشاً) تكلم الناس من فوقه ويسمعون؟ فقال: " لا أزال هكذا يصيبني غبارهم ويطؤون عقبي حتى يريحني الله منهم، فمن كذب عليَّ فموعده النار) [١].

ولعل إشارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم هنا واضحة في أنّها موجهة إلى بعض المسلمين وليس إلى غيرهم بدليل قول العباس إذ ليس من المنطق أن يقوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطيباً ليسمع حديثه غير المسلمين وإلا لما كانوا قد يستمعون إليه، ثم إنّ قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيه إشعار باستعجال منيته وذلك لمرارته من هجمة الوضع في حديثه والافتراء عليه وذلك أشبه بما يكون قد تمنى مفارقتهم متخذاً الموت وسيلة لهذه الراحة الأبدية، ويبدو أنّ ذلك كان لتفاقم مشكلة الوضع في الحديث أو الافتراء عليه.

ونعتقد بدلالة الحديث آنف الذكر أنّ أسباب هذا الافتراء لم تكن صادرة عن جهل واشتباه في أمر الشريعة، إنّما كانت هناك نية مبيتة نابعة عن دوافع شخصية أو سياسية أو بدافع المنافسة واحتلال عناوين الصدارة التي كان بعض المسلمين يتطلع اليها.

يؤيد ما ذهبنا إليه رواية زيد بن أرقم[٢] قال: (كان لنفر من أصحاب رسول

---

١) ابن الجوزي: الموضوعات ١/٨٢.

٢) زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك الخزرجي الأنصاري، شهد الخندق وغزا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم سبع عشرة غزوة ولهُ أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعن الإمام علي عليه السلام وشهد معه صفين، مات بالكوفة أيام المختار الثقفي سنة ٦٦هـ وقيل ٦٨هـ. ابن حجر: الإصابة ٢/٢٨٧.

الله صلى الله عليه وآله وسلم أبواب شارعة في المسجد... فقال يوماً: سدوا هذه الأبواب إلاّ باب علي... فتكلم في ذلك ناس... فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: أمّا بعد فإنّي أُمرت بسد هذه الأبواب إلاّ باب علي وقال فيه قائلكم وإني والله ما سددت شيئاً ولا فتحته ولكني أُمِرت بشيء فاتبعته) [١].

وفي رواية أُخرى عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: (أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسد الأبواب إلاّ باب علي فقال ما أنا سددت أبوابكم ولكن الله سدها) [٢] وفي رواية أخرى أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر بسد أبوابهم إلاّ باب علي عليه السلام وأقر مسكن فاطمة عليها السلام [٣].

إذا بحثنا عن المسلمين الذين كانت لهم أبواب شارعة على المسجد، وجدنا بعضهم من الذين كان لهم شأنٌ في القرار الإسلامي بعد استشهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ففي رواية عن الإمام علي بن الحسين عن أبيه عن جده عليهم السلام: (أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخذ بيده وقال سألت الله أن يعطر مسجدي بك وبذريتك ثم أرسل إلى أبي بكر فسد بابه ثم أرسل إلى عمر بمثل ذلك ثم إلى العباس ثم قال ما أنا سددت بابكم وفتحت باب علي ولكن الله فعل ذلك)[٤].

---

١) ابن حنبل: مسند ابن حنبل ٤/٣٦٩؛ النسائي: السنن الكبرى ٥/٣٠٥؛ الصدوق: الأمالي /٤١٣؛ الحاكم النيسابوري: المستدرك ٣/١٢٥؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٩/١٧٣؛ الهيثمي: مجمع الزوائد ٩/١١٤؛ ابن نجيم المصري: البحر الرائق: ١/٣٤١.

٢) الطبراني: المعجم الأوسط ٤/١٨٦.

٣) الكليني: الكافي ٥/٣٤٠.

٤) الزيلعي: تخريج الأحاديث والآثار ١/٣٢٦.

واعترض بعضهم على صحة الحديث ومنهم ابن الجوزي إذ أخرجه في الموضوعات وذكر أنّ الأبواب كلها سدت إلاّ باب أبي بكر وأنّه لم يكن باب علي وكان احتجاجه على شرط الصحيحين [١].

ولكن ذلك ليس حجة له وإنّما عليه لأنه ليس بالضروري أنّ كل حديث لم يخرج في الصحيحين ثبت بطلانه لمجرد المخالفة والتوهم، وربما كان كثير من الأحاديث في الصحيحين قد خرجت منهما وهي ليست صحيحة، لأن البخاري اعترف أنّه حفظ ما يقارب مائة ألف حديث من الأحاديث الصحيحة ومائتي ألف من الأحاديث غير الصحيحة، فعن محمد بن حمدويه قال: (سمعت البخاري يقول: أحفظ مائة ألف حديث صحيح وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح)[٢] فكيف نتيقن من أنّ الأحاديث المتبقيه في صحيح البخاري كلها صحيحة؟.

وهناك مسألة أخرى هي إذا أحصينا أحاديث البخاري نجدها قد بلغت ٧٣٩٧ حديثاً؛ بما في ذلك الأحاديث المكررة، فإذا أضيف مافيه من المعلقات، والمتابعات نجدها تبلغ ٩٠٧٢، وإذا حذفنا المكررات منها واقتصرنا على الأحاديث التي يتصل سندها بمصدرها فإنها تبلغ ٢٧٦٢ حديثاً [٣] وإذا قارنا هذا مع رواية ابن حمدوية آنفة الذكر على لسان البخاري التي ذكر فيها أنّه يحفظ مائة ألف حديث صحيح، فإنّه سوف يظهر لنا البون الشاسع من الأحاديث التي لم يوردها البخاري في صحيحه! والسؤال هنا: أين ذهبت تلك الأحاديث كلّها؟ ولماذا غيبت عن صحيح البخاري؟.

---

١) الموضوعات ١/٣٦٦.

٢) ابن حجر: مقدمة فتح الباري / ٤٤٨.

٣) الحسني: دراسات في الحديث والمحدثين /١٢٣.

حقيقة لا نجد الإجابة الشافية لذلك إلاّ عندما ننظر في رواية أحيد بن أبي جعفر والي بخارى المعاصر للبخاري[١] إذ روى: (قال لي محمد بن إسماعيل يوماً: رب حديث سمعته بالبصرة كتبته بالشام ورب حديث سمعته بالشام كتبته بمصر فقلت له يا أبا عبد الله بتمامه فسكت) [٢].

وذكر ابن حجر أنّ من نوادر ما وقع به البخاري أن يخرج الحديث تاماً بإسناد واحد بلفظين[٣] فضلاً عن رواية أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد المستملي[٤] قال: (انتسخت كتاب البخاري من أصله الذي كان عند صاحبه محمد بن يوسف الغريري [٥] فرأيت فيه أشياء لم تتم وأشياء مبيضة منها تراجم لم يثبت بعدها شيئا

---

١) هو أحيد بن أبي جعفر أحمد بن محمد بن الليث بن نصر بن بكار بن مسعر بن ثوبان اليشكري، كان ابوه والي بخارى، روى عن جده حاشد بن مسعود وسمع من يحيى بن جعفر بن أعين وحفص بن داود، روى عنه أبو سعيد حاتم بن أحمد بن محمود والحسين بن الحسن الوضاح، توفي سنة ٢٩٠هـ. ابن ماكولا: إكمال الكمال ١/٢٢.

٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ٢/١١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق ٥٢/٦٥؛ المزي: تهذيب الكمال ٢٤/ ٤٤٦؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١٢/٤١١؛ ابن حجر: مقدمة فتح الباري /٤٨٨، تغليق التعليق ٥/٤١٧.

٣) فتح الباري ١٠/١٩٣.

٤) سكن بلخ وروى عن أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن سنان البلخي، وروى أيضاً عن العباس بن ظاهر بن ظهير البلخي. ابن ماكولا: إكمال الكمال ٤/٤٥٢، ٥/٢٧٤.

٥) الغريري: أبو عبد الله محمد بن يوسف بن صالح الغريري ولد سنة ٢٣١هـ وتوفي ٣٢٠ هـ وهو راوية كتاب صحيح البخاري، قيل إنّه الوحيد الذي أخذت عنه رواية الصحيح، روى أيضاً عن علي بن خشرم المروزي وروى عنه أبو زيد الفاشاني وغيره، أمّا فربر: هي بليدة بين جيحون وبخارى بينها وبين جيحون نحو الفرسخ وإليها نسب الأخير. ابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب ٢/٤١٨؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤/٢٤٥.

ومنها احاديث لم يترجم لها فأضفنا بعض ذلك إلى بعض)[١].

وفي هذا دليل على أنّ موت البخاري كان قبل أن يبيض كتابه، فكيف لنا الجزم بصحة كل ما ورد فيه؟! ثم إنّ جميع الإشكالات التي أوردناها آنفاً حول البخاري أو صحيحه لا تجوز لابن الجوزي أو غيره من أن يكون صحيحه قرآناً منزلاً لا لبس فيه أو خطأ، ومن ثَمّ فإن رد حديث أو أكثر لمجرد أنّه لم يخرج في الصحيحين، هذا لا يمكن أن يقبله عاقل ومشعر أنّ هذا الأمر له ارتباط عقائدي عند ابن الجوزي ومن تبعه في قبول حديث ورفض آخر، ومن ثَمّ انعكاس ذلك على مدى مصداقية الأحاديث التي نسبت للسيرة المحمدية زوراً وبهتاناً.

هذا من جهة ومن جهة أُخرى، فإن ابن حجر على الرغم من تعصبه لأبناء مذهبه فإنه اعترض على ابن الجوزي في ذلك وخطأه كما سيأتي، واستطرد في مناقشة حديث سد الأبواب وذكر بعض الروايات عن الخطابي وابن بطال اللذين اعتقدا أنّ قول النبي في الحديث كان (إلاّ باب أبي بكر) واللذين عداه اختصاصاً ظاهراً له وإشارة قوية لاستحقاقه الخلافة، معتقدين أنّه طالما كان ذلك الحديث في آخر حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي الوقت الذي أمرهم فيه أن لا يؤمهم إلاّ أبو بكر، وعليه ادَّعوا والكلام لابن حجر أنّ الباب كناية عن طلبها[٢] وقد تابع على ذلك ابن بلبان وَعدّ الحديث دليلاً على أنّ الخليفة بعد النبي هو أبو بكر[٣] ولكن ذلك يسجل عليه اعتراض من ناحيتين:

الأولى: إنّه إذا كان للحديث دلالة بطلب الخلافة، فالروايات في المصادر

---

١) ابن حجر: مقدمة فتح الباري ٦/؛ حاجي خليفة: كشف الظنون ١/ ٥٤٢.

٢) فتح الباري ١٣/٧.

٣) صحيح ابن حبان ١٣/٧.

الإسلامية تكاد تجمع على أنّه قد خص به الإمام علي عليه السلام (كما سيأتي) إلاّ ما ذكرنا من مخالفة، وقد جمع أحد الباحثين تلك الروايات من المصادر فدلت دلالة واضحة على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام [(١)].

الثانية: إنّ المخالفين والمعارضين على أن الحديث لم يخص به الإمام علي عليه السلام، لا يدخل ضمن معتقدهم أو منهجهم التأويل بالباطن وإنّما اعتمادهم على التفسير الظاهر وهم لا يأخذون به في القرآن الكريم فكيف يستندون إليه في تأويل الحديث؟ وكيف استندوا إلى أساس هم أصلاً لا يؤمنون به في تفسيرهم والأخذ به على الباطن [(٢)].

ثم إنّ الحاكم النيسابوري قد شكك في سند الرواية التي رواها ابن بلبان عن ابن حبان (من أنّ حديث سد الأبواب خُصَّ به أبو بكر) قائلاً: (تفرد به إبراهيم بن محمد المدني عن الزهري)[(٣)] هذا من جهة ومن جهة ثانية أنّ روايات الصحاح والأسانيد الموثقة قد أكدت أنّ حديث سد الأبواب قد خُصَّ به الإمام علي عليه السلام من دون غيره[(٤)] ثم إنّ ابن حجر روى تلك الروايات وعلق على صحة رواتها ورجالات إسنادها بالصحيحة والموثقة، إذ ذكر رواية عن سعد بن أبي وقاص في ترك باب الإمام علي عليه السلام التي أخرجها أحمد بن حنبل والنسائي

١) المحمداوي: وصية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للإمام علي عليه السلام، دراسة في روايات العامة / ١٠.

٢) للتفصيلات في ذلك ينظر: الكوراني العاملي: الوهابية والتوحيد /٨٢.

٣) معرفة علوم الحديث /٩٩.

٤) ابن حنبل: مسند ابن حنبل ٣٦٩/٤؛ النسائي: السنن الكبرى ٣٠٥/٥؛ الصدوق: الأمالي /٤١٣؛ الحاكم النيسابوري: المستدرك ١٢٥/٣؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١٧٣/٩؛ الهيثمي: مجمع الزوائد ١١٤/٩؛ ابن نجيم المصري: البحر الرائق: ٣٤١/١.

وقال: (ان اسنادها قوي)، وذكر أيضاً رواية الطبراني وعلق على رجالها بأنهم (ثقاة)[١] ولعل رواية ابن عمر فيها الدليل الأكبر لأنه قد عاصر الحدث إذ قال: (... ولقد أعطي علي بن أبي طالب ثلاث خصال لأن يكون لي واحدة منهن أحب الي من حمر النعم. زوجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابنته وولدت له وسد الأبواب إلا بابه في المسجد وأعطاه الراية يوم خيبر)[٢] والرواية واضحة في دالها ومدلولها أن الأبواب كلها سدت إلاّ باب الإمام علي عليه السلام، ثم إنّها تبطل ما ذهب إليه ابن بلبان وغيره من أن باب أبي بكر لم يسد، ومن ثَمّ بطلان تلك الإشارة التي استُند عليها لأحقيته بالخلافة.

ولم يجانب ابن حجر الصواب عندما اعترض على ما ذهب إليه ابن الجوزي من تطرف، إذ عدّ الأخير هذا الحديث من وضع الرافضة، وذكر ابن حجر أنّ الأحاديث التي ذكرت (باب علي) يقوي بعضها بعضاً وكل طريق منها صالح للاحتجاج فضلاً عن مجموعها، ثم إنّه أخذ على ابن الجوزي روايته الحديث بطرق مختصرة وكذلك تجريح وتعليل بعض رواته معلقاً ومنتقداً ذلك بقوله: (...وليس ذلك بقادح لما ذكرت من كثرة الطرق وأعله أيضاً بأنّه مخالف للأحاديث الصحيحة الثابتة في باب أبي بكر... وأخطأ في ذلك خطأً شنيعاً فإنه سلك في ذلك رد الأحاديث الصحيحة بتوهمه المعارضة مع أنّ الجمع بين القصتين ممكن... ومحصل الجمع أنّ الأمر بسد الأبواب وقع مرتين ففي الأولى استثنى علي لما ذكره وفي الأخرى استثني أبو بكر ولكن لا يتم ذلك إلاّ بأن يحمل ما في قصة علي على الباب الحقيقي وما في قصة أبي بكر على الباب المجازي والمراد به

١) فتح الباري ١٣/٧.

٢) ابن حجر: فتح الباري ١٣/٧؛ المباركفوري: تحفة الأحوذي ١٣٩/١٠.

الخوخة كما صرح به طرقه وأنهم لما أمروا بسد الأبواب سدوها وأحدثوا خوخاً يستقربون الدخول إلى المسجد منها فأمروا بعد ذلك بسدها فهذه طريقة لابأس بها في الجمع بين الحديثين...)[1].

وما يمكن أن نجزم به أنّ ابن حجر حاول إيجاد صورة تقريبية للجمع بين قصتين لا يمكن أن يجمع بينهما جامع، فأما أن يكون باب علي هو الذي بقي مفتوحاً وإمّا باب أبي بكر فهذا أمر لا يقبل القسمة على اثنين، ومع أنّه كان مقتنعاً بالروايات التي أثبتت باب علي عليه السلام وعدّها الباب الحقيقي، إلاّ أنّه لم يتعرض للروايات التي ذكرت باب أبي بكر لا لشيء إلاّ لأن ذلك يتعارض مع ما يؤمن به من مذهب أو طريقة، على الرغم من أنّه خطّأ ابن الجوزي في ذلك، ولهذا ما توبع به ابن الجوزي يتابع عليه ابن حجر.

هل يمكن معرفة هؤلاء المفترين وأهدافهم؟

يتضح مما تقدم أنّ تيار المفترين والمتقولين على النبي الذي ذكرناه سابقاً أصبح الآن مؤهلاً لأن يناقش النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما يقوله ويفعله ومن ثم الاعتراض عليه، وهذا ما لحظناه في الروايات آنفاً إذ إنّ النبي قام بتقديم التبريرات لإقناعهم بعدم جدوى اعتراضهم فهو أمر الله سبحانه، ويبدو أنّ مهمة هذا التيار كانت وضع الحديث والتقول على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدليل قوله في الرد عليهم (فقال قائلكم).

والواضح أنّ هذا التيار كان له رجالاته الذين كانوا يطمعون إلى اعتلاء مركز قيادي في القرار الإسلامي سواء قبل استشهاد النبي صلى الله عليه وآله

---

١) فتح الباري: ١٣/٧.

وسلم أو بعده، فلا شك في أنّ حديثه بحقهم يوحي أن مقالة قد قيلت في حقه، ومع أنّ المصادر لم تفصح عنها، نعتقد أنّها من باب اتهام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتقريبه ابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام ولذلك دافع صلى الله عليه وآله وسلم عن نفسه بقوله (... وإنّي والله ما سددت شيئاً ولا فتحته، ولكني أمرت بشيء فاتبعته) وهذا يؤدي إلى القول إنّ أصحاب هذا التيار المتقول على النبي أراد الوصول بأية طريقة كانت إلى رأس القرار السياسي (السلطة) وإن كان ذلك بالافتراء على النبي أو التقول عليه زوراً وبهتاناً.

وإذا كان الأمر كذلك في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكيف والحال هذه بعد وفاته؟ أفلا يزداد ذلك التقول والافتراء ليأخذ بعداً آخر في الوصول إلى المآرب الشخصية أو السياسية؟ بمعنى آخر ألا يجيز أصحاب هذا التيار لأنفسهم الافتراء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته وذلك بوضع الأحاديث المنسوبة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتحقيق تلك المطامح؟!.

قرار منع الحديث من قبل السلطة وتأثيره في زيادة ظاهرة الافتراء

يبدو أنّ تركة النص التوراتي قد وجدت لها موطئ قدم في القرار السياسي بعد استشهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم سيما في عهد عمر وبمباركة هذا التيار، وكان ممثل تلك النصوص التوراتية كعب الأحبار الذي أصبح منذ تلك اللحظة من رجالات رواة الحديث النبوي الشريف وإن كان ظاهراً في البداية أنّ مهمته استشارية، ولكننا في الوقت نفسه نستغرب كيفية قبوله من أمير المسلمين وزعيمهم؟! اللهم إلاّ إذا كان كعب الأحبار قد كسب ثقة الأمير! ولكن ليس هذا هو السؤال المهم، فالأهم يتركز حول مصدر تلك الثقة التي مُنحت لكعب الأحبار

ولم يكتسبها اكتساباً، ولا نجد الإجابة المناسبة إلا في نطاق واحد وهو أنّ مسألة منع الحديث من قبل الأمير أدت بالنهاية إلى نقص النصوص الحديثية وتغييب مصدر أساسي من التشريع، وتعويضها بنصوص توراتية ومن ثَمّ معارضة تلك النصوص للواقع الإسلامي آنذاك، ولذلك كان كعب الأحبار هو رجل المرحلة الذي سيقوم بإيراد نصوص لمعالجة ذلك التضاد والتناقض الذي عاشه المسلمون حينها ويقدم نصوصاً توراتية تتنبأ بحكومة عمر!.

وقبل أن نعرض تلك النبوءة نستعرض بعض مرويات كعب الأحبار المفتراة على سبيل المثال لا الحصر، إذ ذكر أنّ عمرَ كان على باب من أبواب جهنم فلما استدعاه قال كعب: (... لا تعجل عليَّ والذي نفسي بيده لا ينسلخ ذو الحجة حتى تدخل الجنة فقال عمر أي شيء هذا مرة في الجنة ومرة في النار فقال... والذي نفسي بيده إنا لنجدك في كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها فإذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة) [1].

ولا نعلم في أي من كتب الله وجد كعب الأحبار ذلك؟ وهل كان عنده علم من الغيب ليخبر بذلك؟ ثم إذا صح ما قال، فالثابت في المصادر أنّ علياً عليه السلام هو قسيم الجنة والنار [2] وليس عمر بن الخطاب كما ادعى كعب الأحبار.

وفي ذكر فتح بيت المقدس أيام عمر بن الخطاب استدعى عمر كعباً لسؤاله عن مكان إقامة المصلى إذ قال: (عليَّ بكعب فأُتيَّ به فقال أين ترى أن نجعل المصلى فقال إلى الصخرة فقال ضاهيت والله اليهودية يا كعب وقد رأيتك وخلعك نعليك فقال أحببت أن أباشره بقدمي فقال قد رأيتك بل نجعل قبلته

١) ابن سعد: الطبقات ٣/٣٣٢.

٢) الصفار: بصائر الدرجات /٢١٩؛ الصدوق: الأمالي /١٠١؛ الطوسي: مصباح المجتهد /٧٥٧.

صدره كما جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبلة مساجدنا اذهب إليك فأنا لم نؤمر بالصخرة ولكنا أمرنا بالكعبة)[١].

ولكننا نلحظ في الرواية ما يثير الاستغراب! فإذا كان عمر يعرف أين يضع مكان المصلى لماذا طلب كعباً ليسأله؟ ثم إنّ كعباً كان قد أسلم في تلك الأيام (أي أيام فتح بيت المقدس ووجود عمر هناك)[٢] فلماذا يسأل (الخليفة) حديثي العهد بالإسلام هكذا أسئلة؟ وهو صاحب الكلمة الفصل في الدين والدنيا فما الداعي إذاً لطلب النصيحة من كعب الأحبار أو غيره من اليهود؟! وإذا تجاهلنا ذلك كله فإننا نواجه إشكالية أخرى وهي جواب الأمير لكعب (ضاهيت والله اليهودية يا كعب)، ومن هذا المنطلق فإن الأمير كان يعرف أنّ كعباً لم يكن مخلصاً للإسلام بل لنصوصه التوراتية، وعليه فإنه لا يؤخذ بحديثه من حيث الصحة، لكن في مقابل ذلك وفي الرواية نفسها نجد (الأمير) لم يسجل اعتراضه على ما أدعى كعب من نبوءة لا تعدو كونها نصوصاً توراتية مبدلة أو منسوخة، فعندما كّبر كعب سأله عمر عن سبب التكبير فقال: (... انه قد تنبأ على ما صنعت اليوم نبي منذ خمسمائة سنة فقال وكيف؟ فقال إنّ الروم أغاروا على بني إسرائيل فأديلوا عليهم فدفنوه ثم أديلوا فلم يفرغوا له حتى أغارت عليهم فارس فبغوا على بني إسرائيل ثم أديلت الروم عليهم إلى أن وليت فبعث الله نبياً على الكناسة فقال أبشري أورى شلم عليك الفاروق ينقيك مما فيك...) [٣].

ولا نحتاج دليلاً لرد هذه الرواية فليس هناك ذكرٌ لفاروق في التوراة اللهم

---

١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/١٠٦.

٢) ابن أعثم الكوفي: الفتوح ١/ ٢٢٨.

٣) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٣/١٠٧.

إلاّ في مخيلة كعب الأحبار هذا! ولكن ما يثير الدهشة والاستغراب سكوت عمر عمّا ذكر كعب الأحبار مع أنّه قد نعته بالمضاهاة لليهودية، وهذا يعطينا الحق في القول إنّه قد أعطى الضوء الأخضر لدخول النص التوراتي المحرف إلى مركز القرار الإسلامي.

وعليه نجح كعب وغيره من أحبار اليهود في تمرير إسرائيلياتهم كجهد تمهيدي في ترويض عمر وقبوله لأمثال هذه الروايات التي حازت على قبول رجال الدين فيما بعد، ولعل الأخير سيجد في روايات كعب متنفساً عن الاختناقات التي تحدثها المعارضة باستخدام صحاح الحديث في محاجتها معه، وستكون مرويات كعب مظهراً جديداً من انفتاحه على ثقافة غيره من معتقدات القاطنين أو المجاورين له[١].

وهذا يعود بنا إلى الخلف قليلاً حينما تخوف النبي صلى الله عليه وآله وسلم من دخول تلك الروايات إلى المجتمع الإسلامي ونهيه عمر عن الأخذ بروايات اليهود[٢].

ويبدو أنّ مؤسسة الخلافة كانت تعيش محنة وهاجس الحاجة إلى نص يحميها من اعتراضات المعارضة النصية، ولذلك التجأت إلى التشبث بالنصوص التوراتية التي كان يلقيها كعب الأحبار وغيره من أمثال ذي القرنات ليبشروا وينبؤوا بتسلسل الأمراء بعد استشهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودليل ذلك الرواية

---

١) الحلو: تاريخ الحديث النبوي /٢٧٢.

٢) ابن حنبل: مسند ابن حنبل ٤٧١/٣، ٢٦٦/٤؛ الزمخشري: الفائق في غريب الحديث ٤١١/٣؛ ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ٢٨٢/٥؛ النووي: المجموع ٣٢٨/١٥ ؛ الهيثمي: مجمع الزوائد ١٧٣/١.

الآتية: (لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قيل يا ذا قرنات[١] من بعده قال الأمين يعني أبا بكر قيل فمن بعده قال قرن من حديد يعني عمر قيل فمن بعده قال الأزهر يعني عثمان قيل فمن بعده قال الوضاح المنصور يعني معاوية)[٢].

ولا يستبعد أن تكون بعض تلك المرويات أموية بالدرجة الأساس أو عباسية وضعت على لسان أهل الكتاب وحاولوا من خلالها تأكيد خلافتهم وتدعيمها فالنفس الأموي حاضر فيها لأن الروايات نُسبت إلى رواة مجهولين لا وجود لهم أصلاً أمثال (ذي قرنات).

ولا نعلم أين ذهبت خلافة الإمام علي عليه السلام في ظل هذا التسلسل الخلافي؟! ولكن الذي نعلمه أنّ ذلك كافٍ لرد نبوءات يهودية كهذه دخلت إلى نصوص المصادر الإسلامية ومحاولة هذه المصادر إعطاء مكانة لذي القريات أو القرنات الحميري اليهودي بوصفه أعلم اليهود[٣] وفي مقابل ذلك احتساب هذه الرواية لتكون بمنزلة شهادة لتذكر فيها بعض فضائل عثمان بن عفان[٤] الذي لم يكن عهده أفضل حالاً من عهد الذي سبقه من إلغاء نصوص الحديث النبوي الشريف وحظرها عن الرواية إذ أمر قائلاً: (لا يحل لأحد يروي حديثاً لم يُسمع في عهد أبي بكر ولا عهد عمر)[٥] وبالطبع فإن قراراً كهذا كان القصد منه إلغاء

١) مختلف في اسمه ونسبه وصحبته وأحاديثه، للتفصيلات ينظر ابن الأثير: أسد الغابة ١٤٣/٢؛ ابن حجر: الإصابة ٣٤٦/٢-٣٤٧.

٢) ابن حجر: الإصابة ٣٤٦/٢.

٣) ينظر الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد ٢٨١/١٠.

٤) ينظر الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد ٢٨٣/١١.

٥) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٣٦/٢.

دور الفقهاء الرواة، وإفساح المجال لفقهاء الدولة للأخذ بدورهم في رسم معالم السياسة، مقابل حصول الأمير على تأييد يشرعه فقهاء الدولة [١].

وهذا يعود بنا إلى موضع الخلاف الذي حدث بين عثمان والصحابي أبي ذر الغفاري رضي الله عنه إثر محاولات كعب الأحبار التدخل في فتاوى المسلمين[٢]، ففي رواية عن سهل بن سعد الساعدي[٣] أنّ أبا ذر رضي الله عنه كان جالساً عند عثمان فقال الأخير: (أرأيتم من أرى زكاة ماله هل في ماله حق غيره؟ قال كعب: لا، فرفع أبو ذر بعصاة في صدر كعب ثم قال: يا بن اليهوديَين أنت تفسر كتاب الله برأيك... ثم قال عثمان: أترون بأساً أن نأخذ من بيت مال المسلمين مالاً فنفرقه فيما ينوبنا من أمرنا ثم نقضيه؟ ثم قال أناس منهم: ليس بذلك بأس، وأبو ذر ساكت، فقال عثمان: يا كعب ما تقول؟ فقال كعب: لابأس بذلك؛ فرفع أبو ذر عصاه فوجى بها في صدره ثم قال: أنت يا بن اليهوديين تعلمنا ديننا! فقال عثمان: ما أكثر أذاك لي وأولئك بأصحابي، إلحق بمكينك وغيب عني وجهك)[٤].

لم تكن وقفة أبي ذر رضي الله عنه هنا إلاّ تصدياً لفقهاء الدولة الذين فسح لهم الأمراء المجال للتدخل في فتيا المسلمين أمثال كعب الأحبار الذي استضافه عثمان حبراً يهودياً يقرر ما يجب وما لا يجب من أحوال المسلمين وبحضور

١) الحلو: تاريخ الحديث النبوي /٢٧٧.

٢) ينظر الفصل الأول، المبحث الثالث /٢٤.

٣) سهل بن سعد الساعدي من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان اسمه حزناً فسماه النبي صلى الله عليه وآله وسلم سهلاً، توفي سنة ٩٠هـ. خليفة بن خياط: تاريخ خليفة /٢٣٥؛ ابن الأثير: أسد الغابة ٢/٣٧٠.

٤) أبو الصلاح الحلبي: تقريب المعارف /٢٦٥؛ المجلسي: بحار الأنوار ٣١/٢٧٢، ٩٣/٩٣.

الصحابة الأوائل من أمثال أبي ذر رضي الله عنه ، ولكن الذي يؤاخذ على ذلك هو عثمان نفسه بطبيعة الحال فلا معنى لأن يستفتي اليهود في مجلسه في أمور المسلمين ويترك صحابياً قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ماأظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر، شبه عيسى ابن مريم فقال عمر بن الخطاب كالحاسد: يا رسول الله أفنعرف ذلك له؟ قال نعم فاعرفوه)[١].

هذا وقد شهد الإمام علي عليه السلام لأبي ذر رضي الله عنه بصدق اللهجة في مجلس عثمان حين روى أبو ذر حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بني أبي العاص قائلاً: (إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً، وعباد الله خولاً، ودين الله دخلاً)[٢].

ومن المستبعد أن يكون عثمان لا يعرف ذلك الفضل لأبي ذر رضي الله عنه ويستنكر مقامه فينتهي به المطاف بطرده من مجلسه ومن ثم نفيه إلى الشام[٣] ومن غير الجدير أن تلغى خصوصية أبي ذر رضي الله عنه بعد أن شهد له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصدق اللهجة والحديث وأمر أصحابه أن يعرفوا له ذلك الفضل، فشهادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم له بمنزلة أمر نبوي عممه

---

١) الترمذي: سنن الترمذي ٣٣٤/٥؛ وينظر: ابن حنبل: مسند ابن حنبل ١٦٣/٢، ١٧٥، ٢٢٣،١٩٧/٥، ٤٤٢/٦؛ ابن ماجة: سنن ابن ماجة ٥٥/١؛ الحاكم النيسابوري: المستدرك ٣٤٢/٣، ٣٤٤، ٤٨٠/٤.

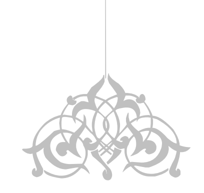
٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٥٦/٣.

٣) ينظر: ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٥٤/٣، ٥٨، ٢٥٦/٨؛ المتقي الهندي: كنز العمال ٧٨٤/٥.

على جميع المسلمين وأمرهم بالسماع له والأخذ منه، أمّا أن يفتي مثل كعب الأحبار وهو حديث العهد بالإسلام في حضرة أبي ذر فهذا ما لا يحق لأحد أن يقبله، ثم ان هذا التحرك من عثمان هو بمنزلة مواجهة الصحابة الرواة وايذان باستكمال مرحلة ألا وهي تنشيط النص التوراتي الذي أريد له أن يشارك الحديث النبوي في مهمته ويزاحمه في خصوصياته، وعدّه توطئة لحلوله محله وناطقاً باسم النظام فضلاً عن أراء كعب وغيره (الفقهية) في تحديد معالم الدولة الإسلامية[(١)] عن طريق بث الإسرائيليات في الحديث النبوي الشريف وتحريف نصوصه، وهذا هو الافتراء الذي مارسه بعضهم بحق النبي صلى الله عليه وآله وسلم والنبوة، وهو القشة التي قصمت ظهر البعير إيذاناً بدخول المدلسين والمحرفين لنصوص الحديث الشريف إذ افتروا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم مالايعد ولايحصى من الأحاديث المكذوبة.

---

١) الحلو: تاريخ الحديث النبوي /٢٧٩.



المبحث الرابع: منع رواية الحديث النبوي الشريف

ظهرت بدايات الاتجاه الرافض لرواية الحديث وتدوينه لدى تيار من المنافقين، وكانت قريش على وجه التحديد ومن رأى رأيها وتعامل معها عبر مصالح مرتبطة بصورة أو بأخرى، هي الداعم لذلك التيار [١].

واختلفت أسباب ذلك المنع حسب الزمان والمكان، ولكنها اتفقت في الأهداف من حيث تغييب نص الحديث النبوي، وربما كانت وراء ذلك دوافع وأطماع شخصية في الوصول للجاه أو المنصب أو كان حسداً ونكاية بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولقد كانت الحجة في رفض الحديث تنصب على كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشر يرضى ويغضب، وعليه قد يتكلم والحالة هذه بما لا يتفق مع الحق والواقع، والهدف من ذلك أنّ النبي غير معصوم أي أنّه ينطق عن الهوى بما تقتضيه هاتان الحالتان في الإنسان العادي فإذا رضي أخرجه رضاه عن الحق وكذا إذا غضب فما تكلم به في الحالتين ينشأ عنهما أمر بعيد عن الحق.

ذكر عبدالله بن عمرو[٢] ذلك قائلاً: (قالت لي قريش تكتب عن رسول الله

---

١) جعفر مرتضى: الصحيح من سيرة النبي الأعظم ١/٥٥.

٢) عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم، أُمه ريطة بنت منبه بن الحجاج بن عامر، أسلم قبل أبيه وكان يكتب أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسمّى صحيفته التي كان يكتبها الصادقة ←

صلى الله عليه وآله وسلم وإنما هو بشرٌ يغضب كما يغضب البشر فأتيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت يا رسول الله إنّ قريشاً تقول تكتب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنما هو بشر يغضب كما يغضب البشر. قال فأومى لي شفتيه فقال والذي نفسي بيده ما يخرج مما بينهما إلاّ حق فاكتب)[١].

وعليه فقد كان أمره صلى الله عليه واله هو كتابة أحاديثه ولم يكن هنالك نهي عن كتابتها، لكن ربما أثمرت بعض جهود ذلك التيار المعارض لتدوين الحديث سيما في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإن كان ذلك ضمن نطاق إيجاد الوسواس في صدور الناس، أو حتى خلق هذه الفكرة عند بعض الصحابة كما في الحديث آنف الذكر عندما جاء عبد الله بن عمرو إلى النبي ليستفهم عن حقيقة ما ادعته قريش.

كانت لهذه السياسة في الافتراء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم آثار على المدى القريب والبعيد آنذاك، فعلى المدى القريب كان لها أثرٌ في زعزعة من لم يكن إيمانه راسخاً، أمّا على المدى البعيد هيأت الجو العام عند المسلمين لاستقبال أو تلقي الأحاديث المكذوبة التي افتري بها عليه، وكان ذلك من أهم مكاسب أصحاب هذا التيار، وذلك لتحكم مقاصدهم فنسبوا إليه القول: (اللهم إني أتخذ عندك عهداً لا تخلفينه، فإنما أنا بشر، فأي المؤمنين آذيته أو سببته أو قال: لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة وصلاة وقربه تقربة بها إليك يوم القيامة)[٢] أو (اللهم إنّما

لأنها كتبها مباشرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من دون واسطة، مات بالطائف سنة ٦٦هـ. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤/٢٦١-٢٦٢؛ خليفة بن خياط: طبقات خليفة /٥٥٠.

١) الحاكم النيسابوري: المستدرك ١/١٠٤.

٢) ابن حنبل: مسند ابن حنبل ٢/٤٤٩، ٣/٣٣.

أنا بشر أغضب كما يغضب البشر وأرضى كما يرضى البشر فأيما أحد دعوت عليه من أُمتي بدعوة ليس لها بأهل أن تجعلها له طهوراً وزكاة وقربة تقربه بها منه يوم القيامة)[١].

واختلقوا أيضاً القول: (أنتم أعلم بأمر دنياكم) أو قال (إذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر) [٢].

وإذا دققنا في متون هذه الأحاديث وعرضناها على القرآن الكريم لوجدناها منافية لما جاء فيه من وصف نبيه، قال تعالى: { وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى*إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى } [٣] وقال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ } [٤] وقوله سبحانه: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ } [٥].

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله: (سألت اليهود عن موسى فأكثروا فيه وزادوا ونقصوا حتى كفروا وسألت النصارى عن عيسى فأكثروا فيه وزادوا ونقصوا حتى كفروا وإنه سيفشوا عني أحاديث فما أتاكم من حديثي فاقرأوا كتاب الله واعتبروه فما وافق كتاب الله فأنا قلته ومالم يوافق كتاب الله فلم أقله)[٦].

وكذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا حدثتم عني بالحديث فأنحلوني أهنأه وأسهله وأرشده فإن وافق كتاب الله فأنا قلته، وأن لم يوافق كتاب الله فلم

١) مسلم: صحيح مسلم ٨/٢٧.
٢) مسلم: صحيح مسلم ٧/٩٥.
٣) النجم: ٣.
٤) الممتحنه: ٦.
٥) الأحزاب: ٢١.
٦) الطبراني: المعجم الكبير ١٢/٢٤٤؛ الهيثمي: مجمع الزوائد ١/١٧٠.

أقله)[١].

وعليه فإن المقياس الذي وضعه لنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دراسة أحاديثه والتأكد منها هو المقياس الذي يمكن من خلاله معرفة السقيم منه أو الصحيح، فكل ما يتعارض من سُنة نبوية مع القرآن الكريم فهو مرفوض ولا يمكن الأخذ به وإن كان الحديث صحيح السند، لأن إشارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم هنا هي دراسة نص الحديث ومقارنته وعرضه على القرآن الكريم، فهو مقياس صحيح أخذ به الكثيرون من الثقاة، إذ روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: (كل شيء مردود إلى كتاب الله والسُنة، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف) [٢].

إنّ هذا المقياس يتوافق أيضاً مع قواعد النقد العلمي، إذ لابد للباحث من ان يقبل لنفسه مقياساً يعرض عليه ما اتفق المتأخرون والمتقدمون من المؤرخين والباحثين وما اختلفوا بشأنه، فما أقره هذا المقياس أخذ به وما لم يصدقه لم يؤخذ به، ولا نعني بهذا القول أن نقلل من أهمية ما قام به علماء الجرح والتعديل من دراسات لتقصي أحوال رجال الحديث أو ما اصطلح على تسميته علم الرجال، فهؤلاء بذلوا جهداً كبيراً في هذا المجال مما يستحقون عليه الثناء والتقدير، ولكنهم على فضلهم وتدقيقهم لم يبلغوا الغاية من عملهم، إذ ما زالت كتب الحديث تحمل في طياتها كثيراً من الأحاديث الموضوعة ولم يكن ذلك عن تقصير منهم لأنهم بذلوا ما في وسعهم، ولكن كان ذلك لما هو فوق قدرتهم لأن علم الرجال إنّما كان لظاهر أحوالهم وما وصل من أخبارهم أما بواطنهم فهذا أمر لا يعلمه إلا

١) البرقي: المحاسن ١/٢٢١.

٢) البرقي: المحاسن ١/٢٢١ - ٢٢٢.

علام الغيوب[١].

وعليه إذا نقدت متون الروايات كما تنتقد أسانيدها لقضت المتون على كثير من الأسانيد بالنقض؛ وقد قيل من علامة الحديث الموضوع: مخالفته ظاهر القرآن الكريم أو القواعد المقررة في الشريعة أو لبرهان العقل، أو الحس والعيان وسائر اليقينات [٢].

هذا من جهة، ومن جهة أخرى إذا قارنا بين الوضع في الحديث النبوي الشريف وبين المنع من تدوينه، نلحظ أنّ هذين الخطين صنوان لا يفترقان ومع أنّهما يختلفان في الأسباب لكنهما متفقان في النتائج وهو الافتراء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

كانت اللحظة الحاسمة في مسألة منع الحديث عن التدوين قبيل وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومع أنّنا أشرنا فيما سبق إلى بداية ذلك المنع[٣] إلا أنّ هذه البادرة كانت الأولى من نوعها إذ إنّ النبي نفسه قد منع من تدوين حديثه أو بالأحرى وصيته للأمة الإسلامية وهو ما عرف واشتهر بـ(رزية يوم الخميس) حينما أراد صلى الله عليه وآله وسلم أن يكتب كتاباً للأمة لكي لا تضل بعده، فصدرت من بعض الحاضرين كلمات غير لائقة في حق النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقيل إنّه أهجر أو هجر أو يهجر حسب اختلاف الروايات[٤] واتفق

١) أبو رية: أضواء على السنة المحمدية /٣٣٧.

٢) اليوسفي: موسوعة التاريخ الإسلامي ٣٥/١.

٣) ينظر الفصل الأول، بداية المبحث الرابع / ٣٨.

٤) الصنعاني: المصنف ٥٧/٦، ٣٦١/١٠؛ الحميدي: مسند الحميدي ٢٤٢/١؛ ابن حنبل: مسند ابن حنبل ٢٢٢/١، ٣٥٥/١؛ البخاري: صحيح البخاري ٣١/٤، ٦٤/٤-٦٥، ١٣٧/٥؛ مسلم: صحيح مسلم ٧٥/٥-٧٦.

المحدثون كافة على هذه الحادثة[١] فقيل في ذلك اليوم أي يوم الخميس تفخيم أمره في الشدة والمكروه وهو أمتناع كتابة ذلك الكتاب[٢] ثم جاء الرفض القاطع والجازم لكل ما يكتب بعبارة (حسبنا كتاب الله)، هذه العبارة التي اشتهرت في كتب الحديث وغيرها، فعن ابن عباس قال: (لما حضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي البيت رجال وفيهم عمر بن الخطاب... قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم هلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً فقال عمر إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد غلب عليه الوجع وعندنا القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت فاختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده وفيهم من يقول ما قال عمر فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قوموا قال عبد الله وكان ابن عباس يقول إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم)[٣].

وإذا أُمعن النظر في هذا النص نلحظ أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد مُنع بصورة أو بأخرى من تدوين ما أراد أن يكتبه، وكان زعيم هذا المنع عمر بن الخطاب وبعض الحاضرين، ثم إن عبارة (قد غلب عليه الوجع) قد جُملت، بمعنى آخر لم تكن هي العبارة التي نطقها عمر ولكن كتب الصحاح أوردت المعنى من

١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٥١/٦.

٢) السيوطي: الديباج على مسلم ٢٣١/٤.

٣) الصنعاني: المصنف ٤٣٨/٥؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى٢٤٤/٢؛ ابن حنبل: مسند ابن حنبل ٣٣٦/١؛ البخاري: صحيح البخاري ١٣٨/٥، ٩/٧؛ مسلم: صحيح مسلم ٧٦/٥؛ النسائي: السنن الكبرى ٤٣٣/٣،٣٦٠/٤؛ المفيد: الأمالي /٣٦ ؛ ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب ٢٠٢/١؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٥٥/٢؛ ابن بلبان: صحيح ابن حبان ٦٥٢/١٤.

دون اللفظ الحقيقي لأن عمر قال: (النبي يهجر) فهذه العبارة حذفت من بعض الروايات ومنها النص السابق آنف الذكر، على الرغم من أنّها وردت بهذا اللفظ من دون الإشارة إلى قائلها كما مر بنا سابقاً، وهذا ما أورده النووي وإن كان قد أورد احتمال تعدد الروايات، لكنه في الوقت نفسه حاول أن يجد تسويفاً لتلك الحادثة التي تغاضى عنها أهل الصحاح ومروا عليها من دون تمحيص أو تعليق مثل ابن حنبل والبخاري ومسلم، إذ قال النووي: (... اعلم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم معصوم من الكذب ومن تغيير شيء من الأحكام الشرعية في حال صحته وحال مرضه ومعصوم من ترك بيان ما أمر ببيانه وتبليغ ما أوجب الله عليه تبليغه وليس معصوماً من الأمراض والأسقام العارضة للأجسام ونحوها مما لا نقص فيه لمنزلته ولا فساد لما تمهد من شريعته وقد سحر صلى الله عليه وآله وسلم حتى صار يُخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يكن فعله ولم يصدر منه صلى الله عليه وآله وسلم وفي هذا الحال كلام في الأحكام مخالف لما سبق من الأحكام التي قررها فإذا علمت ما ذكرناه فقد اختلف العلماء في الكتاب الذي هم النبي صلى الله عليه وآله وسلم به فقيل أراد أن ينص على الخلافة في إنسان معين لئلا يقع نزاع وفتن وقيل أراد كتاباً يبين فيه مهمات الأحكام ملخصة ليرتفع النزاع فيها ويحصل الاتفاق على المنصوص عليه وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم هم بالكتاب حين ظهر له أنه مصلحة أو أوحي إليه بذلك ثم ظهر أن المصلحة تركه أو أوحي إليه بذلك ونسخ ذلك الأمر الأول وأما كلام عمر رضي الله عنه فقد اتفق العلماء المتكلمون في شرح الحديث على أنه من دلائل فقه عمر وفضائله ودقيق نظره لأنه خشي أن يكتب صلى الله عليه وآله وسلم أموراً ربما عجزوا عنها واستحقوا العقوبة عليها لأنها منصوصة لا مجال للاجتهاد فيها فقال عمر حسبنا

كتاب الله لقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وقوله اليوم أكملت لكم دينكم فعلم أن الله تعالى أكمل دينه فأمن الضلال على الأمة وأراد الترفيه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان عمر أفقه من ابن عباس...)[١].

ويا للعجب كله من اعتذار النووي عن شرح تلك الرزية التي ذكرها ابن عباس، ويا حبذا لو لم يعتذر لكان أفضل له، إذ إن كلام النووي فيه من التناقضات الشيء الكثير، فكيف أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم معصوم في صحته ومرضه ومعصوم من عدم ترك ما أمر بتبليغه ولكنه في المقابل كان قد سحر وصار يخيل إليه أنّه فعل الشيء ولم يفعله؟! ألا يتناقض ذلك مع العصمة التي تكلم بها النووي؟ وألا يدل ذلك وبصورة لا تقبل الشك على أنّه كان تسويفاً لقول عمر إنّ النبي يهجر[٢]؟ فلو تتبعنا أصل هذه الكلمة في معاجم اللغة لوجدنا أنّ لها أثنين من المعاني، الأول: هو الهجر بمعنى قول الخنا والإفحاش في المنطق، والثاني: الهجر بمعنى الهذيان وهو مثل كلام المحموم والمبرسم، يقال هجر المريض يهجر هجراً فهو هاجر والكلام مهجور، فالهجر هو الهذيان والهجر بالضم: الاسم من الإهجار وهو الإفحاش، وكذلك إذا كثر الكلام فيما لا ينبغي، وهجر في نومه ومرضه يهجر هجراً وهجيري وإهجيري: هذى، قال سيبويه: الهجيري كثرة الكلام والقول السيئ وقيل هو القبيح من الكلام[٣].

وإذا فهمنا معنى هذه الكلمة في اللغة فإنّه يتبين سبب اعتذار النووي وكذلك

---

١) شرح مسلم ١١/٩٠.

٢) ينظر شرح مسلم ١١/٨٩.

٣) الفراهيدي: العين ٣/٣٨٧؛ الجوهري: الصحاح ٢/٨٥١؛ ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ٦/ ٣٥؛ ابن منظور: لسان العرب ٥/٢٥٣ وما بعدها.

مراده من الإشارة إلى أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم بشر كسائر البشر وليس معصوماً من الأمراض والأسقام العارضة للأجسام والتي تجعل الإنسان يهذي فيقول ما لا يدري.

وإمّا التناقض الثاني في كلام النووي فهو مراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الكتاب الذي أراد أن يكتبه، إذ يرى النووي أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يريد ان ينص على الخلافة في إنسان معين أو أنّه أراد أن يكتب لتبيان مهمات الأحكام لئلا يحصل التنازع والفتن، وإذا كان كذلك فاللوم كله يقع على من منعه من الكتابة، ولكن النووي تغاضى عن ذلك بل إنّه ادعى أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم نسخ ذلك الأمر فهو حين همَّ بالكتاب ظهر له (والكلام للنووي) أنّه مصلحة أو أوحي إليه بذلك ثم ظهر أنّ المصلحة تركه أو أوحي إليه بذلك ونسخ ذلك الأمر؟! ولا نعلم هل أنّ النسخ أو الناسخ والمنسوخ هو أسلوب قرآني أم أنّه سُّنة نبوية؟! وهذا ما لا يجيب عليه النووي، لكنه بالمقابل أشار إلى أنّ منع ذلك من لدن عمر كان من دلائل فقه عمر وفضائله ودقيق نظره لأنه خشي أن تكتب أمور ربما عجزوا عنها واستحقوا العقوبة عليها لأنها منصوصة لامجال للاجتهاد فيها وهذا باتفاق العلماء الذين تكلموا بشرح هذا الحديث؛ ولا نعرف مَنْ هم العلماء؟! ثم لماذا يخشى عمر وغيره من تنفيذ أوامر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا كان منصوصاً عليها؟ وهل خشي من منع العقوبة فعلاً؟ وهل فضائل عمر وفقهه ودقيق نظره تكمن في منع النبي عن تبليغ ما أمر به؟ وهل ذلك يمنحه الأفضلية على ابن عباس؟ نعتقد أنّ تلك التسويفات كلها كانت من شطحات النووي في شرح ذلك، سيما وأنّه روى أنّ النبي قد أراد

من كتابه أن يكتب فيه استخلاف أبي بكر ثم ترك ذلك اعتماداً[١].

وإذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يهذي فلماذا قام بطردهم من حضرته عندما تنازعوا واختلفوا؟ ألا يعني هذا بطلان دعواهم أو على الأقل أنّه كان في تمام رشده ووعيه، إذ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم (قوموا) حسب أغلب الروايات التي وردت في كتب الصحاح[٢] التي استقطع منها عبارة (فلا ينبغي عند نبي التنازع)[٣] إذ إنّ بعض أهل الصحاح لم يورد تكملة قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما خلا البخاري الذي أورد ذلك في إشارة عرضية دون التعليق عليها[٤].

وعلق ابن حجر على هذه الحادثة محاولاً إزالة الالتباس الذي لم يستطع هو أيضاً الاقتناع به، إذ قال في ذلك: (... وإنّما خاف عمر أن يكون ما يكتبه في حالة غلبة المرض فيجد بذلك المنافقون سبيلاً إلى الطعن في ذلك المكتوب... "قوله ولا ينبغي عندي التنازع" فيه إشعار بأن الأولى كان المبادرة إلى أمتثال الأمر وإن كان ما اختاره صواباً)[٥] ولا نعلم هل الصواب في منع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تدوين ما يريد وعلى حساب ذلك يتم النظر للمنافقين والأخذ بآرائهم؟ ثم إذا كان الأولى الأخذ بالمبادرة والامتثال لأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي هو أمر الله (سبحانه وتعالى) فكيف يطابق ذلك أن ما اختاره عمر هو

---

١) شرح مسلم ١١/٩٠- ٩١.

٢) ينظر الفصل الأول، المبحث الرابع /٤١.

٣) ابن طاووس: الطرائف / ٤٣٣؛ القمي الشيرازي: الأربعين /٥٣٤.

٤) ينظر صحيح البخاري ١/٦٣٧.

٥) فتح الباري ١/١٨٦.

الصواب؟! هذا ما وقع فيه ابن حجر من تناقض، ثم إنّ مثل هذه التساؤلات لا تجيبنا عنها المصادر الإسلامية وهي ما فتحت الباب على مصراعيه للمستشرقين وغيرهم من المتقولين للافتراء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أولاً وعلى معتقدات المسلمين ثانياً.

ومن لطائف وطرائف بعض المصادر أنّها حاولت تسويغ مخالفة أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالقول: (إنّما قصد عمر التخفيف على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين غلب عليه الوجع وذلك لأن الله سبحانه وتعالى قد أكمل دينه في كتابه العزيز فأمن بذلك الضلال على الأمة) [1].

ويحق لنا القول: إنّ ذلك قد آذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يخفف عنه بدلالة قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (قوموا عني فلا ينبغي عند نبي التنازع) ثم كيف يكون التخفيف عنه بمخالفة أوامره وعدم الامتثال لها؟ فهذا ما يناقض العقل والواقع ناهيك عن ذلك أنّه كيف يتم الاجتهاد من أحد في مسألة تتعلق بمصير المسلمين بحضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلا اجتهاد مع وجود النص، ولذلك فإنّنا نرى أنّ من ذهب إلى هذا الرأي قد أخطأ خطأً جسيماً في تسويغ ما هو خلاف الحقيقة.

وإذا كان ذلك ما حدث قبيل وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنه بعد وفاته كانت القضية أكبر في منع الحديث النبوي الشريف وحظره عن المسلمين بل وحتى حرقه بالنار، فعن عائشة قالت: (جمع أبي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانت خمسمائة حديث فبات ليلته يتقلب كثيراً قالت فغمني

١) ابن حجر: فتح الباري ١٠٢/٨؛ النووي: شرح مسلم ٩٠/١١؛ السيوطي: الديباج على مسلم ٢٣٣/٤.

فقلت أتتقلب لشكوى أو لشيء بلغك؟ فلما أصبح قال أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك فجئته بها فدعا بنار فحرقها، فقلت لم أحرقتها؟ قال خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت به ولم يكن كما حدثني فأكون قد نقلت ذاك)، وقال الذهبي بعد إيراد ذلك: (فهذا لا يصح والله أعلم)[1].

ونوافق الذهبي فيما ذهب إليه في عدم صحة حرق حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمّا سبب الحرق في هذه الرواية فلا يؤخذ به لأن سُنّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تؤخذ بجريرة رجل أئتمنه أبو بكر ولم يكن كذلك، والظاهر عندنا أنّه أراد منع تداول الحديث بين المسلمين، يؤيد ذلك ما رواه الذهبي من حديث أبي بكر أنّه: (... جمع الناس بعد وفاة نبيهم فقال إنكم تحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافاً فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه)[2].

ولا يبدو أنّ السبب المذكور في هذه الرواية هو الأنسب لمنع رواية الحديث الشريف، وإنما السبب الحقيقي هو ما ذهب إليه عمر بن الخطاب قبيل وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقوله حسبنا كتاب الله فهي السياسة التي سار عليها القوم قبيل استشهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فالسبب الوارد في الرواية آنفاً غير مقنع لأن الأحاديث بعد استشهاده صلى الله عليه وآله وسلم كان قد تداولها أكابر الصحابة وعلى عاتقهم كانت تروى.

١) تذكرة الحفاظ ١/٥؛ ينظر المتقي الهندي: كنز العمال ١٠/٢٨٥.

٢) تذكرة الحفاظ ١/٢- ٣.

ثم إنّ الرواية أشارت إلى أنّ أمر أبي بكر جاء بعد استشهاده صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة فهي ليست بالمدة الزمنية البعيدة لكي يختلف فيها المسلمون، وحتى حكومة أبي بكر لم تتعد الثلاث سنوات فكيف ومتى اختلف في رواية الحديث في هذه المدة الزمنية القصيرة جداً؟!.

وذهب الذهبي أبعد مذهب عندما سوّغ ما صدر عن أبي بكر في سد باب الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً: إنّ مراده (التثبت في الأخبار والتحري لا سد باب الرواية، ألا تراه لما نزل به أمر الجدة ولم يجده في الكتاب كيف سأل عنه في السُّنة فلما أخبره الثقة ما اكتفى حتى استظهر بثقة آخر ولم يقل حسبنا كتاب الله كما تقوله الخوارج)[١] وتناسى الذهبي أنّ هذا القول قبل أن تقوله الخوارج قد قاله عمر بن الخطاب في حضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم كيف سوّغ الرجوع إلى السُّنة من لدن أبي بكر والأخير يلغي السُّنة بحرقه أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي لابد من أنه سمع الكثير منها لأنه قد عاصره فهذا مالا نجد الإجابة عليه؟! ولكننا نجد إجابة ذلك الاستفهام عند كبار الصحابة آنذاك إذ وقف أمام هذا التيار جمع منهم أمثال أبي ذر الغفاري وسلمان المحمدي والمقداد وعمار بن ياسر وكان ذلك بدعم من الإمام علي عليه السلام وتأييده، إذ عارضوا هذا العمل معارضة شديدة وأكدوا أنّ للكتاب عِدلاً وهي السّنة وكان من نتيجة الأمر أن أبعدت السلطة الحاكمة آنذاك أبا ذر الغفاري من بلد إلى بلد حتى لقي حتفه طريداً بالربذة سنة٣١هـ[٢].

ولعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أنبأنا بما سيحدث بعد استشهاده،

---

١) تذكرة الحفاظ ٣/١.

٢) الطوسي: الخلاف ٣٠/١.

إذ ورد ذلك بمعنى واحد ولكن بألفاظ مختلفة في حديث نبوي شريف، فقد روى الشافعي ذلك عن عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر من أمري مما نهيت عنه أو أمرت به فيقول ما ندري، ما وجدناه في كتاب الله اتبعناه) [1].

وفي لفظ آخر قال: (أيحسب أحدكم متكئاً على أريكته قد يظن أنّ الله لم يحرم شيئاً إلاّ ما في هذا القرآن ألا وإنّي والله قد وعظت وأمرت ونهيت عن أشياء، إنها لمثل القرآن أو أكثر، وإنّ الله عز وجل لم يحل لكم أن تدخلوا بيوت أهل الكتاب إلا بإذن، ولا ضرب نسائهم، ولا أكل ثمارهم إذا أعطوكم الذي عليهم)[2].

وورد هذا الحديث بلفظ آخر إذ قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (يوشك أحدكم أن يكذبني وهو متكئ على أريكته يحدث بحديثي فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدناه فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وإنّ ما حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل ما حرم الله)[3].

وفي لفظ آخر قال صلى الله عليه وآله وسلم: (هل عسى أن أحدثكم أن

١) الأم: ٧ /١٦، ٣٠٣ ؛ المسند / ١٥١، ٢٣٤؛ وينظر: ابن ماجة: سنن ابن ماجة ٧/١؛ أبو داود: سنن أبي داود ٣٩٢/٢؛ الترمذي: سنن الترمذي ١٤٤/٤؛ الحاكم النيسابوري: المستدرك ١٠٨/١؛ البيهقي: السنن الكبرى ٧٦/٧؛ الحميدي: مسند الحميدي ٢٥٢/١؛ الطبراني: المعجم الكبير ٣١٦/١؛ ابن عبد البر: التمهيد ١٥١/١، جامع بيان العلم وفضله ١٨٩/٢؛ الخطيب البغدادي: الكفاية في علم الرواية /٢٥؛ المتقي الهندي: كنز العمال ١٧٤/١.

٢) أبو داود: سنن أبي داود ٢ / ٤٥؛ البيهقي: السنن الكبرى ٢٠٤/٩؛ السيوطي: الجامع الصغير ٤٦٨/١؛ المتقي الهندي: كنز العمال ١٧٤/١، ١٩٤.

٣) ابن حنبل: مسند ابن حنبل ٤/ ١٣٢.

يكذبني وهو متكئ على حشاياه، يحدث عني بالحديث فيقول: ما قال هذا رسول الله النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن لنا بذلك)[١].

وفي لفظ آخر قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (عسى أن يحدثكم وهو متكئ على أريكته يبلغه الحديث عني فيقول ماقال ذا رسول الله دع هذا وهات ما في القرآن)[٢].

وهنا نقول ومن دون تحفظ هل هذه المعاني التي وردت بألفاظ مختلفة من حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تنطبق على السياسة التي سار عليها القوم بعد استشهاده صلى الله عليه وآله وسلم والتي أصبحت فيما بعد سياسة سار عليها الأُمويون حتى إمارة عمر بن عبد العزيز؟ ولا نحتاج إلى مشقة لإثبات ذلك ولكن للقارئ الحاذق نترك مهمة الإجابة عن هذا السؤال.

ففي الأحاديث آنفة الذكر ما يغني عن البيان مما أوردنا، وكذلك بها الجواب لمن قال حسبنا كتاب الله؛ فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد حذر من مخالفة أمره كما حذر من مخالفة كتاب الله عز وجل ومن يخالف شيئاً من أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحق عليه ما يحق على مخالف كتاب الله[٣].

لم تكن سياسة عمر بأحسن حالاً من سياسة أبي بكر إذ إنّه منع رواية الحديث ومن ثم منع تدوينه، فعن قرظة بن كعب[٤] قال: (إنّ عمر شيع الأنصار

---

١) الصنعاني: المصنف ١٠/٤٥٣.

٢) المتقي الهندي: كنز العمال ١/١٩٤.

٣) ابن سلمة: معاني الآثار ٤/٢٠٩.

٤) قرظة بن كعب بن عمرو بن عامر الخزرجي الأنصاري، شهد أحداً وما بعدها من المشاهد، وهو أحد العشرة الذين بعثهم مع عمار بن ياسر إلى الكوفة من الأنصار، فتح الري سنة ٢٣هـ، ←

حين خرجوا من المدينة فقال أتدرون لم شيعتكم؟ قلنا لحق الأنصار. قال إنكم تأتون قوماً تهتز ألسنتهم بالقرآن اهتزاز النخل فلا تصدوهم بالحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا شريككم قال فما حدثت بشيء وقد سمعت كما سمع أصحابي).

وفي الرواية نفسها وبإسناد آخر عن قرظة بن كعب قال: (بعث عمر بن الخطاب رهطاً من الأنصار إلى الكوفة فبعثني معهم فجعل يمشي معنا حتى أتى صرار وصرار ماء في طريق المدينة فجعل ينفض الغبار عن رجليه ثم قال إنكم تأتون الكوفة فتأتون قوماً لهم أزيز بالقرآن فيأتونكم فيقولون قدم أصحاب محمد قدم أصحاب محمد فيأتونكم فيسألونكم عن الحديث فأعلموا أن أسبغ الوضوء ثلاث وثنتان تجزيان ثم قال إنكم تأتون الكوفة فتأتون قوماً لهم أزيز بالقرآن فيقولون قدم أصحاب محمد قدم أصحاب محمد فيأتونكم فيسألونكم عن الحديث فأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا شريككم فيه قال قرظة وإن كنت لأجلس في القوم فيذكرون الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإنّي لمن أحفظهم له فإذا ذكرت وصية عمر سكت) [1].

وفي رواية أخرى عن قرظة بن كعب أيضاً تشبهها بالمعنى وتخالفها باللفظ بعض الشيء أنّ عمر قال لهم: (إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل، فلا تحدثوهم فتشغلوهم، جردوا القرآن وأقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قال قرظة: فأتوني بعد، فقلت: إن عمر قد نهانا أن

ولاه الإمام علي الكوفة لما خرج إلى الجمل فلما خرج إلى صفين أخذه معه. ابن الأثير: أسد الغابة ٤/٢٠٢.

١) الدارمي: سنن الدارمي ١/٨٥.

نحدث)[١].

يبدو أنّ الروايات متواترة في أنّ عمر قد جهد جهداً كبيراً في النهي والمنع عن رواية الحديث، يؤيد ذلك أبو هريرة عندما سأله الناس بعد وفاة عمر: (أكنت تحدث في زمان عمر هكذا؟ فقال لو كنت أحدث في زمان عمر مثل ما أحدثكم لضربني بمخفقته) [٢].

وكان الحبس أيضاً من العقوبات التي استخدمت للمنع عن الحديث، فروي أن عمر حبس ثلاثة من الصحابة وهم ابن مسعود[٣] وأبو الدرداء[٤] وأبو مسعود الأنصاري[٥] وقال لهم: (قد أكثرتم الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)[٦]، وروي أنّ عمرَ قد هدد أبا موسى الأشعري[٧] بأغلظ الوعود عندما

١) المزي: تهذيب الكمال ٢٣ / ٥٦٥ – ٥٦٦.
٢) الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/٧.
٣) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب، كنيته أبا عبد الرحمن، هاجر الهجرتين إلى الحبشة وآخى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بينه وبين معاذ بن جبل، شهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد جميعها مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. ابن سعد: الطبقات ٣/١٥٠-١٥٢.
٤) أبو الدرداء: عويمر بن عامر وقيل بن قيس وقيل عامر بن زيد بن قيس الخزرجي الأنصاري، تأخر إسلامه ولم يشهد بدراً واختلف في اشتراكه في أحد وأول مشاهده الخندق، أخى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بينه وبين سلمان المحمدي، توفي قبل مقتل عثمان. ابن الأثير: أسد الغابة ٤/١٥٩ -١٦٠.
٥) أبو مسعود الأنصاري: عقبة بن عمرو من بني خدارة بن عوف بن الحارث من الخزرج، شهد ليلة العقبة وهو صغير ولم يشهد بدراً وشهد أحداً ونزل الكوفة فلما خرج الإمام علي عليه السلام إلى صفين استخلفه على الكوفة ثم عزله عنها فرجع إلى المدينة فمات بها في آخر أيام معاوية، انقرض عقبه فلم يتبقى منهم أحد. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٦/١٦.
٦) الذهبي: تذكرة الحفاظ ١/٧.
٧) أبو موسى الأشعري: عبد الله بن قيس من قبيلة مذحج أسلم في مكة وأول مشاهده في خيبر، ←

روى حديثاً في الاستئذان إن لم يأتِ بالبينة على صحة الحديث، فلما شهد له أُبي بن كعب[١] قال له الاخير: (يابن الخطاب فلا تكونن عذاباً على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال سبحان الله إنّما سمعت شيئاً فأحببت أن أتثبت)[٢].

هذا فيما يتعلق بسياسة عمر في النهي عن الحديث، لكن يبدو أنّ هذه السياسة لم ترضِه تماماً، لذلك اتجه إلى منع تدوين الحديث وتشدد في ذلك، قال عروة بن الزبير إنّ عمر بن الخطاب (أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك فأشاروا عليه بأن يكتبها فطفق عمر يستخير الله فيها شهراً ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له فقال إني كنت أريد أن أكتب السنن وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً)[٣].

وهذا النص يوضح لنا أنّ أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا

ولاه عمر بن الخطاب البصرة ثم عزله عنها فنزل الكوفة، استعمله عثمان بن عفان على الكوفة فقتل عثمان وأبو موسى عليها، كان أحد الحكمين بعد رفع المصاحف في صفين، مات سنة ٤٢هـ وقيل ٥٢هـ. ابن الأثير: أسد الغابة ١٦/٦.

١) أُبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معوية بن عمرو بن مالك بن النجار، شهد العقبة مع السبعين من الأنصار، آخى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينه وبين طلحة بن عبيد الله وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مات بالمدينة سنة ٢٢هـ وقيل ٣٠هـ. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٤٩٨/٣، ٥٠٢.

٢) مسلم: صحيح مسلم ١٨٠/٦؛ وينظر: أبو داود: سنن أبي داود ٥١٤/٢؛ النووي: شرح مسلم ١٢٢/١٤؛ ابن حجر: فتح الباري ٢٤/١١؛ العيني: عمدة القاري ٢٤٢/٢٢؛ المباركفوري: تحفة الأحوذي ٣٨٧/٧.

٣) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ٦٤/١؛ الأنصاري الهروي: ذم الكلام وأهله ٢٤٨/٣.

موافقين عندما استفتاهم عمر وأشاروا عليه بتدوين السنن، ولكنه اجتهد برأيه مخالفاً رأي الصحابة، وروي في الباب نفسه عن يحيى بن جعدة [١] قال: (أراد عمر أن يكتب السنة ثم كتب في الناس من كان عنده شيء من ذلك فليمحه) [٢].

وثمة تساؤل يتبادر إلى الذهن وهو كيف أراد عمر أن يكتب السنن (كما في الروايات آنفة الذكر) مع أنّه كان قد تشدد في النهي عن روايتها أصلاً (كما أسلفنا وأوردنا من روايات)، ألا يُعدَّ ذلك تناقضاً في الروايات كلها؟ ومع أنّ النتيجة واحدة وهي المسير على السياسة نفسها إذ إنه ابتدأ بالنهي عن الرواية وانتهى بمنع التدوين، إلا أنّ ذلك يدفعنا إلى معرفة السبب الذي من أجله مُنعت كتابة الحديث؟ فعمر قد أشار إلى أنه رأى قوماً أكبوا على كتبهم التي كتبوها وتركوا كتاب الله وبالمقابل رأى أن لا يشوب كتاب الله بشيء، هذا ما أورده من تسويغ؛ وفي خبر آخر (إنّ الأحاديث كثرت على عهد عمر بن الخطاب فأنشد الناس أن يأتوه بها فلما أتوه بها أمر بتحريقها ثم قال مثناة [٣] كمثناة أهل الكتاب [٤] ثم كتب في الأمصار من كان عنده شيء فليمحه) [٥]، فيظهر من هذه الرواية أنّ عمر تظاهر بأنّه يريد أن يكتب السنن كي يقنع الآخرين بأن يسلموه ما كان مكتوباً

١) يحيى بن جعدة بن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران القرشي المخزومي، ووالده جعدة له صحبة، وأم جعدة هي أم هانئ أخت الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. المزي: تهذيب الكمال ٤/ ٥٦٣.

٢) أبو خيثمة النسائي: كتاب العلم /١١.

٣) المثناة: كتاب وضعه أحبار بني إسرائيل بعد النبي موسى عليه السلام فيما بينهم على ماأرادوا من غير كتاب الله الذي أنزل عليهم. الزمخشري: الفائق في غريب الحديث ١/ ١٥٦.

٤) ابن سعد: الطبقات ١٨٨/٥؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ٥٩/٥، تاريخ الإسلام ٢١٢/٧.

٥) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ٦٥/١؛ المتقي الهندي: كنز العمال ١٠/ ٢٩٢.

عندهم من حديث النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، فلما استطاع إقناعهم بواسطة هذه الحيلة وجمع منهم ما كان يريده كشف عن نواياه ورجع إلى ديدنه وقام بإحراق الحديث.

ما يمكن أن نفهمه من الروايات آنفة الذكر أنّ عمَر لم تكن له النية بتاتاً في تدوين السُّنة النبوية، فهو اتخذ لنفسه سياسة سار عليها ولم يحد عنها ابتداءً من قبيل استشهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما قال حسبنا كتاب الله ومروراً بحرقه الأحاديث (وهو العمل نفسه الذي قام به أبو بكر) وانتهاءً بنهيه عن الرواية ومنعه تدوين السّنة النبوية الشريفة، وهذا ما اجتهد به عمر خير اجتهاد؛ وأمّا الخوف من اختلاط الحديث بالقرآن فهذا مردود ولا يقبله عاقل لأن في ذلك إسقاطاً للإعجاز القرآني الذي ليس كمثله شيء وإن كان حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فالقرآن الكريم لا يمكن أن يختلط بكلام مخلوق وهو المعجزة بحد ذاته فكيف الخوف من اختلاطه على المسلمين؟!.

وإذا كان ثمة معترض على قولنا من باب أنّ هناك حديثاً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر المسلمين بعدم الكتابة عنه[١] فهذا الحديث عليه مشكل إذ تتعارض معه أحاديث أخرى أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين بالكتابة عنه، وهذا ما أوردناه فيما سبق من استفهام عبد الله بن عمرو في تدوين السّنة النبوية حيث أمره النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك [٢].

ثم إنّ حديث النهي عن التدوين أخرجه الحاكم النيسابوري وذكر أنّه على

١) ابن حنبل: مسند ابن حنبل ١٢/٣؛ الدارمي: سنن الدارمي ١١٩/١؛ مسلم: صحيح مسلم ٢٢٩/٨.

٢) ينظر الفصل الأول، المبحث الرابع / ٣٨.

شرط الشيخين ولم يخرجاه ولذلك أشار إلى أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعبد الله بن عمرو في إجازة الكتابة[١] ثم إنّ ابن قتيبة قد استشكل ذلك من باب الأحاديث المتناقضة إذ قال: (قالوا رويتم عن همام بن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تكتبوا عني شيئاً سوى القرآن فمن كتب عني شيئاً فليمحه ثم رويتم عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عمرو قال قلت يا رسول الله أقيد العلم قال نعم قيل وما تقييده قال كتابته) [٢].

وعليه فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يمنع تدوين الحديث وإنما أمر به ولم يتخوف النبي نفسه من اختلاط القرآن الكريم بالحديث الشريف، فلا داعي لمن استشكل ذلك فيما بعد فالسُّنة ما سار عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وليس ما سار عليها من خالفه، ولو لم يُكتب الحديث الشريف في مدونات لما وصلنا الآن منه شيء إلا القليل ومع ذلك فقد ضاع منه الكثير بسبب تلك السياسة.

ويؤيد ما نذهب إليه من جواز الكتابة أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم حديث أبي هريرة أنّ عبد الله بن عمرو كان يكتب وأنا لا أكتب، وكذلك حديث صحيفة الإمام علي عليه السلام التي كان يكتب بها الأحاديث[٣]؛ ولكن عمر هو الذي أفرط في منع الرواية والتدوين، إذ قال لأبي هريرة: (لتتركن الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو لألحقنك بأرض دوس[٤]، وقال لكعب:

---

١) المستدرك ١/١٢٧.

٢) تأويل مختلف الحديث /٢٦٦.

٣) النووي: شرح مسلم ١٨/١٣٠.

٤) أرض دوس: هي المنطقة الواقعة في جبال السراة من أرض اليمن. ياقوت الحموي: معجم ←

لتتركن الحديث أو لألحقنك بأرض القردة [١]) [٢] وعن الزهري قال: (قال أبو هريرة لما ولي عمر قال: أقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا فيما يعمل به، قال ثم يقول أبو هريرة: أفأن كنت محدثكم بهذه الأحاديث وعمر حي؟ أما والله إذاً لألفيت المخفقة ستباشر ظهري) [٣].

سار عثمان على السياسة نفسها من حيث إقلال الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إذ ذكر ابن سعد عن محمود بن لبيد قال: (سمعت عثمان بن عفان يقول على منبر لا يحل لأحد يروي حديثاً لم يسمع به في عهد أبي بكر ولا عهد عمر فإنّه لم يمنعي أن أحدث عن صلى الله عليه وآله وسلم ألا أكون أوعى أصحابه إلاّ أني سمعته صلى الله عليه وآله وسلم يقول من قال عليّ ما لم أقل فقد تبوأ مقعده من النار) [٤].

ولا نرى هناك أي علاقة بين رواية الحديث والنهي عنه من لدن عثمان وبين التقول على النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي أردفه بكلامه، فليس كل من روى الحديث بالضرورة قام بالكذب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكنه كما أشارت الرواية اتبع السياسة نفسها التي سار عليها من قبله.

البلدان ٤/٣١٩.

١) أرض القردة: مختلف في موضعها، قيل هي من أرض نجد وقيل هي موضع بين المدينة والشام، روي أنّ غزوة زيد بن حارثة التي بعثها الرسول بثنية القردة. ياقوت الحموي: معجم البدان ٤/ ٢٤٨ – ٢٤٩.

٢) المتقي الهندي: كنز العمال ١٠/٢٩١.

٣) الصنعاني: المصنف ١١/٢٦٣.

٤) الطبقات الكبرى ٢/٣٣٦ - ٣٣٧؛ وينظر: ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٣٩/١٨٠؛ المتقي الهندي: كنز العمال ١٠ /٢٩٥.

وبطبيعة الحال اتخذ معاوية بن أبي سفيان المنوال نفسه في النهي عن الحديث ومنعه، إذ كان يخطب قائلاً: (يا أيها الناس أقلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنتم متحدثون لا محالة فتحدثوا بما كان يتحدث به في عهد عمر)[١].

واستمر الأمراء الأمويون على هذه السياسة حتى أيام عمر بن عبد العزيز الذي كتب إلى أبي بكر بن حزم [٢]: (انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاكتبه فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ولا يقبل إلا حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وليفشوا العلم وليجلسوا حتى يعلم من لا يعلم فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً) [٣].

ولكن يبدو أنّ البخاري الذي روى هذا النص قد أضاف إليه ووصله بكلام ليس من قول عمر بن عبد العزيز، فالظاهر من النص أنّ كلام عمر بن عبد العزيز ينتهي عند كلمة العلماء، ويؤيدنا بذلك ابن حجر الذي ذكر أنّ روايته تصل إلى هذه الكلمة، وقال معلقاً على ذلك: (... وهذا مشعر بأن باقي الكلام مدرج من كلام البخاري على كلام عمر بن عبد العزيز وهذا يقع له في الصحيح كثيرا)[٤].

---

١) الطبراني: مسند الشاميين ٣/٢٥١؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق ٢٦ / ٣٨٢؛ المتقي الهندي: كنز العمال ١٠/٢٩١.

٢) أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري الخزرجي، ولي القضاء والإمرة والموسم لسليمان ابن عبد الملك ثم لعمر بن عبد العزيز، مات سنة ١١٠هـ وقيل ١٢٠هـ. المزي: تهذيب الكمال ٣٣/ ١٣٧، ١٤٢.

٣) البخاري: صحيح البخاري ١/٣٣.

٤) ابن حجر: تغليق التعليق ٢/٨٨.

وقد أخرج هذا الحديث الحافظ أبو نعيم الأصفهاني فقال: (كتب عمر بن عبد العزيز إلى الآفاق انظروا حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأجمعوه واحفظوه فإني أخاف دروس العلم وذهاب العلماء)[١]، وعليه فإن بقية الكلام للبخاري ولا نعلم السبب الحقيقي الذي أدى بالبخاري إلى تلك الزيادة؟! ولكن هنالك من رأى أنّ تلك الزيادة قد أضيفت بعدما استقطع كلام من النص وكان القصد منها تيقن البخاري من أن هناك خلطاً مقصوداً من قبل السلطة آنذاك بين سّنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسنة غيره أريد لها أن تكون مجارية للسلطة معتمداً في ذلك على رواية عمر بن عبد العزيز في لفظ آخر وهي: (أن انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو سنة أو حديث عمر أو نحو هذا، فاكتبه لي فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء) ويتساءل الباحث هل أنّ حديث النبي غير السنة أو حديث عمر وما معنى (أو نحو هذا)[٢]؟؛ وقد وردت رواية هذا الحديث بهذا اللفظ فعلاً إذ أوردها السيوطي في أحد كتبه[٣]، وعليه نعتقد ان السبب الحقيقي الذي دعا عمر بن عبد العزيز لتدوين السنة النبوية لا يعدو كونه سبباً سياسياً وكان من متطلبات المرحلة آنذاك، ربما لديمومة الحكم الأُموي الذي بدأت تهتز أركانه بعدما عصفت به القلاقل والفتن فكانت تلك خطوة ذكية لتهدئة النفوس والخواطر.

ومهما يكن من أمر فإن مهمة ابن حزم لم تتم كما كان مرجواً لها، وذلك بسبب رواسب الحظر السابق من الأُمراء الذين سبقوا عمر بن عبد العزيز، وعليه

---

١) ذكر أخبار أصفهان ٣١٢/١.

٢) الكوراني العاملي: ألف سؤال وإشكال ٧٦/٢.

٣) تنوير الحوالك /٥.

لم يكتب شيئاً من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلا صحائف غير منظمة ولا مرتبة حتى سقطت دولة الأُمويين وقامت دولة بني العباس فبدأ العلماء في تدوين الحديث منذ ذلك الحين؛ إذ يذكر الذهبي أنه في أحداث سنة مائة وثلاث وأربعين قد ابتدأ ذلك، أما قبل ذلك العصر فكان سائر الأئمة يتكلمون عن حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة وغير مرتبة [١].

وكم تبدو لنا الخسارة الجسيمة جراء النهي والمنع في رواية الحديث وتدوينه منذ قبيل استشهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحتى تدوين آثاره في العصر العباسي، ولنا أن نتصور الكم الهائل من الأحاديث التي اختلطت على المسلمين بين حديث مفترى على النبي وبين أحاديث وضعت على لسان النبي ولم ينزل الله بها من سلطان، وهذا هو الافتراء الذي استخدم في الحديث الشريف وكان من آثار سياسة النهي والمنع في الرواية والتدوين.

---

١) تاريخ الإسلام: ١٣/٩.



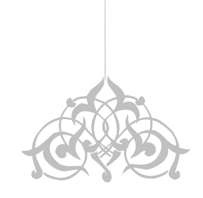
الفصل الثاني: الافتراء على سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل البعثة النبوية

المبحث الأول: تكفير أبوي النبي صلى الله عليه وآله وسلم

المبحث الثاني: حديث شق صدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم

المبحث الثالث: رعايته الغنم

المبحث الرابع: حديث أكله الحرام وما ذبح على النصب



المبحث الأول: تكفير أبويّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم

قبل بدء الحديث عن كفر أبويّ النبي أو إيمانهما والافتراء عليه في ذلك، نود الإشارة إلى أنّنا لن نتطرق إلى إيمان أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم (إلا ما يتعلق بأصل البحث من حيث الافتراء) وذلك خشية الإطالة والخروج عن صلب الموضوع، كما أنّ الباحث قد تطرق إلى ذلك في جزء من دراسة أكاديمية إذ ثبت إيمان هاشم وآبائه[1] وتناول باحث آخر إسلام عبد المطلب بن هاشم[2] ودراسة أخرى عن والديّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم[3] كما رد أحد الباحثين رواية مراودة عبد الله بن عبد المطلب والد النبي صلى الله عليه وآله وسلم المرأة التي طلبت منه المواقعة وأثبت بطلانها[4].

ولكن مع ذلك يمكن القول إن اسم أبيه عبد الله ينفي الوثنية عنه، وعلى الرغم من أنّ المسميات لا يمكن عدّها دليلاً قاطعاً لإثبات صحة ذلك، إلا أنّها في المقابل تعكس لنا صورة من صور مدى تمسك هذا البيت والحرص في إيجاد الأسماء

١) للتفاصيل ينظر: الصفراني: هاشم بن عبد مناف / ٣٤.

٢) المحمداوي: عبد المطلب بن هاشم، دراسة في رئاسته على قريش، والمنافرة وعقيدته.

٣) الساعدي: والدا النبي صلى الله عليه وآله وسلم دراسة تاريخية.

٤) حاجم، روايات دلائل النبوة قبل البعثة دراسة تحليلية نقدية /٤٥-٤٨.

التوحيدية، وهذا بطبيعة الحال لم يأتِ من فراغ.

يتوجب علينا الابتداء بالروايات التي حاولت إثبات كفر أبوّي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إذ إن هناك ثلاث روايات هي الأكثر شهرة في المصادر، التي من خلالها استدل بعض من أراد تكفيرهما، الأولى أشارت إلى أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم نطق ذلك بذكره أنّ أباه في النار، والرواية الثانية تصرح أن الله سبحانه وتعالى لم يأذن له بالاستغفار لهما وتحديداً عدم الاستغفار لأمه آمنة بنت وهب، أما الثالثة فهي عبارة عن معجزة إلهية إذ طلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ربه إحياء والديه لكي يؤمنا به فأحياهما الله سبحانه وبعد إيمانهما توفاهما الله جل وعلا.

الرواية الأولى: (رواية أبي وأباك في النار)

روى ابن حنبل بسنده عن حماد عن ثابت عن أنس قال: (قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أين أبي؟ قال في النار قال فلما رأى ما في وجهه قال إن أبي وأباك في النار) [(١)].

كما أورد ابن حنبل هذه الرواية في موضع آخر ورواها مسلم وأبو داود مع اختلاف الرواة والمتن من حيث اللفظ وكالآتي: (قال يا رسول الله أين أبي قال في النار قال فلما قفا دعاه فقال إن أبي وأباك في النار) [(٢)].

هذا الحديث اعتمد عليه في تكفير أبويّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم من دون التحقق من مصداقيته، فإذا تتبعنا سنده نلحظ أن كل طرق سند الحديث إنما

---

١) مسند ابن حنبل ٣ / ١١٩.

٢) مسند ابن حنبل ٣ /٢٦٨؛ صحيح مسلم ١ / ١٣٢ – ١٣٣؛ سنن أبي داود ٢ /٤١٧.

كانت عن شخص واحد وهو حماد بن سلمة، فمن جهة أنّ هذا الحديث قد روي برواية أحادية الجانب فليس هنالك غيره من روى هذا الحديث بهذا اللفظ.

ومن جهة أخرى أنّ قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (إنّ أبي وأباك في النار) موضع شك، بل إن الرواة لم يتفقوا على قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا وإنما ذكره حماد بن سلمة عن ثابت، مخالفاً رواية معمر عن ثابت بهذا الصدد الذي لم يذكر: إن أبي وأباك في النار بل كانت روايته: (إذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار، وهذه اللفظة لا دلالة فيها على والده صلى الله عليه وآله وسلم بأمر البتة، وهو أثبت من حيث الرواية، فإن معمراً أثبت من حماد، فإن حماداً تكلم في حفظه، ووقع له أحاديث مناكير ذكروا أن ربيبه دسها في كتبه، وكان حماد لا يحفظ فحدث بها فوهم، ومن ثم لم يخرج له البخاري شيئاً، ولا أخرج له مسلم في الأصول إلا من روايته عن ثابت، ... وأما معمر فلم يتكلم في حفظه ولا استنكر شيء من حديثه واتفق على التخريج له الشيخان فكان لفظه أثبت) [1].

هذا من جهة سند الحديث، أمّا من جهة المتن، فإن الغموض يدور حوله من باب تعدد ألفاظ الحديث فهو لم يرو بلفظٍ واحد، وهذا يدعونا إلى القول: إن الرواة قد تصرفوا في نص الحديث، هذا على فرض صحته.

يضاف إلى ذلك أنّ قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن أبي وأباك في النار لم يكن ابتداء كلامه مع الرجل الذي سأل عن أبيه، وإنما كان بعد أن رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما حدث على ملامح ذلك الرجل من عدم الرضا تارة حسب رواية ابن حنبل في النص الأول، وتارة أخرى أنّ النبي هو الذي دعا الرجل عندما قفى وقال له القول المذكور حسب النص الثاني من رواية ابن حنبل

١) الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد ١/٢٤٧ - ٢٤٨.

ومسلم وأبي داوود.

وحسب النصوص المذكورة آنفاً فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما قال مقولته تلك تخفيفاً ومواساة للرجل الذي سأله إذ أحس الأخير أنّ الإجابة كانت قاسية عليه نوعاً ما! وهذا بحسب اعتقادنا أمرٌ مشكوك فيه، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان سيعلم ردة فعل السائل فلا داعي إذاً للعدول عن رأيه سواء أكان ذلك تخفيفاً أم مواساة.

ثم إن النص حاول إشعار القارئ أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ربما ندم على إجابته الأولى فحاول إرضاءه بأن جعل أبا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبا الرجل على قدم المساواة في درجة الكفر! وهذا ما لا يمكن قبوله عقلاً ومنطقاً، هذا من جهة، ومن أخرى يناقض ذلك ما روي من روايات على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم تؤكد إيمان أبوّيه وطهارتهما، وهذا ما سنذكره تباعاً وفي محله.

وعليه فمن الضروري متابعة أصل هذا الحديث ومعرفة السبب الحقيقي في وروده للوقوف على صحة ما جاء فيه، إذ ورد في كتب التفسير أنّ هذا الحديث مرتبط بسبب نزول الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[١].

ومع أنّ هذه الآية قد اختلف في سبب نزولها إلا أنّ بعض علماء التفسير[٢] ذهبوا إلى القول إن سبب نزولها مرتبط بما ذكرنا من نص الحديث المذكور آنفاً، وروى الطبري سبب نزول الآية بسنده عن أبي هريرة قال: (خرج رسول الله

١) المائدة: ١٠١.

٢) ينظر: ابن الجوزي: زاد المسير ٢/٣٢٥ -٣٢٦؛ السمرقندي: تفسير السمرقندي ١/٤٤٣.

صلى الله عليه وآله وسلم وهو غضبان محمراً وجهه، حتى جلس على المنبر، فقام إليه رجل، فقال أين أبي؟ قال: في النار فقام آخر فقال: من أبي؟ قال: أبوك حذافة، فقام عمر بن الخطاب فقال: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم نبياً، وبالقرآن إماماً، إنا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية وشرك، والله يعلم من آباؤنا، قال: فسكن غضبه، ونزلت: يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) [١].

ويلحظ بعض الغموض على هذه الرواية من باب أنّ الراوي لم يوضح لماذا خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو غضبان؟ فهل خرج من بيته أم من المسجد؟ فإذا كان قد خرج من بيته فما علاقة المسلمين بذلك وما ذنبهم؟ ثم إن سيرة الرسول وأخلاقه تنفي عنه صفة الغضب والغلظة بدليل قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [٢] أم إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد خرج من المسجد وهذا ما يتعارض مع النص نفسه الذي أشار إلى أنّ النبي عندما خرج وهو غضبان قد جلس على المنبر، والمنبر بطبيعة الحال داخل المسجد وليس خارجه.

ما نريد أن نصل إليه أنّ نص الطبري المذكور آنفاً فيه بعض الغموض والإبهام أيضاً، وهذا يوضح أنّ هناك كلاماً استقطع من النص سواء أكان الاستقطاع من الطبري الذي نقل الرواية أم من أبي هريرة الذي ساق الرواية، ثم إن تدخل عمر بن الخطاب يوحي إلى الفهم أنّ الأخير أراد عدم ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لحقيقة معينة خاف من شيوعها بين المسلمين إذا ذكرها،

١) جامع البيان ٧/١١٠؛ ينظر ابن الجوزي: زاد المسير ٢ / ٣٢٥- ٣٢٦.

٢) آل عمران: ١٥٩.

ولذلك قاطع النبي بكلامه المذكور آنفاً.

وهذا كله يدعو إلى البحث عن نص آخر يوضح تلك التساؤلات كلها، ليس من باب نفي الحديث جملةً وتفصيلاً ولكن لمعرفة الزيادة التي أُضيفت من الرواة لنص الحديث وسببه، وربما نجد الإجابة فيما ذكره الطبرسي في سبب نزول الآية عن أنس وابن عباس: (سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أحفوه بالمسألة، فقام مغضباً خطيباً فقال: " سلوني، فو الله لا تسألوني عن شيء إلا بينته لكم، فقام رجل من بني سهم، يقال له عبد الله بن حذافة [١]، وكان يطعن في نسبه، فقال: يا نبي الله! من أبي؟ فقال: أبوك حذافة بن قيس، فقام إليه رجل آخر، فقال: يا رسول الله أين أبي؟ فقال في النار، فقام عمر بن الخطاب، وقَبلَ رِجل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقال: إنا يا رسول الله حديثو عهد بجاهلية وشرك، فاعف عنا عفا الله عنك، فسكن غضبه، فقال: أما والذي نفسي بيده، لقد صورت لي الجنة والنار آنفاً في عرض هذا الحائط، فلم أر كاليوم في الخير والشر "، ... وقيل: كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استهزاء مرة، وامتحاناً مرة، فيقول له بعضهم: من أبي؟ ويقول الآخر أين أبي؟ ويقول الآخر إذا ضلت ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله عز وجل هذه الآية)[٢].

١) عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم القرشي السهمي، أسلم قديماً وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية وكان من المهاجرين الأوائل، قيل إنّه شهد بدراً، وهو الذي أرسله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى كسرى بكتاب يدعوه إلى الإسلام فمزق كسرى الكتاب، عاتبته أمه لسؤاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن نسب أبيه قائلة: " ما سمعت بابن أعق منك..."، مات في حكومة عثمان. ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/ ٨٨٨ – ٨٩٠.

٢) تفسير مجمع البيان ٣/٤٢٨.

وعليه فإن انزعاج النبي صلى الله عليه وآله وسلم سببه نوع الأسئلة وسذاجتها فهي لم تكن ذات صلة بالدين أو الشريعة ولا تأتي بنفع لسائر المسلمين بل العكس من ذلك، إذ كانت أجوبتها تغيظ من سمعها، وهذا يفسر تدخل عمر ابن الخطاب ومحاولته منع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ذكرها والتطرق إليها.

هذا من جهة ومن جهة أخرى يتأكد (بدلالة نص الطبري والطبرسي) أنّ سبب نزول هذه الآية مرتبط بالحديث الذي يدور النقاش حوله وهو كلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم للرجل الذي سأله أن أبي وأباك في النار، الذي لا نجد فيه تلك العبارة التي وضعها الرواة فيما بعد زيادة في لفظ الحديث، وهذا يدعو إلى الجزم أن ذلك كان زيادة تصرف بها الرواة للإيحاء أو لتأكيد كفر أبوّي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهذا يعزز أيضاً ما ذهبنا إليه سابقاً من ركاكة متن الحديث الذي ذكر فيه ذلك الافتراء عندما شككنا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حاول التخفيف عن الرجل الذي سأله أو مواساته.

وإذا أردنا أن نجزم بالدليل البات على عدم ورود ذلك على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأنّ الحديث بصيغته الأولى كان موضوعاً ولا صحة له، فإنه بمجرد العودة إلى سند الرواية في نص الطبرسي نجد أنّها صدرت عن أنس الذي لم يذكر ما تردد على لسان حماد بن سلمة بهذا الصدد، علماً أنّ مصدر الرواية هو أنس، وإذا فرضنا جدلاً أنّ حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع الرجل كانت حادثتين وليس حادثة واحدة، فهذا مردود لأن رواية أنس وابن عباس في نص الطبرسي تؤكد ارتباط سبب نزول الآية بالحديث الذي روي فيه ما نحن بصدد مناقشته.

يؤيد ذلك ما ورد من حديث سعد بن أبي وقاص بمثل رواية معمر عن ثابت عن أنس (... أن أعرابياً، قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أين أبي؟ قال: في النار، قال: فأين أبوك؟ قال: " حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار "... فتعين الاعتماد على هذا اللفظ وتقديمه على غيره، .. فأسلم الأعرابي بعد وقال لقد كلفني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعباً! ما مررت بقبر كافر إلا بشرته بالنار... فهذه الزيادة أوضحت بلا شك أن هذا اللفظ العام هو الذي صدر منه صلى الله عليه وآله وسلم ورآه الأعرابي بعد إسلامه أمراً مقتضياً للامتثال، فلم يسعه إلا أمتثاله، ولو كان الجواب باللفظ الأول لم يكن فيه أمر بشيء البتة، فعلم أن اللفظ الأول من تصرف الراوي، رواه بالمعنى على حسب فهمه.

وقد وقع في الصحيحين روايات كثيرة من هذا النمط فيها لفظ تصرف فيه الراوي، وغيره أثبت منه) [1]، وبدلالة ذلك فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يقل إنّ أبي في النار وإنما ذكر ما هو بديهي فإن أي مشرك بالنار وهذا لا يعني أن أباه كان مشركاً.

ومن المؤسف حقاً أنّ الزيادة التي وردت في الحديث الشريف قد تناقلتها المصادر على أنّها حقيقة مسلم بها، فالبيهقي على الرغم من ذكره لتفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [2] بسنده عن الإمام جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام أنّه قال: (لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية قال وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرجت من نكاح غير سفاح)، إلاّ أنّه في الوقت نفسه يستدل بتلك الزيادة التي

١) الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد ٢٤٨/١.
٢) التوبة: ١٢٨.

دلست في الحديث ليحاول إثبات أنّ أبوّي النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانا مشركَين، مستدلاً بالحديث الذي أوردناه آنفاً في رواية مسلم في الصحيح [١].

وذكر النووي في باب بيان أنّ من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين واستشهد أيضاً بالحديث الوارد ذكره من دون التحقق من الزيادة التي أضيفت افتراءً على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ والغريب أيضاً أنّه فسر قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم بحسب ما يعتقد قائلاً: (... وقوله صلى الله عليه وآله وسلم إنّ أبي وأباك في النار هو من حسن العشرة للتسلية بالاشتراك في المصيبة)[٢].

ولا نعلم كيف أجاز لنفسه أن يتجرأ على مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا كان يعلم أنّ كفر أبوّي النبي هو من المصائب؟! ألم يكن من الأولى له أن يتأكد من حدوث هذه المصيبة ومن ثم يحكم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمشاركة الناس فيها؟ ثم منذ متى كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتهاون في أمور دينه ويجامل فيها من أجل حسن العشرة والتسلية؟!

وإذا تجاهلنا ذلك كله ورجعنا إلى ما بدأ به النووي من أن الشفاعة لا تنفع؛ فإن ذلك يتعارض مع ما ورد من حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقوله: (هبط علي جبرائيل فقال يا محمد إنّ الله يقرئك السلام ويقول لك إنّي حرمت النار على صُلب أنزلك وبطن حملك وحِجْر كفلك فقلت يا جبرئيل بَيّن لي فقال أمّا الصُلب فعبد الله وأمّا البطن فآمنة وأمّا الحِجْر فعبد المطلب وفاطمة بنت

١) السنن الكبرى ١٩٠/٧.
٢) شرح مسلم ٧٩/٣.

أسد)[١] وفي مصادر أخرى ورد أنّ الحِجر حِجر أبي طالب بدلاً من عبد المطلب مع حجر فاطمة بنت أسد [٢].

واعترض ابن الجوزي على هذا الحديث وأخرجه في الموضوعات، على الرغم من أنه أورده في باب خاص بعنوان (إكرام أبويه وجده)؛ قائلاً: (هذا حديث موضوع بلا شك وإسناده كما ترى) مستشكلاً على سنده من جهة يحيى ابن الحسين العلوي الذي روى الحديث وحجته في ذلك أنّه كان رافضياً وادعى الخلافة[٣] وربما كانت هذه التهمة تقليدية وتلحق بأي شخص عندما يورد حديثاً أو خبراً لا يراد الأخذ بصحته.

ولكن المفارقة ليست هنا وإنما بما ذكره ابن الجوزي الذي حاول جاهداً إثبات كفر أبوّي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجده عبد المطلب عندما ذكر تأريخ وفاتهم ليثبت عدم إيمانهم! على الرغم من أنّه ذكر عنواناً فضفاضاً وهو (أكرام الله لأبوّي النبي وجده) وهنا نقول: هل هذا الإكرام هو بكفرهم وعدم إيمانهم؟! وهذا ما لا يجيب عليه ابن الجوزي بطبيعة الحال.

وقد تابع بعض المؤرخين المسلمين ابن الجوزي في رفضهم لهذا الحديث من باب التهمة التقليدية نفسها وهي أنّ راوي الحديث (يحيى بن الحسين العلوي) رافضي متأخر وأنّه أدعى الخلافة أو الإمامة؛ وعليه فإن الحديث الذي أتى به إنما هو من وضعه؟ إذ قال بعضهم في ترجمته: (رافضي متأخر، كتب عن أبي الغنائم

---

١) ابن حجر: لسان الميزان ٢٤٨/٦.

٢) الكليني: الكافي ٤٤٦/١؛ الصدوق: الأمالي / ٧٠٣، معاني الأخبار / ١٣٧؛ الكراكجي: كنز الفوائد /٧٠؛ الفتال النيسابوري: روضة الواعظين / ٦٧؛ المازندراني: شرح أصول الكافي ١٧٧/٧؛ الحر العاملي: الجواهر السنية / ٢١٨؛ المجلسي: بحار الأنوار ١٠٨/١٥.

٣) ٢٨٣/١.

النرسي، أتى بخبر كذب، متنه: إن أبوّي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجده في الجنة، اتهم بوضعه هذا الجاهل) [١].

الجدير ذكره أنّ ابن حجر قد رأى في هذه الترجمة إجحافاً من المصنفين لأن المترجم له تقدمت وفاته عن أبي الغنائم إلا أن يكون قد وقع تحريف في الأصل، لأن من ترجم ليحيى ذكر أن أبا الغنائم قد كتب عنه [٢].

ومهما يكن من أمر فإننا نعود القهقرى لكلام النووي في عدم الشفاعة، فبدليل الحديث المذكور عن جبرائيل عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنه تسقط حجة عدم الشفاعة؛ ولعل أحاديث الشفاعة لآل بيت رسول الله قد وردت في أحاديث موثقة على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فما بال تلك الشفاعة لا تنال أبوّي النبي؟! بدليل قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (ما بال أقوام يزعمون أنّ شفاعتي لا تنال أهل بيتي وأن شفاعتي تنال حا وحكم حا وحكم قبيلتان[٣] ولعل الصالحي الشامي كان منصفاً عندما أورد اعتراضات بعض العلماء على كلام النووي في عدم الشفاعة سيما لأبوّي النبي صلى الله عليه وآله وسلم محتجاً بالحديث المذكور[٤].

من كل ما تقدم يتضح لنا عدم صحة الحديث الذي ذكر فيه كفر والديّ النبي وأنّه من المفتريات.

---

١) الذهبي: ميزان الاعتدال ٣٦٨/٤؛ سبط ابن العجمي: الكشف الحثيث / ٢٧٨.

٢) لسان الميزان ٦ / ٢٤٨.

٣) الطبراني: المعجم الكبير ٤٣٤/٢٤؛ الهيثمي: مجمع الزوائد ٢٥٧/٩؛ المتقي الهندي: كنز العمال ١٤ / ٤١٢؛ الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد ١/ ٢٥٤؛ القندوزي: ينابيع المودة ٣٤٧/٢.

٤) سبل الهدى والرشاد ٢٥٤/١.

الرواية الثانية: (رواية عدم الاستغفار لأم النبي صلى الله عليه وآله وسلم)

أما بشأن آمنة بنت وهب والدة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فما نسب من افتراء على والد النبي من الكفر نسب إليها أيضاً؛ وقد ورد ذلك عن طريق حديث آخر مفاده عدم الاستغفار لها لأنها مشركة إذ روى أبو هريرة قال: (زار النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبر أمه فبكى وبكى من حوله فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته في أن أزور قبرها فإذن لي فزوروا القبور فإنها تذكر الموت) [١].

وأورد النووي هذا الحديث واستشكل عليه من باب أنّ روايته وردت عند أهل المغرب ولم ترد في بلاده، ومع ذلك جزم بصحته لمجرد أنّه ورد في كثير من الأصول[٢] وهذا من الأمور التي يؤاخذ عليها كل من سلك هذا المسلك في صحة الحديث أو عدمه، فليس كل حديث وردت كثرة روايته في كتب الأصول يقتضي الجزم بصحته، فضلاً عن أنّه من روايات الآحاد فلم ينقل عن غير أبي هريرة.

أما إذا تجاهلنا ذلك، فبمجرد الرجوع إلى متن الحديث وكذلك إلى تعليق النووي نجد أنفسنا ملزمين بالإجابة على تساؤلات عدة، فتعليق النووي في مسألة بكاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند قبر أمه كان حسبما يعتقد على ما فاتها من إدراك أيامه والإيمان به[٣] وهنا تواجهنا الإشكالية التالية: هل إن أهل تلك

---

١) ابن حنبل: مسند ابن حنبل ٢ / ٤٤١؛ مسلم: صحيح مسلم ٣/٦٥؛ ابن ماجة: سنن ابن ماجة ١/٥٠١؛ النسائي: سنن النسائي ٤/٩٠؛ الحاكم النيسابوري: المستدرك ١/٣٧٥؛ البيهقي: السنن الكبرى ٤/٧٠.

٢) شرح مسلم ٧/ ٤٦.

٣) شرح مسلم ٧/٤٦.

الحقبة عموماً يدخلون النار بسبب عدم إيمانهم؟.

هنالك خلاف مشهور بين أهل الأصول على هذه المسألة، ففريق منهم رأى أنهم غير معذبين بدليل قوله تعالى: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ [١] وعليه فإن جميع أهل النار ما عذبوا في الآخرة إلا بعد إنذار الرسل، ويعضد ذلك قوله تعالى: ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴾ [٢] وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [٣] إلى غير ذلك من الآيات القرآنية الكريمة، أما الفريق الآخر وهم ليسوا الأكثرية، ومنهم النووي، ذهبوا إلى الجزم بتعذيب أهل تلك الحقبة مستدلين بقيام الحجة عليهم بإنذار الرسل الذين أرسلوا قبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهذا القول أبطله الفريق الأول وحجتهم كثرة الآيات القرآنية المصرحة ببطلانه [٤].

وحسب رأي أصحاب الاتجاه الأول فإن أهل تلك الحقبة من العرب لا عذاب عليهم، فمن مات ولم تبلغه الدعوة مات ناجياً فأبوّي النبي لا يعذبون لأنهم لم يدركوا البعثة النبوية، وبهذا يبطل رأي من ذهب إلى تكفيرهما، فضلاً عن أنّ مسألة الجنة والنار أمرٌ موكول إلى الله سبحانه وتعالى.

وبعيداً عن أصحاب هذين الاتجاهين فإننا نوافق الرأي على ما ذهب إليه أحد الباحثين من (أن أهل الفترة يعذبون إذا قامت عليهم الحجة العقلية أو النقلية إلا القاصرين منهم، فإن التوحيد يثبت بالعقل لا بإرسال الرسل، وإلا، لم يمكن

---

١) الملك: ٨.

٢) يس: ٦.

٣) الإسراء: ١٥.

٤) الشنقيطي: أضواء البيان ٣/٧٠.

إثبات شيء على الإطلاق، لا التوحيد، ولا النبوة، ولا الدين من الأساس)[١] وعلى ذلك نبني رأينا جازمين إن آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأجداده هم من الموحدين سواء أكان ذلك بالفطرة أم أنهم كانوا أحنافاً على ملة جدهم النبي إبراهيم عليه السلام[٢].

أما بالنسبة لاستئذان النبي صلى الله عليه وآله وسلم واستغفاره لأمه وأن الله سبحانه لم يأذن له بذلك، فذلك مردود أيضاً سواء أكان ذلك الاستغفار لأُمه كما ورد في الحديث أم لأبيه؛ بدليل استغفار النبي إبراهيم عليه السلام لأبيه حين جادله في عبادة الله سبحانه وتعالى، وربما هناك من يعترض على أن ذلك الاستغفار كان في بداية شباب النبي إبراهيم عليه السلام وبداية دعوته ويستدل بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾[٣] إلا أنّنا نجد أنّ النبي إبراهيم عليه السلام قد استغفر لوالديه حين استظهر الله دعوته وبعد أن بلغ من العمر عتياً وبعد أن رزق أولاداً على كبر سنه، قال تعالى على لسان النبي إبراهيم: ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴾[٤] والنبي إبراهيم قال هذا بعد أن وهب الله له إسماعيل وإسحاق عليهما السلام؛ ومع أنّ الآية الأولى تفيد أنّ الاستغفار الأول قد تبعه التبرؤ مباشرة إلا انه من الواضح أنّ هنالك فرقاً بين لفظ الأب الذي ورد في الآية الأولى وبين لفظ الوالد الذي ورد في الآية الثانية لأن الأب يطلق على

---

١) جعفر مرتضى: الصحيح من سيرة النبي ٢/ ١٩٥.

٢) للتفصيلات ينظر: الصفراني: هاشم بن عبد مناف /٣٤.

٣) التوبة: ١١٤.

٤) إبراهيم: ٤١.

المربي والعم والجد أما الوالد فإنما يخص الوالد بلا واسطة[١].

وعليه فإن الاستغفار الثاني إنما كان للوالد إما الأول فكان للأب[٢] ومع أنّ اسم أبي النبي إبراهيم عليه السلام قد ورد في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾[٣] إلا أنّ هنالك من يرى أنّ اسم والد النبي إبراهيم هو (تارخ)[٤] وأن آزر كان اسم جد إبراهيم لأمه وروي أنّه كان عمه[٥].

ومع أنّ أحد الباحثين أفاض في تفسير ذلك الاستغفار من خلال دراسة تلك الآيات القرآنية إلاّ أنّ رأيه استقر على أنّ ذلك الاستغفار قد حصل في نهاية المطاف لأبيه آزر[٦] وهذا ما عارضته الآية صراحةً من أنّ النبي إبراهيم عليه السلام قد تبرأ منه لما تبين له انه عدو لله، إذ غفل الباحث أنّ الاستغفار حدث فعلاً ولكنه لوالده الذي من صلبه وليس لآزر عمه أو جده باختلاف الروايات.

وعليه فإن الاستغفار طالما أنّه جاز للنبي إبراهيم عليه السلام فإنه يجوز للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولذلك فإنّ حديث عدم الاستغفار يتعارض مع ما ورد في القرآن الكريم ولا يمكن الأخذ بأخبار الآحاد بما يخالف القرآن الكريم؛

---

١) العسكري: الفروق اللغوية / ٥٦٦؛ ابن منظور: لسان العرب ١٤/ ٨.

٢) جعفر مرتضى: الصحيح من سيرة النبي ٢ / ١٨٩- ١٩٠.

٣) الأنعام: ٧٤.

٤) الطوسي: التبيان ٤/١٧٤؛ ابن أبي حاتم: تفسير ابن أبي حاتم ٤/١٣٢٤؛ السمعاني أبو المظفر: تفسير السمعاني ٢/ ١١٨؛ ابن الجوزي: زاد المسير /٤٩.

٥) الطبرسي: تفسير جوامع الجامع ١/٥٨٤.

٦) الشريفي: النبي إبراهيم الخليل عليه السلام في القرآن الكريم، دراسة تاريخية / ١٦٤-١٧١.

ومن هنا فإن هذا الحديث من المفتريات أيضاً التي لا يمكن الأخذ بصحتها.

أمّا إذا قال المعترضون على إيمانهما إنهما كافران محتجين بقول قريش لأبي طالب عندما حضرته الوفاة (أترغب عن ملة عبد المطلب)[1] فإن جواب ذلك هو قوله تعالى: { وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ }[2]، وفسر الثعلبي هذه الآية الكريمة بسنده عن ابن عباس قائلاً: (من نبي إلى نبي حتى أخرجك في هذه الأمة)؛ وزاد أيضاً (مازال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتقلب في أصلاب الأنبياء حتى ولدته أمه)[3].

وقيل في تفسيرها أيضاً: (أنه أراد تقلبه من آدم إلى أبيه عبد الله في ظهور الموحدين، لم يكن فيهم من يسجد لغير الله)[4]، ثم إن رواية خطاب قريش مع أبي طالب أوردها ابن شهاب الزهري وهو معروف بولائه للأمويين، وهي من جملة موضوعاته لأنه كان من أتباعهم وقضاتهم وكانت الغاية من وضع هذه الرواية تكفير أبي طالب[5] وليس ذلك بغريب على الزهري الذي نسب إلى الرسول حديثاً نزولاً عند رغبة عبد الملك بن مروان عندما منع الأخير أهل الشام من الحج إلى بيت الله الحرام، وذلك لأن عبد الله بن الزبير كان يأخذهم بالبيعة عند الحج، وعندما ضج الناس على عبد الملك بقولهم: (تمنعنا من حج بيت الله الحرام، وهو فرض علينا)

---

١) ابن حنبل: مسند ابن حنبل ٤٣٣/٥؛ البخاري: صحيح البخاري ٩٨/٢؛ مسلم: صحيح مسلم ٤٠/١؛ النسائي: سنن النسائي ٩١/٤؛ الضحاك: الآحاد والمثاني ٤٢/٢.

٢) الشعراء: ٢١٩.

٣) تفسير الثعلبي ٧/ ١٨٤؛ وينظر البغوي: تفسير البغوي ٤٠٢/٣.

٤) الطوسي: التبيان ٨/ ٦٨؛ وينظر الطبرسي: تفسير مجمع البيان ٧/ ٣٥٧؛ الفيض الكاشاني: الآصفى في تفسير القرآن ٥٤/٤؛ الطباطبائي: تفسير الميزان ١٥ /٣٣٦؛ الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل.

٥) الحسني: دراسات في الحديث والمحدثين /٢٦٩.

قال لهم: (هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم أنّ رسول الله قال: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد بيت المقدس، وهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام، وهذه الصخرة التي يروى أن رسول الله وضع قدميه عليها، لما صعد إلى السماء، تقوم لكم مقام الكعبة...) (١).

والدليل في ذلك فضلاً عما سبق، أنّه كان أحد أتباع الدولة الأُموية ومفتيها بل كانت رواياته تمثل شرعنه لذلك الحكم فاعتمدوا عليها لتثبيت حكمهم وإضفاء الشرعية لهم، ويتضح ذلك جلياً من الرسالة التي بعث بها الإمام السجاد عليه السلام إلى الزهري مخاطباً إياه بقوله: (واعلم أن أدنى ما كتمت وأخف ما احتملت أن آنست وحشة الظالم وسهلت له طريق الغي بدنوك منه حين دنوت وإجابتك له حين دعيت، فما أخوفني أن تكون تبوء بإثمك غداً مع الخونة، وأن تسأل عما أخذت بإعانتك على ظلم الظلمة، إنك أخذت ما ليس لك ممن أعطاك ودنوت ممن لم يرد على أحد حقاً ولم ترد باطلاً حين أدناك، وأحببت من حاد الله أوليس بدعائه إياك حين دعاك جعلوك قطباً أداروا بك رحى مظالمهم وجسراً يعبرون عليك إلى بلاياهم وسلماً إلى ضلالتهم، داعياً إلى غيهم، سالكاً سبيلهم، يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم، فلم يبلغ أخص وزرائهم ولا أقوى أعوانهم إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم واختلاف الخاصة والعامة إليهم، فما أقل ما أعطوك في قدر ما أخذوا منك، وما أيسر ما عمروا لك، فكيف ما خربوا عليك، فانظر لنفسك فإنه لا ينظر لها غيرك وحاسبها حساب رجل مسؤول) (٢).

---

١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٢/ ٢٦١.

٢) ابن شعبة الحراني: تحف العقول ٢٧٥- ٢٧٦؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١٧/٤٣- ←

وواضح جداً تأنيب الإمام عليه السلام للزهري في الخطاب المذكور آنفاً في قلب الحقائق بعد أن قام برواية الروايات التي جاءت بما يتناسب مع أهواء الظالمين وتسويغ فسادهم، وعليه كيف يمكن الاعتماد على روايات الزهري وعدّه حجة وقد جرحه من لا يختلف عليه اثنان، هذا فضلاً عن أنّ الإمام السجاد عليه السلام قد عاصر الزهري واطلع على رواياته الموضوعة كلها وقد شهد ببطلان ما جاء به، وهذا يكفي لرد روايات الزهري في السيرة النبوية عموماً ورواياته عن المبعث النبوي بصورة خاصة.

وبقي أن نناقش مسألة أريد لها أن تكون عامل إثبات لكفر أبوّي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي أنّ الله أحيا أبوّي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاتهما ليؤمنا به! وهذه الرواية مردودة أيضاً لأنه ثبت لنا بالأدلة آنفة الذكر أنّهما مؤمنان، وعليه فلا حاجة لإحيائهما بعد وفاتهما، ثم إن هذا الحديث قد أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات وذكر أنّ في إسناده مجهولين ومن هو غير ثقة وأنكر ابن الجوزي هذا الحديث قائلاً: (هذا حديث موضوع بلا شك والذي وضعه قليل الفهم عديم العلم...)[1] وعلق ابن كثير على ذلك قائلاً: (حديث منكر جداً. وإن كان ممكناً بالنظر إلى قدرة الله تعالى. لكن الذي ثبت في الصحيح يعارضه والله أعلم)[2] ورفض ابن حجر سند الحديث ومتنه بعد أن أضعف سلسلة إسناده[3].

٤٤؛ المناوي: فيض القدير ٥١٦/٢؛ المجلسي: بحار الأنوار ١٣٢/٧٥ - ١٣٣؛ الشاهرودي: مستدرك سفينة البحار ٢٢/٧.

١) الموضوعات: ٢٨٣/١ - ٢٨٤.

٢) السيرة النبوية ٢٣٩/١، البداية والنهاية ٣٤٣/٢؛ وينظر: الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد ٢٥٩/١.

٣) لسان الميزان ١٩٣/٤.

مما تقدم يتضح أنّ بيان ادعاء كفر أبوّي النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يستند إلى أي دليل عقلي أو نقلي، ولكن من المؤسف حقاً أن نجد من يستند إلى روايات ضعيفة في تكفير أبوّي النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الرغم من إيراده للأدلة التي تثبت إيمانهما كما ورد عند ابن عابدين [١] والغريب ما نجده في بعض المصادر من استهجان لمن يذكر حديث إيمانهما أو روايته عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم [٢].

ونعتقد بأن سبب إيراد تلك الروايات لم يكن من باب البحث عن الحقائق وإنما بدأ سياسياً وانتهى بخلاف عقائدي، إذ كان الأمويون يبحثون عن خلق الموازنة لهم مع العلويين لأن أجدادهم كانوا من طلقاء الإسلام وتأخر إسلامهم، فكان لزاماً عليهم البحث عن وسائل ترفع من مكانتهم في هذا الجانب ولم يكن ذلك إلاّ عن طريق الطعن في إيمان أبوّي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأجداده، وليس ذلك بغريب إذ افتروا أنّ معاوية كان أحد كتّاب الوحي.. مع أنّه تأخر إسلامه أصلاً، فمن البديهي أنّ معاوية وآباءه أسلموا عام ثمانية للهجرة في فتح مكة وهم من الطلقاء فهل يعقل أنّ الوحي انتظر تلك المدة حتى أسلم معاوية فكتب له؟!.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الأخير اتخذ سياسة السب واللعن ضد الإمام علي عليه السلام ومن أحبه، ومن المُسلَّمات أنّ الإمام علياً عليه السلام كان أحب الناس إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليه فهي السياسة نفسها سواء سياسة الافتراء أو السب فهي موجهة لكليهما[٣] والحال كان كذلك في

١) حاشية رد المختار ٣/٢٠٢.

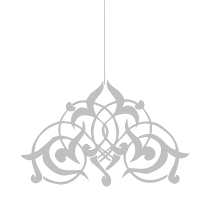
٢) ينظر الذهبي: ميزان الاعتدال ٤/ ٣٦٨؛ سبط ابن العجمي: الكشف الحثيث /٢٧٨.

٣) الجابري، السياسة الأُموية المضادة للإمام علي عليه السلام، دراسة في سياسة السب / ٩٢-٩٥.

وضع الحديث وتفسيره بما يخدم أهواءهم [١] فكانت مفترياتهم في تكفير أبي طالب عليه السلام تصب في هذا المعين فمن جهة إيذاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن جهة أخرى طعنهم حنقاً وحسداً للإمام علي عليه السلام [٢]، وعليه دست تلك الروايات وأخذ بعض المحدثين والرواة بصحتها إمّا كرهاً بالعلويين أو حباً بالأمويين، وانتهى ذلك بخلاف عقائدي كانت آثاره السلبية ونتائجه الافتراء على سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

١) المحمداوي: النهج الأموي في وضع الحديث النبوي / ٥.

٢) للتفصيلات ينظر المحمداوي: أبو طالب بن عبد المطلب دراسة في سيرته الشخصية وموقفه من الدعوة الإسلامية /٨٥- ٩٠.



المبحث الثاني: حديث شق صدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم

لا تكاد تخلو مصادر التاريخ الإسلامي من رواية مفادها أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد شق صدره ولمرات عديدة، وأقدم من ذكر ذلك ابن إسحاق في معرض حديثه عن رضاع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ديار بني سعد، إذ روى ذلك عن جهم بن أبي جهم [1] قال حدثني من سمع عبد الله بن جعفر بن أبي طالب يقول حدثت عن حليمة ابنة الحارث أم النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي أرضعته أنها قالت (... فوالله ما بلغ سنتيه حتى... قدمنا به على أمه... فلما رأته أمه قلنا لها يا ظئر دعينا نرجع ببنينا هذه السنة الأخرى فإنّا نخشى عليه أوباء مكة فوالله ما زلنا بها حتى قالت فنعم فسرحته معنا فأقمنا به شهرين أو ثلاثة فبينا نحن خلف بيوتنا وهو مع أخ له من الرضاعة في بهم لنا جاءنا أخوه يشتد فقال ذاك أخي القرشي قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض فأضجعاه فشقا بطنه فخرجت

---

١) جهم بن أبي جهم: لم نعثر له على ترجمة وافية وشهرته في المصادر جاءت من روايته حديث رضاعة النبي، ذكره النجاشي قائلاً: (جهيم بن أبي جهمة: ويقال ابن أبي جهمة، كوفي، روى عنه سعدان بن مسلم نوادر) رجال النجاشي / ١٤٣.

أنا وأبوه نشتد نحوه فنجده قائماً منتقعاً لونه فاعتنقه أبوه وقال أي بني ما شأنك قال جاءني رجلان عليهما ثياب بياض فأضجعاني فشقا بطني ثم استخرجا منه شيئاً فطرحاه ثم رداه كما كان فرجعنا به معنا فقال أبوه يا حليمة لقد خشيت أن يكون ابني قد أصيب انطلقي بنا فلنرده إلى أهله قبل أن يظهر به ما يتخوف قالت فاحتملناه فلم ترع أمه إلاّ به قد قدمنا به عليها فقالت ما ردكما به قد كنتما عليه حريصين فقلنا لا والله يا ظئر إلاّ أن الله عز وجل قد أدى عنا وقضينا الذي علينا وقلنا نخشى الإتلاف والإحداث نرده إلى أهله فقالت ما ذلك بكما فأصدقاني شأنكما فلم تدعنا حتى أخبرناها خبره فقالت أخشيتما عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وإنّه لكائن لابني هذا شأن...)[(١)].

الملاحظ على رواية ابن إسحاق انقطاع سندها ابتداءً من رواية جهم بن أبي جهم فهو لم يروِها عن عبد الله بن جعفر وإنّما قال: حدثني من سمع من عبد الله ابن جعفر؛ وهنا انقطع السند فلا نعلم من حدثه عنه.

أمّا متن الرواية فيصرح لنا بالغموض، فالذي قام بشق بطن النبي رجلان مجهولان يرتديان ثياباً بيضاً واستخرجا شيئاً من بطنه فطرحاه ثم رداه كما كان؛ ولا نعلم ما هو ذلك الشيء وما الحكمة من ذلك؟! ولكن الرواية تؤكد أنّ ذلك قد حصل له بعد أن بلغ من العمر السنتين، وكان ذلك سبباً في رده إلى أمه التي لم

---

١) السير والمغازي ١/٢٦-٢٨؛ وينظر ابن هشام: السيرة النبوية ١/١٠٦- ١٠٧؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١/ ٥٧٤ – ٥٧٥؛ الطبراني: المعجم الكبير ٢٤/٢١٤؛ ابن الأثير: أسد الغابة ١/١٤، الكامل في التاريخ ٤٦١ – ٤٦٢؛ ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١٣/٢٠٣ – ٢٠٤؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ١ /٤٧؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر ١/ ٤٩ – ٥١ ابن كثير: السيرة النبوية ١/ ٢٢٧ – ٢٢٨.

تستغرب ذلك الشق وإنما على العكس كانت مطمئنة أنّ الشيطان لم يمسه بشيء، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان عمره سنتين ومعه أخوه بالرضاعة وهو بالطبع مقارب له بالعمر، فكيف كان أخوه يتكلم ويصف الحادثة ولم يخشَ منظر شق بطن أخيه، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الآخر يتكلم بطلاقة ومن دون خوف فيصف الحال بشق بطنه وكأن الأمر اعتيادي وليس بالغريب أو المرعب؟!.

وروى ابن إسحاق الرواية نفسها عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان لسان حال المتحدث هذه المرة هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع زيادة في مضمون الرواية وهي أنّ الرجلين كان معهما طست من ذهب مملوءة ثلجاً وأنّهما استخرجا علقة سوداء فألقياها بعد أن غسلا قلبه وبطنه حتى إذا أنقياه رداه [(١)].

وفي هذه الرواية أيضاً نلحظ انقطاع سندها فلا نعرف من هم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى نتحرى عنهم ثم إنّ ثوراً مطعون فيه وغير ثقة[(٢)]، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن تعدد ألفاظ الرواية والزيادة التي وردت فيها تشعرنا أنّ الرواة قد تصرفوا بها زيادةً ونقصاناً؛ وذلك كلُّه يقلل من مصداقية الحدث.

وعند مقارنة الرواية الأولى لابن إسحاق مع رواية ابن سعد عن الواقدي

---

١) السير والمغازي: ١/٢٨؛ وينظر / ابن هشام: السيرة النبوية ١/ ١٠٧-١٠٨؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١/٥٧٨؛ ابن كثير: السيرة النبوية ١/ ٢٢٧ - ٢٢٨.

٢) ينظر تجريح ثور بن يزيد في كتب الجرح والتعديل في نهاية هذا المبحث، للمزيد ينظر المحمداوي: النهج الأُموي في وضع الحديث النبوي / ١٢.

عن أصحابه نجد هناك أيضاً بعض الاختلاف، إذ إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكث عند حليمة (سنتين حتى فطم وكأنه ابن أربع سنين فقدموا به على أمه... فقالت آمنة ارجعي بابني فإنّي أخاف عليه وباء مكة... ولما بلغ أربع سنين كان يغدو مع أخيه وأخته في البهم قريباً من الحي فأتاه الملكان هناك فشقا بطنه واستخرجا علقة سوداء فطرحاها وغسلا بطنه بماء الثلج في طست من ذهب ثم وزن بألف من أمته فوزنهم فقال أحدهما للآخر دعه فلو وزن بأمته كلها لوزنهم وجاء أخوه يصيح بأمه أدركي أخي القرشي فخرجت أمه تعدو ومعها أبوه فيجدان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منتقع اللون فنزلت به إلى آمنة بنت وهب وأخبرتها خبره وقالت إنّا لا نرده إلاّ على جذع آنفنا ثم رجعت به أيضاً فكان عندها سنة أو نحوها لا تدعه يذهب مكاناً بعيداً ثم رأت غمامة تظله إذا وقف وقفت وإذا سار سارت فأفزعها ذلك أيضاً من أمره فقدمت به إلى أمه لترده وهو ابن خمس سنين...) [1].

ومع أنّ الرواية غير مكتملة السند أيضاً إذ إنّ ابن سعد أسندها إلى أستاذه الواقدي عن أصحابه وهذا خلاف المألوف فيما عرف عن منهجية ابن سعد في إيراده لأكثر من طريق في أسانيد الروايات؛ إلاّ أنّنا نلحظ أنّه أورد في موضع آخر أسانيد لتلك الرواية يكاد يكون مصدرها ثور بن يزيد تارة وأنس بن مالك تارة أخرى مع زيادة مفادها أنّ الذي قام بإخراج العلقة السوداء شخص واحد وقال للنبي عند استخراجها منه: (هذا حظ الشيطان منك)، وكذلك قول أنس: (فلقد كنا نرى أثر المخيط في صدره) [2].

١) الطبقات الكبرى ١ / ١١٢.

٢) الطبقات الكبرى: ١/ ١٥٠-١٥١ وينظر ابن حنبل: مسند ابن حنبل ٣ / ١٢١، ١٤٩، ٢٨٨؛ ←

ويكاد يكون ذلك بسيطاً إذا عرفنا الاختلاف الذي حصل في روايته عن رواية ابن إسحاق ابتداءً من أول زيارة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أهله في مكة وعمره سنتان، فحسب رواية ابن إسحاق أنّ مرضعته حليمة السعدية هي التي طلبت إرجاعه معها إلى ديار بني سعد خوفاً عليه من أوباء مكة، بينما أوضحت رواية ابن سعد أنّ أمه آمنة هي التي طلبت ذلك، ويستمر الاختلاف في الرواية سيما في مكان عملية الشق وزمانها، فبينما أوضحت رواية الأول أنّه حصل وعمره سنتان وخلف بيوتنا حسب لفظ مرضعته، كانت رواية الثاني أنّ ذلك قد حدث وعمره أربع سنوات قريباً من الحي، أي لم يكن قريباً من البيوت أو خلفها.

ثم إنّ رواية ابن سعد أشارت إلى أنّ الشيء الذي استخرج كان علقة سوداء فطرحاها وأنّ اللذين قاما بإخراجها الملكان وكأنهما كانا معرفين وليسا مجهولّين بالنسبة إلى مرضعته، ثم إنّهما غسلا بطنه بماء الثلج في طست من ذهب ثم وزن بألف من أمته فوزنهم فقال أحدهما للآخر دعه فلو وزن بأمته كلها لوزنهم.

والملاحظ أنّ تلك التفصيلات كلُّها لم ترد في الرواية الأصلية التفصيلية عند ابن إسحاق وإنما قام ابن سعد بالجمع بين روايتي ابن إسحاق ليكونا رواية واحدة، فضلاً عن أنّ رواية ابن سعد صرحت أنّه بقي خمس سنوات، فإذا كان القصد من

ابن أبي شيبة الكوفي: المصنف ٨ / ٤٣٩؛ أبو يعلى الموصلي: مسند أبي يعلى ٦/ ١٠٨، ٢٢٤؛ الحاكم النيسابوري: المستدرك ٢ / ٥٢٨؛ البغوي: تفسير البغوي ٣ / ٩٣؛ الأصبهاني: دلائل النبوة ١/ ٢٥٣؛ ابن النجار البغدادي: ذيل تاريخ بغداد ٢/٩٤؛ ابن بلبان: صحيح ابن حبان ١٤ / ٢٤٩ – ٢٥٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام١/٤٨؛ السيوطي: الديباج على مسلم ١/١٩٧؛ المتقي الهندي: كنز العمال ١٢/ ٤٤٨.

إرساله للرضاعة فهذا يقتضي عودته إلى أهله بعد سنة أو سنتين وهي مدة الرضاعة، وإن كان قد ذهب للنشأة والتربية فيجب أن يرسل بعد الفطام؟.

أمّا ما ذكرته الروايتان من أن أمه أرجعته مع حليمة لأنها خافت عليه أوباء مكة، فهذا مردود لأن مناخ مكة جاف وعليه لم تكن موطناً للأوبئة [1].

والغريب في الأمر أنّ الطبري سرد إحدى الروايات بهذا الشأن بتفصيلات دقيقة جداً عن صاحب الرواية الأصلية وهو ابن إسحاق، ولكن الأغرب من ذلك أنّ كلتا الروايتين كانت قد مرت من شخص واحد وهو ثور بن يزيد الكلاعي؟! فلماذا اختلفت الروايتان طالما أنّ منبعهما واحد؟.

ربما يمكننا الإجابة على ذلك إذا أمعنا النظر جيداً في نص الطبري، إذ روى ذلك بسنده عن ثور بن يزيد الشامي عن مكحول الشامي عن شداد بن أوس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (... وكنت مسترضعاً في بني ليث بن بكر فبينا أنا ذات يوم منتبذ من أهلي في بطن واد مع أتراب لي من الصبيان نتقاذف بيننا بالجلة إذ أتانا رهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملئ ثلجاً فأخذوني من بين أصحابي... فعمد أحدهم فأضجعني على الأرض اضجاعاً لطيفاً ثم شق ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي وأنا أنظر إليه لم أجد لذلك مساً ثم أخرج أحشاء بطني ثم غسلها بذلك الثلج فأنعم غسلها ثم أعادها مكانها ثم قام الثاني منهم فقال لصاحبه تنح فنحاه عني ثم أدخل يده في جوفي فأخرج قلبي وأنا أنظر إليه فصدعه ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها... كأنه يتناول شيئاً فإذا أنا بخاتم في يده من نور يحار الناظرون دونه فختم به قلبي فامتلأ نوراً وذلك نور النبوة والحكمة ثم

---

١) المحمداوي: سلسلة محاضرات في السيرة المحمدية.

أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهراً ثم قال الثالث لصاحبه تنح عني فأمَّر يده ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي فالتأم ذلك الشق بإذن الله ثم أخذ بيدي فأنهضني من مكاني إنهاضاً لطيفاً ثم قال للأول الذي شق بطني زنه بعشرة من أمته فوزنوني بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنوني بهم فرجحتهم ثم قال زنه بألف من أمته فوزنوني بهم فرجحتهم فقال دعوه فلو وزنتموه بأمته كلها لرجحهم قال ثم ضموني إلى صدورهم وقبلوا رأسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع إنك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك) [١].

لقد رفض أحد الباحثين المحدثين خبر شق الصدر، فقال عند مقارنته روايتي ابن إسحاق والطبري: (... رواية الطبري هذه عن شداد بن أوس تختلف عن رواية ابن إسحاق في: المكان الذي جرى فيه الحادث، وفي: عدد الأشخاص الذين جاؤوه، وفي: الكيفية التي وقع عليها) [٢].

وهذا كلام منطقي وسليم جداً، فخبر ثور بن يزيد عن شداد بن أوس في رواية الطبري يختلف عن رواية ابن إسحاق الواردة عن الشخص نفسه حتى في عدد الملائكة وهيأتهم، ففي رواية الطبري أنّهم (رهط ثلاثة) وفي رواية ابن إسحاق (رجلان) بينما وصفهم ابن سعد بـ (الملكان) وعليه فهما معّرفان حسب رواية ابن سعد ومجاهيل حسب رواية ابن إسحاق والطبري وفي الوقت نفسه مختلفان في العدد، وكذلك كان الاختلاف في عدد من كان مع النبي، فبينما أشارت رواية الطبري عن ثور (مع أتراب لي من الصبيان) كانت رواية ابن إسحاق (مع أخ لي)

---

١) تاريخ الرسل والملوك ١/٥٧٥-٥٧٧؛ وينظر: ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١٣/٢٠٤-٢٠٦.

٢) اليوسفي: موسوعة التاريخ الإسلامي ١ / ٢٦٧.

ولا ينتهي اختلاف الروايتين هنا فحسب، بل يمتد إلى المكان الذي وقع فيه الحدث، ففي رواية الطبري (منتبذ من أهلي في بطن واد) وعند ابن إسحاق (خلف بيوتنا) وعند ابن سعد (قريباً من الحي)، وكذلك التصرف بحال الرسول أثناء الحادث، ففي رواية الطبري (نتقاذف بيننا بالجلة) بينما أكد ابن إسحاق (نرعى بهماً لنا) إلى غير ذلك من الاختلافات والزيادات الكثيرة في رواية الطبري.

إنّ قضية رعي النبي صلى الله عليه وآله وسلم الغنم تناقض قضية شق الصدر، فكيف يرعى الغنم وعمره سنتان حسب روايتي ابن إسحاق، مع أنّ هذه المهنة من الصعوبة بمكان بحيث تحتاج إلى شخص أكبر سناً ليتحمل صعابها؟! هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الهاشميين الموسرين وهم سادة قريش فهل من المنطقي أن يقوموا برعي الغنم؟! [(١)].

إنّ رواية شق الصدر قد أخذت في التطور زيادةً ونقصاناً في تفاصيلها بمرور الزمن ليصبح الذي قام بعملية الشق طائران كأنهما نسران واستخرجا علقتين سوداوتين[(٢)] بدل العلقة الواحدة إلى غير ذلك!.

الجدير ذكره أنّ المصادر لا تقف عند عملية شق صدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صغره (كما ذكرنا) وإنّما ذكرت تكرار ذلك عند المبعث وبعده، وتحديداً في حديث الإسراء وحديث فرض الصلاة وباختلاف الروايات وأسانيدها، وإن كانت غالبية تلك الأسانيد وفي مجملها تنتهي إلى أنس بن مالك من طرق الزهري سيما في كتب الحديث والصحيحين تحديداً[(٣)] إذ روي أنّ النبي

١) للمزيد: ينظر الفصل الثاني، المبحث الثالث / ٧٦.

٢) ابن كثير: السيرة النبوية ١/٢٢٩.

٣) ابن حجر: فتح الباري ١ / ٣٨٨؛ العيني: عمدة القاري ٤/٤٢.

صلى الله عليه وآله وسلم قال: (فرج سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب مملوء حكمة وإيماناً فأفرغها في صدري ثم أطبقه) [1].

مما تقدم يبدو أن الروايات مرتبكة في تحديد زمان حدوث عملية شق الصدر ومكانها، هذا على صحة الخبر أصلاً، ولذلك نجد بعض العلماء يحاولون التوفيق بين تلك الروايات المتناقضة في تفصيلاتها ليحاولوا الخروج من مأزق تواتر الأسانيد؛ فالقاضي عياض أشكل على بعض الرواة خلطهم تلك الروايات بعضها بالبعض الآخر سيما خلطها بحديث الإسراء؛ ولكنه على الرغم من ذلك لم يخرج من هذه الدائرة لأنه رجح رواية أنس في أنّ عملية الشق كانت عندما كان النبي صغير السن ولم تكن عند المبعث أو بعده كما هو في حديث الإسراء [2].

ورفض ابن حجر هذا الرأي مستدلاً بالرأي القائل إنّ الشق حدث مرتين: الأول عندما كان النبي عند مرضعته حليمة السعدية لاستعداده لنزع العلقة التي

---

١) ابن حنبل: مسند ابن حنبل ٥/ ١٢٢، ١٤٣؛ البخاري: صحيح البخاري ٩١/١، ١٦٧/٢، ١٠٦/٤؛ مسلم: صحيح مسلم ١٠١/١ -١٠٢؛ النسائي: السنن الكبرى ١٤٠/١؛ أبو يعلى الموصلي: مسند أبي يعلى ٦ /٢٩٥، ٢٩٧؛ الاصبهاني: دلائل النبوة ٢٥٥/١؛ ابن حزم: المحلى ٢٤/١؛ ابن العربي: أحكام القرآن ١٧٩/٣؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق: ٥٩/٢٩؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر ١٩٣/١؛ ابن بلبان: صحيح ابن حبان ٤٢٠/١٦؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ٢٥٨/١؛ ابن كثير: تفسير ابن كثير ٣/ ١٠-١١؛ المقريزي: إمتاع الأسماع ٢٤٢/٨؛ ابن حجر: تغليق التعليق ٧٩/٣؛ الهيثمي: مجمع الزوائد ٦٥/١؛ العيني: عمدة القاري ٤٠/٤؛ السيوطي: الجامع الصغير ٢١٠/٢، الدر المنثور: ١٤١/٤؛ الديباج على مسلم ١٩٩/١- ٢٠٠؛ ؛المتقي الهندي: كنز العمال ١١/ ٣٨٥- ٣٨٦؛ الحلبي: السيرة الحلبية ١٤٥/٢.

٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ١/ ١٧٩ – ١٨٠.

قيل له عندها هذا حظ الشيطان منك، والشق الثاني كان لاستعداده للتلقي الحاصل له في تلك الليلة أي ليلة الإسراء؛ بل زاد في ذلك أن الشق حدث مرة ثالثة عند مجيء جبريل له بالوحي في غار حراء ورابعة وهو ابن عشر سنوات وخامسة ولكنه لم يرجحها [١].

وهي برواية أبي هريرة وحسب زعمه حدثت وعمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عشرون سنة، وذكر تفصيلات اختلفت في ألفاظها ومعانيها عن جميع روايات الشق الأخرى[٢] وإذا كانت تلك الاختلافات كلُّها في الروايات هي فقط في زمان حدوث ذلك الشق، فلقد مر علينا الاختلاف في المكان الذي حدث فيه فتارة في ديار بني سعد وتارة أخرى في بيته بل ذكر أيضاً أنّه حدث في بطحاء مكة[٣].

وحقيقة لا نعلم هل صحيح أنّ كل إنسان يوجد في قلبه أو صدره هذه العلقة السوداء وما دور هذه العلقة في سلوكيات البشر؟ وإذا ثبت وجودها فهل هي من الخطورة بمكان لكي يتحتم استئصالها؟ ولماذا كان على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يخضع لتلك العمليات مراراً وتكراراً؟ ألم يكن من الأجدر بالله تعالى أن ينزعها منه من دون أن يعذب نبيه؟ وإذا أهملنا ذلك كلّه فنحن نتساءل: هل خضع جميع الأنبياء لتلك العمليات ولو لمرة واحدة على الأقل؟ أم أنّ هذا الأمر خص به النبي صلى الله عليه وآله وسلم حصراً؟ وإذا كان الجواب بالنفي، فلماذا كان على النبي أن يشق صدره وعمره سنتان أو أربع سنوات وفي العاشرة

١) فتح الباري ١/٣٨٩.
٢) الآلوسي: تفسير الآلوسي ٣٠/١٦٦ – ١٦٧.
٣) ابن كثير: البداية والنهاية ٢ / ٣٣٦.

وفي العشرين أيضاً وعند المبعث في غار حراء وعند الإسراء؟!.

في الواقع لا نجد أية إجابة عن هذه التساؤلات في المصادر الإسلامية، بل إنّ بعضها حسب اعتقادنا قد أساء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما ذكر هذه الأسطورة، إذ ذكر بعضهم أنّ الشق الأول كان لاستخراج العلقة، وعندما أراد الله سبحانه الإسراء به أمر جبريل أن يخرج قلبه فغسله ثم أعاده مكانه[1] وقال آخر في الشق الثاني تجديدٌ للتطهير[2] أفلم يكن قلب النبي وصدره طاهراً منذ الشق الأول لكي يشق ثانياً ويغسل ويطهر؟! أم إنّه كان محتاجاً (لتطهير قلبه من الغل وإنقاء جوفه بالشق والغسل) كما ذكر بعضهم[3] وفي خبر آخر قد أخرج من صدره الغل والحسد بعدما استأصلت العلقة وهي شبه الفضة وأدخل مكانها الرأفة والرحمة [4].

لقد حاول بعضهم تسويغ مصداقية هذا الخبر فذكر عند مناقشة أصل الرواية أن (...الحكمة في دخول الملائكة من وسط السقف ولم يدخلوا من الباب، كون ذلك أوقع صدقاً في القلب فيما جاؤوا به) [5].

وجوز آخر للملائكة أن يقوموا بوضع أحشاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في طست من الذهب أو الفضة من باب أنّه ليس بلازم أن يكون حكمهم حكمنا ولأنه كان أول الأمر وقبل تحريم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أواني

١) ابن بلبان: صحيح ابن حبان ١٤/ ٢٤٢ – ٢٤٣.
٢) السيوطي: الديباج على مسلم ١ / ٢٠٢.
٣) ينظر ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٣/٤٥٨.
٤) المقريزي: إمتاع الأسماع ٣ /٣٣؛ الآلوسي: تفسير الآلوسي ٣٠/ ١٦٧.
٥) العيني: عمدة القاري ٤ / ٤٢.

الذهب والفضة [١].

ونقول: الأولى بالملائكة أن يدخلوا من الباب بدلاً من السقف سيما أنّهم دخلوا على نبي فيجب عليهم الاستئذان؟! أم أنّ الملائكة لهم الحرية في ذلك؟ ألا ينافي ذلك قوله تعالى: { وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } [٢]؛ وكذلك قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } [٣] فهل يعقل أنّ الله سبحانه يوجه ذلك الخطاب للمؤمنين ولا يسري ذلك على الملائكة؟ أم أنّ الملائكة ليسوا بمؤمنين؟! وعليه فحكمهم ليس بلازم أن يكون حكمنا فيجوز لهم ما لا يجوز لنا؟.

وعلى هذا توقف بعضهم في قبول رواية شق صدر النبي وغسل قلبه لأنه صلى الله عليه وآله وسلم كان مطهراً من كل عيب وسوء، وكيف يطهر القلب وما فيه من اعتقاد بالماء؟ [٤].

إنّ الله سبحانه وتعالى أوكل (بأنبيائه ملائكة يحصون أعمالهم، ويؤدون إليه تبليغهم الرسالة، ووكل بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ملكاً عظيماً منذ فصل عن الرضاع يرشده إلى الخيرات ومكارم الأخلاق، ويصده عن الشر ومساوئ الأخلاق، وهو الذي كان يناديه السلام عليك يا محمد يا رسول الله وهو شاب لم

---

١) النووي: شرح مسلم ٢/٢١٦.

٢) البقرة: ١٨٩.

٣) النور: ٢٧.

٤) الطبرسي: تفسير مجمع البيان ٦/٢١٦؛ المجلسي: بحار الأنوار ١٨/٢٨٣؛ الطباطبائي: تفسير الميزان ١٣/٣٤.

يبلغ درجة الرسالة بعد)[(١)].

وعليه فلا داعي لاستئصال حظ الشيطان منه لأن الأخير لا سبيل له على الأنبياء؛ ثم إنّ ذلك ينافي الآيات القرآنية، قال تعالى: { قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ }[(٢)] وقال سبحانه: { إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ }[(٣)] ومن المؤكد أنّ الأنبياء هم صفوة عباد الله المخلصين والمؤمنين، فكيف يستمر سلطان الشيطان على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى حين الإسراء والمعراج؟[(٤)].

وإذا كانت هذه الآيات قد استشهد بها أحد الباحثين لإثبات بطلان الرواية فإنّه قد جزم بعدم حدوثها أصلاً عندما ناقش ذلك نقاشاً موضوعياً وخرج بنتيجة مفادها (...وكيف يدفعون الكتاب بالسنة، أو يعارضون المتواتر الذي يفيد اليقين، بأحاديث الآحاد التي لا تفيد إلاّ الظن؟! هذا إذا كانت هذه الأحاديث صحيحة... فهي من الأخبار الظنية لأنه من رواية الآحاد - ولما كان موضوعها عالم الغيب من قسم العقائد، وهي لا يؤخذ فيها بالظن، لقوله تعالى: { وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلاَّ ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنْ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ }[(٥)] كنا غير مكلفين بالإيمان بمضمون تلك الأحاديث في عقائدنا)[(٦)].

---

١) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١٣ /٢٠٧.
٢) الحجر: ٣٩-٤٠.
٣) النحل: ٩٩.
٤) جعفر مرتضى: الصحيح من سيرة النبي ٢ /٨٨.
٥) يونس: ٣٦.
٦) أبو رية: أضواء على السنة المحمدية /١٨٨-١٨٩.

وحقيقة القول: إنّ أحد الباحثين ذهب خير مذهب في إرجاع رواية شق صدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أصلها الجاهلي الذي صدرت منه، مؤكداً أنّها مفتعلة ومختلقة، وأن سر اختلاقها ليس إلا تأييد بعض العقائد الفاسدة، والطعن بصدق القرآن، وعصمة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم(١).

إنّ هذه الرواية وردت في أسطورة جاهلية عن أمية بن أبي الصلت(٢) ملخصها أنّ أمية دخل يوماً على أخت له فنام على سرير في ناحية البيت فانشق السقف وإذا بطائرين قد وقع أحدهما على صدره ووقف الآخر مكانه، فشق الواقع على صدره، فأخرج قلبه، فقال الطائر الواقف للطائر الذي على صدره: أَوَعى؟ قال: وَعى قال: أقبل؟ قال: أَبى، قال: فرد قلبه في موضعه فنهض فاتبعهما أمية... ثم تكررت عملية الشق أربع مرات (٣) وهذه الرواية كانت مشابهة للروايات التي وردت في حديث شق صدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولنا أن نتصور كيف كان قبول المصادر لمثل هذه الأساطير في السيرة المحمدية وكأنها من المُسلّمات التي أخذ بصحتها على أنّها اليقين؟!.

أمّا الغاية التي وضعت من أجلها فهي لتأييد مذهب القدرية أو الجبرية التي هي من افكار الأمويين إذ إنّ أعمال البشر بقدر مقدر قد قضى بها الله، لا القدر بمعنى يجتمع مع إرادة الإنسان واختياره، ولذلك فالمتهم بوضع ما يؤيد مذهبه

---

١) جعفر مرتضى: الصحيح من سيرة النبي ٢/٨٩-٩٠.

٢) أمية بن أبي الصلت الثقفي الشاعر المشهور، ادرك الإسلام ولم يسلم، أمه رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف ولذلك رثى أمية قتلى المشركين في بدر بقصيدة مشهورة لأن عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس هما ابنا خاله. ابن حجر: الإصابة ١/ ٣٨٤- ٣٨٥.

٣) أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ٤/١٣٤-١٣٥.

القدري الجبري هو ثور بن يزيد الذي أورد هذه الرواية[١] لأنه كان يرى القدر[٢] وبعبارة أخرى وكما قال أحد الباحثين: (ألا تعني هذه الرواية أنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان مجبراً على عمل الخير، وليس لإرادته فيه أي أثر أو فعالية أو دور؟! لأن حظ الشيطان قد أبعد عنه بشكل قطعي وقهري، وبعملية جراحية)[٣].

وعليه فإن بعض من فسر[٤] الآية: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾[٥] قد ذهب بعيداً في تفسيرها وسبب نزولها وتأثر برواية شق الصدر المكذوبة، وأنّ الأُفق الصحيح في تفسيرها هو شرح صدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي ألم يوسع لك صدرك للإسلام والإيمان والتوحيد[٦].

---

١) اليوسفي: موسوعة التاريخ الإسلامي١/٢٦٩.

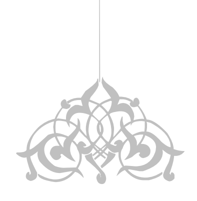
٢) العجلي: معرفة الثقاة ١/٢٦٢؛ العقيلي: ضعفاء العقيلي١/١٧٩ ؛ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ١/٧٤.

٣) جعفر مرتضى: الصحيح من سيرة النبي ٢/٨٧.

٤) السمرقندي: تفسير السمرقندي ٣/٥٦٩؛ السمعاني: تفسير السمعاني ٦/٢٤٨.

٥) الشرح: ١.

٦) مقاتل: تفسير مقاتل ٣/٤٩٦؛ الطوسي: التبيان ٤/ ٢٦٥.



المبحث الثالث: رعاية الغنم

كان أحد أسباب الشك برواية خبر شق صدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن ثَمّ عدم قبولها مع أسباب أخر مسألة رعاية النبي صلى الله عليه وآله وسلم الغنم في طفولته بعمر السنتين أو بعد ذلك بقليل، فهي رواية سالبة بانتفاء الأصل لأن أصلها غير صحيح إذ ثبت بطلان رواية شق صدره [1] فضلاً عن نفي خبر رضاعته من حليمة فهي رواية موضوعة أيضاً [2].

ولكن لا مناص من دراسة روايات رعايته للغنم والتحقق منها للوقوف على مصداقيتها، إذ أشارت رواية ابن إسحاق إلى أنّ مرضعته كانت تتحدث عن بركة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقولها: (...حتى قدمنا أرض بني سعد وما أعلم أرضاً من أرض الله عز وجل أجدب منها فإن كانت غنمي لتسرح ثم تروح شباعاً لبناً فنحلب ما شئنا وما حولنا أحد تبض له شاة بقطرة لبن وأن أغنامهم لتروح جياعاً حتى أنهم ليقولون لرعيانهم ويحكم انظروا حيث تسرح غنم أبي

١) ينظر الفصل الثاني، المبحث الثاني /٧٢- ٧٤.

٢) ينظر المحمداوي: الافتراءات في ولادة سيد الكائنات /١٤.

ذؤيب فاسرحوا معهم فيسرحون مع غنمي حيث تسرح فيريحون أغنامهم جياعاً وما فيها قطرة لبن وتروح غنمي شباعاً لبناً نحلب ما شئنا فلم يزل الله عز وجل يرينا البركة ونتعرفها حتى بلغ سنتيه... فبينما نحن خلف بيوتنا وهو مع أخ له من الرضاعة في بهم لنا جاءنا أخوه...) [١].

ويتضح من النص أعلاه أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يرعى الغنم لمرضعته بدليل الكلام عن بركته وكذلك تحديدها لمكان الرعي أنّه كان خلف بيوتنا على حد قولها، ولكن ما يثير التناقض في النص أنّ مرضعته أشارت في الوقت نفسه إلى أنّ ذلك كان حتى بلغ عمره سنتين! فكيف كان يرعى الغنم وهو صغير السن وبهذا العمر مع ما لهذه المهنة من صعوبة بحيث تحتاج لشخص أكبر من هذا العمر لكي يتحمل أعباءها؟.

وإذا كان هنالك ثمة من يعترض على أنّ حديث مرضعته كانت تقصد به البركة ولم تكن تقصد أنّ النبي كان يرعى الغنم بذلك العمر، فالنص واضح في داله ومدلوله، ثم إنّ رواية ابن هشام أكدت ما نذهب إليه من رأي عندما تحدث عن السياق نفسه وروى ما تحدثت به مرضعته على لسان قومها إذ قالت: (...حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب، فتروح أغنامهم جياعاً ما تبض بقطرة لبن، وتروح غنمي شباعاً لبناً، فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته) [٢].

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنّ رواية ابن سعد في الصدد نفسه اختلفت

١) السير والمغازي ١/٢٦ – ٢٧.

٢) السيرة النبوية ١/١٠٦.

عن رواية ابن إسحاق في العمر الذي كان قد رعى به الغنم، إذ ذكر أنّ عمره كان أربع سنين مع العلم أنّ الروايتين كانتا تتحدثان عن حادثة شق صدره إذ قال: (...ولما بلغ أربع سنين كان يغدو مع أخيه وأخته في البهم قريباً من الحي فأتاه الملكان هناك فشقا بطنه...) [1].

وعلى الرغم من أنّ الروايتين اختلفتا في توقيت ذلك قياساً بعمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي من الجهة الزمانية فإنّهما اختلفتا بالجهة المكانية أيضاً وكذلك بمن كان حاضراً مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم آنذاك فحسب رواية ابن إسحاق أنّه كان يرعى الغنم خلف البيوت (مع أخ له) أمّا رواية ابن سعد فإنّه كان قريباً من الحي (مع أخيه وأخته) وهذا الاختلاف في تحديد الزمان والمكان وكذلك تحديد من كان معه إنّما يوحي باضطراب الرواية ومن ثَمّ عدم قبولها، سيما ونحن نتحدث عن حادثة شق الصدر التي ورد الخبر بين طياتها والتي ثبت لنا عدم مصداقيتها أصلاً.

وعليه فما بني على باطل فهو باطل ولا يمكن الاستناد اليه، فضلاً عن أنّ الهاشميين كانوا موسرين وهم سادة قريش وكان اشتغالهم بالتجارة منذ أيام جدهم هاشم بن عبد مناف [2] فهل يصح أن يعمل بنوهم بحرفة الرعي؟ مع عدم احتقار هذه الحرفة ولكن منافاة ذلك لواقع الزعامة ويسر أحوالهم اقتصادياً يقتضي عدم قبول ذلك، وهذا يدعو إلى رفض الخبر الذي صرح برعي النبي صلى الله عليه وآله وسلم الغنم في طفولته.

---

١) الطبقات الكبرى ١/ ١١٢.

٢) الصفراني: هاشم بن عبد مناف / ٣٢، ٨٧، ١١٩.

وما يعزز رأينا رواية ابن إسحاق نفسها إذ أشارت على لسان مرضعته إلى أنّ ديار بني سعد كانت مجدبة فكيف تحصل عملية الرعي في أرض لانبت فيها ولا زرع؟!، ثُم إنّ رواية الطبري في السياق نفسه وهو حديث شق الصدر بسنده عن شداد بن أوس لم تشر إلى أنّ النبي كان يرعى الغنم آنذاك وإنّما قال: (... وكنت مسترضعاً في بني ليث بن بكر فبينا أنا ذات يوم منتبذ من أهلي في بطن واد مع اتراب لي من الصبيان نتقاذف بيننا بالجلة إذ أتانا رهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملئ ثلجاً فأخذوني من بين أصحابي...) [١].

أمّا خبر رعي النبي صلى الله عليه وآله وسلم الغنم في شبابه قبل البعثة وتحديداً قبل زواجه من خديجة بنت خويلد فقد ورد ذلك في روايات مختلفة، ففي رواية ابن إسحاق: (عن هشام بن عروة عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ما من نبي إلاّ وقد رعى الغنم فقيل وأنت يا رسول الله قال وأنا)[٢].

ويبدو أنّ هذه الرواية إحدى روايات عروة بن الزبير الكثيرة المفتراة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي كان يتقرب فيها إلى السلطة الأموية لينال الشهرة والمال [٣].

اذ لا يخفى على أحد أنّ عدد الأنبياء كان بالآلاف فهل يعقل أنّ جميعهم

١) تاريخ الرسل والملوك ١ / ٥٧٥.

٢) السير والمغازي ٢/١٠٤؛ وينظر ابن هشام: السيرة النبوية١/١٠٨؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى١/١٢٥.

٣) الفارس: عروة بن الزبير، دراسة في سيرته ومروياته التاريخية من السيرة النبوية /١٢، ٣٧، ٤٧، ٤٣.

كانوا رعاة غنم؟ ثم إنّ هذا الحديث يتعارض مع حديث آخر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر فيه الأنبياء الذين أمتهنوا مهنة الرعي منهم النبي موسى والنبي داود عليه السلام فضلاً عنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يتطرق إلى غيرهم، قال ابن إسحاق: (تفاخر رعاء الإبل ورعاء الغنم عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأوطأهم رعاء الإبل غلبة فقالوا ما أنتم يا رعاء الغنم وهل تحمون أو تصيدون ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس فتكلم فقال بعث موسى عليه السلام وهو راعي غنم وبعث داود وهو راعي غنم وبعثت أنا وأنا راعي غنم أهلي بأجياد [1] فغلبهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) [2].

وإذا فرضنا جدلاً صحة ذلك، فهذا مردود لأنه من البديهي الذي لا خلاف فيه أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند بعثته كان متزوجاً من خديجة بنت خويلد عليها السلام وهي أمرأة موسرة لعملها بالتجارة فهل يصح أن يعمل زوجها راعي غنم؟ ثُم إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم آنذاك كان يعمل بالتجارة وشريكاً لخديجة في أموالها [3] وليس محتاجاً لأن يعمل راعي غنم، وإذا تجاهلنا ذلك نقول: إنّ آثار الأنبياء تبقى شاخصة وعلى هذا أين ذهبت عصاه التي كان يرعى بها فهل وجدت في آثاره أو أنّها سُلمت لشخص آخر؟ [4].

وأورد ابن سعد روايتي ابن إسحاق آنفتي الذكر عند ذكره خبر رعاية النبي

---

١) موضع بمكة يلي الصفا. ياقوت الحموي: معجم البلدان ١/١٠٥.

٢) ابن إسحاق: السير والمغازي ٢/ ١٠٤-١٠٥.

٣) ينظر تفصيلات ذلك في الصفحة المقبلة.

٤) للتفصيلات ينظر المحمداوي: الشبهات التي أثارها المنافقون ضد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم / ٨ - ١٢.

صلى الله عليه وآله وسلم الغنم في مكة، ولكنه ساق لنا رواية مفادها أنّ النبي قد رعى الغنم بالأجرة بسنده عن عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص القرشي عن جده سعيد عن أبي هريرة قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما بعث الله عز وجل نبياً إلا راعي الغنم قال له أصحابه وأنت يا رسول الله قال نعم وأنا رعيتها لأهل مكة بالقراريط) [1].

وروى رواية أُخرى انتهى سندها عن الزهري عن جابر بن عبد الله قال: (كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم نجني الكباث [2] فقال عليكم بالأسود منه فإنه أطيبه فإنّي كنت أجنيه إذ كنت أرعى الغنم قلنا وكنت ترعى الغنم يا رسول الله قال نعم وما من نبي إلا قد رعاها)[3].

ويبدو أنّ حديث رعي النبي صلى الله عليه وآله وسلم الغنم إنّما أُستند فيه على روايات ابن إسحاق وابن سعد إذ إنّهما أقدم المصادر التي ذكرت ذلك الخبر، ولكن ما يثير الانتباه في هذه المسألة أن الظاهر من رواية ابن سعد الأولى أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يرعى الغنم لأهل مكة بالقراريط أي أنّه كان راعياً بالأجرة؛ وهذا مالم يرد في روايتي ابن إسحاق في خبر الرعي (هذا مع رفض خبر الرعي أصلاً)، أمّا إذا قيل إنّه كان مستأجراً لخديجة بنت خويلد قبل زواجه منها؛ فهذا مردود أيضاً لأنه يناقض ما ذكره اليعقوبي عن عمار بن ياسر في خبر تزويج النبي منها (... وأنه ما كان مما يقول الناس إنّها استأجرته بشيء ولا كان أجيراً

---

١) الطبقات الكبرى ١/ ١٢٥.

٢) الكباث بالفتح: النضيج من ثمر الأراك. الجوهري: الصحاح ٢٩٠/١؛ ابن منظور: لسان العرب ١٧٨/٢.

٣) الطبقات الكبرى ١٢٦/١.

لأحد قط)[١] لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن أجيراً لها وإنّما كان مضارباً[٢] بأموالها وشريكاً لها وهذا ما كان سائداً عند العرب قبل البعثة النبوية[٣] ويؤيدنا في ذلك ما رواه الإمام العسكري عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يسافر إلى الشام مضارباً بأموال خديجة بنت خويلد[٤].

وعليه تسقط مصداقية الحديث المروي عن أبي هريرة من رواية ابن سعد؛ أولاً لما ذكرناه من أدلة تعارض ذلك، وثانياً لأن الروايات قد رويت بألفاظ متعددة فتارة أرعى غنم أهلي بأجياد حسب رواية ابن إسحاق، وتارة أخرى لأهل مكة بالقراريط حسب رواية ابن سعد، وتارة ثالثة على قراريط لأهل مكة حسب رواية البخاري[٥] وإذا كان الراوي واحداً لم يقبل منه هذا الاختلاف[٦].

ثم إنّ لفظ البخاري على قراريط يعني أنّه رعى الغنم بالأجرة لأهل مكة ولذلك أورده في باب الإجارة وهذا ما تعارض مع رواية اليعقوبي آنفة الذكر بأنّه لم يكن أجيراً لأحد قط هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن العرب لم تكن تعرف القراريط أي القيراط من النقود وهذا ما أشار إليه ابن حجر[٧] أمّا إذا كان المقصود بالقراريط موضعاً وهو خلاف ما فهمه البخاري فذلك مردود أيضاً، لأنه لا

---

١) تاريخ اليعقوبي ٢/٢١.

٢) المضاربة: (أن تعطي إنساناً من مالك ما يتجر فيه على أن يكون الربح بينكما، أو يكون له سهم معلوم في الربح وكأنه مأخوذ من الضرب في الأرض لطلب الرزق). ابن منظور: لسان العرب ١/١٥٥.

٣) ابن قتيبة: غريب الحديث ١/٣٢؛ ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث ٤/٤١.

٤) التفسير المنسوب للإمام العسكري /١٥٥.

٥) صحيح البخاري ٣/٤٨.

٦) جعفر مرتضى: الصحيح من سيرة النبي ٢/٩٨.

٧) فتح الباري ٤/٣٦٤.

يعرف مكاناً في مكة بهذا الاسم[١] وعليه فإن الخبر المروي عن أبي هريرة لا يعتد به وربما أورد أحاديث كهذه لكي يعلي من شأنه، سيما إذا ما علمنا أنّه كان يحدث عن نفسه قائلاً: (... وكنت أجيراً لبسرة بنت غزوان[٢] بطعام بطني وعقبة رجلي...)[٣] وكان راعياً للغنم في بداية حياته[٤] ولذلك فليس من المستبعد أن يكون هذا الخبر من كيس أبي هريرة، كما قال هو عندما سأله بعضهم عن حديث رواه فاستغربوا منه بقولهم: (...سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا، هذا من كيس أبي هريرة) [٥].

فضلاً عن أنّ سند الرواية ضعيف من باب عمرو بن يحيى السعيدي الأموي الذي تفرد بذكر رعي النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأهل مكة بالقراريط، إذ ذكر ابن أبي حاتم حديثه هذا قائلاً: (ليس حديثه بشيء) [٦] وقال عنه ابن معين: (وعمرو بن يحيى السعيدي ليس به بأس هو صاحب حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال كنت أرعى الغنم لأهل مكة بالقراريط) [٧] وسكت ابن عدي عن

---

١) الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد ١٥٧/٢؛ الحلبي: السيرة الحلبية ٢٠٥/١.

٢) هي أخت عتبة بن غزوان المازني أمير البصرة، وقصة أبي هريرة معها صحيحة وكانت قد استأجرته في العهد النبوي ثم تزوجها بعد ذلك لما كان مروان بن الحكم يستخلفه في إمرة المدينة. ابن حجر: الإصابة ٥٢/٨.

٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣٢٦/٤؛ ابن قتيبة: المعارف / ٢٧٧.

٤) ابن إسحاق: السير والمغازي٢٦٦/٥؛ للتفصيلات ينظر أبو رية: شيخ المضيرة أبو هريرة/٤٤.

٥) البخاري: صحيح البخاري ١٩٠/٦؛ ابن عبد البر: التمهيد ٤٤/٢٢؛ النووي: المجموع ٢٦٨/١٨.

٦) الجرح والتعديل ٣٤٣/٣.

٧) تاريخ ابن معين ٣٧٥/١.

تجريحه أو تعديله عند روايته لهذا الحديث [١]؛ وهذا ما جعل الذهبي يحتج بـذلك، فقال عنه إنّه صـدوق؛ ولكـن مـا يلفـت النظـر أنّـه نقـل عـن ابـن معـين قولـه في السعيدي: (صالح) [٢] وهذا مالم نجده عند ابن معين الذي قال عنه ليس بـه بـأس كما ورد آنفاً.

أمّا بالنسبة إلى رواية ابن إسحاق الأولى ورواية ابن سعد الثانية من طريق الزهري؛ فالنقد الموجه إليهما من باب سؤال المسلمين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم قـد رعـى الغـنم فلمـا أجـابهم استغربوا ذلك بحسب ظاهر الرواية؛ وهنا نقول: ألم يكن النبي صـلى الله عليـه وآله وسلم قد عـاش بـين ظهـرانيهم أربعـين عامـاً حـتى بعـث نبيـاً؟ فهـل مـن المعقول أنّهم لم يعرفوا كيف كان حـال الـنبي صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم ومـا طبيعة عمله آنذاك؟.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية حسب رواية ابن إسحاق آنفة الذكر[٣] يتضح أن العرب من أهل الابل كانوا يفخرون على أهل الغنم، وهذا يعني أنّ من يمتـهن رعي الغنم كمهنة يكون أقل قدراً عند أقرانه من العرب، وهذا خلاف مـا عرفنـاه عـن آل هاشـم وهـم سـادة قـريش الـذين كـانوا مـن بيوتـات العـرب في الـشرف والمكانة[٤] وإذا كان ثمة من يعترض على هذا بالقول: إنّ العرب لا تعير بهذه المهنة فهذا مردود، فقد روي أنّ عمر بن الخطاب قد (...فرض لعثمان بـن عبـد الله بـن

---

١) الكامل ١٢٢/٥.

٢) ميزان الاعتدال ٣ /٢٩٣.

٣) ينظر الفصل الثاني، المبحث الثالث /٧٧.

٤) الصفراني: هاشم بن عبد مناف / ٨٦-٩٥.

عثمان بن عمرو[١] ثماني مائة وفرض للنضر بن أنس[٢] في ألفي درهم فقال له طلحة بن عبيد الله جاءك ابن عثمان بن عمرو ونسبه إلى جده ففرضت له ثماني مائة وجاءك هنبة[٣] من الأنصار ففرضت له في الفين فقال إني لقيت أبا هذا يوم أحد فسألني عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت ما أراه إلا قد قتل فسل سيفه وكسر غمده وقال إن كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قتل فإن الله حي لا يموت وقاتل حتى قتل وهذا يرعى الغنم بمكة أفتراني أجعلهما سواء...)[٤]؛ ومع أنّ مقياس التفاضل بين الشخصين كان الجهاد لكن من جانب آخر كانت مهنة الرعي هي التي قللت من شأن العطاء.

وفي حديث الفتن المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن تنطق الرويبضة في أمر العامة[٥] وفسر بعض أهل اللغة الرويبضة أنّها الرجل الحقير التافة وقال الأزهري الرويبضة هو الرجل الذي يرعى الغنم وقد تأتي بمعنى الربيضة تصغير رابضة وهي بالمعنى نفسه[٦] وفي لفظ آخر من أشراط الساعة أن ترى رعاء

١) وهو ابن أخي طلحة بن عبيد الله. الهيثمي: مجمع الزوائد ٦/٤- ٥.

٢) النضر بن أنس بن مالك بن النضر الأنصاري، أمه أم ولد وكان ثقة وروي عنه بعض الأحاديث. ابن سعد: الطبقات ١٩١/٧.

٣) لم نعثر لها على أي ترجمة، ولكن يبدو من سياق العبارة أنّها استخدمت أما للتقليل من المكانة الاجتماعية أو للتقليل العددي أي قلة من الأنصار.

٤) ابن سلمة: شرح معاني الآثار ٣٠٦/٣.

٥) الصنعاني: المصنف ٣٨٢/١١؛ ابن حنبل: مسند ابن حنبل ٢٩١/٢، ٣٣٨؛ ابن ماجة: سنن ابن ماجة ١٣٤٠/٢؛ المروزي: الفتن /٣١٩؛ أبو يعلى الموصلي: مسند أبي يعلى ٣٧٨/٦؛ الطبراني: المعجم الأوسط ٣٦٠/٣؛ الحاكم النيسابوري: المستدرك ٤٦٦/٤؛ الهيثمي: مجمع الزوائد ٢٨٤/٧.

٦) ابن منظور: لسان العرب ١٥٣/٧؛ الزبيدي: تاج العروس ٥٥/١٠.

الشاء تطاولوا في البنيان أو البناء (مع اختلاف ألفاظ الحديث) [١] وفي لفظ أن ترى رعاء الشاء رؤوس الناس [٢] ورعاء الشاء هي: جمع راع وهو القائم على الماشية[٣] وكانت العرب تهجو وتتمثل بالقوم الذين لا يجيدون القتال في الحروب برعاء الشاء والبهم [٤] أو الضأن [٥] وعليه فلا مناص إلاّ أن نشك ونرفض أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم من رعاة الأغنام.

الغريب أنّ بعض العلماء قبلوا بعض الروايات على أنّها حقائق مسلم بها وفسروا رعي النبي صلى الله عليه وآله وسلم الغنم أن الحكمة منه في إلهام الأنبياء قبل النبوة لكي يحصل لهم التمرن برعيها وبالتالي التعريف بسياسة العباد وذلك لصعوبتها وتفرقها في المرعى ولأن في مخالطتها يحصل لهم الحلم والشفقة، فإذا صبروا على رعيها ألفوا من ذلك الصبر على الأمة، وكذلك ليأخذوا أنفسهم بالتواضع وتعتاد قلوبهم بالخلوة ويترقوا من سياستها إلى سياسة الأُمم، وبذلك يكونوا رعاة الخلق وتكون أممهم رعايا لهم، فجرت العادة أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد اتبع إخوته من الرسل في رعي الغنم[٦] ولكن جميع الذي ذكر

---

١) ابن حنبل: مسند ابن حنبل ١/٢٧؛ مسلم: صحيح مسلم ١/٢٩؛ ابن ماجة: سنن ابن ماجة ١/٢٥؛ أبو داود: سنن أبي داود ٢/٤١٢؛ الترمذي: سنن الترمذي ٤/١٢٠؛ النسائي: سنن النسائي ٨/١٠٠؛ البيهقي: السنن الكبرى ١٠/٢٠٣.

٢) الدارقطني: علل الدارقطني ١٠/٦٠.

٣) ابن حجر: مقدمة فتح الباري /١٢٠.

٤) ابن منظور: لسان العرب ١٠/١٠٢.

٥) ابن منظور: لسان العرب ٤/٣٢٥.

٦) ابن حجر: فتح الباري ٤/٣٦٤، ٦/٣١٤؛ العيني: عمدة القاري ١٢/٨٠؛ الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد ٢/١٥٦ – ١٥٧؛ المجلسي: بحار الأنوار ٦١/١١٧.

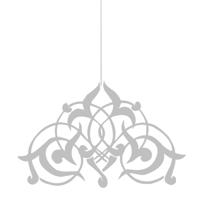
من تفسيرات لا يمكن أن يكون بالضرورة واجباً على كل نبي لأن كل واحد من الأنبياء قد عاش في بيئة مختلفة عن الأُخرى، ثم إنّ إلهام الأنبياء أمر رباني ويكون بالفطرة قد عصمه الله سبحانه من التكبر والله أعلم حيث يجعل رسالته فلماذا يكون التواضع برعي الغنم حصراً؟ ثم أليس من المفترض والبديهي أن يكون أي نبي متواضعاً وصبوراً وحليماً؟ فلماذا يجب على الأنبياء أن يدخلوا في مدرسة الرعي لكي تهذب أخلاقهم وبالتالي يترقى الأنبياء من سياسة الرعي إلى سياسة الأُمم؟ ألا يتعارض ذلك مع قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [١] وكذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (أدبني ربي فأحسن تأديبي)[٢]؛ وهل صحيح أنّ مهنة الرعي هي أصعب المهن حتى تكون هي المعيار في صقل الأنبياء أو البشر؟ وإذا ثبت ذلك فهل كل من أمتهن تلك المهنة تكون أخلاقه سمحة؟ أم أنّ هذه المدرسة هي لتهذيب أخلاق الأنبياء فقط؟! وهلم جراً من الأسئلة التي لا نجد لها أجوبة شافية في مصادرنا الإسلامية.

عليه؛ ومع عدم ذكر القرآن الكريم لحقيقة أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يرعى الغنم وكذلك الأدلة التي أوردناها، يقتضي ذلك كلّه رفض تلك الروايات جملةً وتفصيلاً.

---

١) آل عمران: ١٥٩.

٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ١١/٢٣٣؛ السيوطي: الجامع الصغير ١/٥١؛ المتقي الهندي: كنز العمال ١١/٤٠٦.



المبحث الرابع: حديث أكله الحرام وما ذبح على النصب

وردت روايات عدة صرحت بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يأكل ما ذبح على النصب وأنه كان يذبح الذبائح عليها قبل نزول الوحي، والأغرب من ذلك أنّه لا يرى في ذلك مشكلاً في حين أنّ زيد بن عمرو بن نفيل [1] كان يحرم ذلك على نفسه!.

إنّ ابتداء الرواية صدر عن كتب السيرة وتحديداً عن ابن عقبة ومن ثم أضيفَ إليها زيادة باللفظ فتغير المعنى فتداولت القضية في كتب الحديث وأصبحت من المُسلّمات.

روى ابن عقبة عن سالم بن عبد الله بن عمر[2] قال (... إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح[3]، قبل أن ينزل على

١) زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رياح القرشي العدوي، هو عم عمر بن الخطاب وكانت ابنته عاتكة تحت عمر بن الخطاب، قيل إنّ زيداً كان يطلب دين الحنيفية قبل أن يبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم. ابن عبد البر: الاستيعاب ٦١٤/٢.

٢) سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح القرشي العدوي، أمه أم ولد ويكنى سالم أبا عمير وقيل أبو عمر. ابن سعد: الطبقات الكبرى ١٩٥/٥.

٣) وادي قبل مكة من جهة المغرب. ياقوت الحموي: معجم البلدان ٤٨٠/١.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم الوحي، فقُدمت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم سفرة، فأبى أن يأكل منها ثم قال زيد: إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه، وأن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم الله إنكاراً لذلك وإعظاماً له) [١].

وقبل أن نناقش الزيادات اللفظية على نص ابن عقبة ينبغي أن ندرس الرواية الأصلية التي أوردها الأخير؛ فابن عقبة صرح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لقي زيد بأسفل بلدح وهذا الموضع يقع قبل مكة من جهة المغرب أي أنّه يقع خارجها، في الوقت الذي أشارت رواية ابن عقبة إلى أنّ زيداً كان يعيب على قريش ذبائحهم لأنهم كانوا يذبحونها على الأنصاب؛ والأنصاب عبارة عن أحجار كانت حول الكعبة يذبحون عليها للأصنام [٢] أي في داخل مكة؛ وهنا المفارقة واضطراب النص فلا معنى إذاً أن تقدم سفرة الطعام سواء أكانت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أم لزيد في الوديان خارج مكة إذ الأولى أن تقدم داخل مكة.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى الواضح من النص أنّ السفرة قدمت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأبى أن يأكل منها، أي أنّها لم تقدم إلى زيد وعليه فلا داعي أصلاً أن يرفضها زيد لتحريمه لها، لكن يبقى في ذلك احتمالان:

الأول: أن يكون هناك استقطاع في النص وهذا يدعونا إلى الشك في تصرف الرواة في الرواية ومن ثم عدم قبولها.

---

١) المغازي /٦٠.

٢) ابن حجر: فتح الباري ١٠٨/٧؛ العيني: عمدة القاري ٢٨٦/١٦.

والثاني: إنّ السفرة لم تقدم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي أنّها قد قدمت إلى زيد ومن ثم رفضها.

وهنا يستقيم اللفظ مع المعنى، ولكن في الوقت نفسه تسقط موضوعية الرواية من حيث إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قدمت إليه تلك السفرة سواء رفض الأكل منها أو أنه ارتضاه، بعد ذلك نرفض جميع الروايات التي جاءت فيما بعد في كتب الحديث والتي استندت على الرواية الأصلية في أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أكل من الأنصاب.

وعلى الرغم من أنّ الرواية أحادية الجانب إذ لم يروِها سوى سالم بن عبد الله بن عمر وهذا يضعف قبولها، نجد الزيادات اللفظية في الوقت نفسه قد دخلت على الرواية الأصلية؛ وإذا كان الراوي واحداً لم يقبل منه تعدد ألفاظها إلاّ إذا كان الرواة قد تصرفوا بها وفي الحالتين فإن ذلك يشكل طعناً في مصداقياتها؛ ففي الوقت الذي نجد أنّ السفرة قد قدمت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في رواية ابن عقبة آنفة الذكر أي أنّ قريش هي التي قدمتها، نجد في رواية ابن حنبل خلاف ذلك وأنّه صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي قدمها إلى زيد فرفض إذ قال: (...إنّه لقي زيد بن عمرو بن نفيل... فقدم إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سفرة فيها لحم فأبى أن يأكل منها ثم قال إني لا آكل ما تذبحون على أنصابكم...)[1].

وأورد البخاري الرواية ولكن بلفظين مختلفين، كان الأول مشابهاً لما أورده ابن عقبة من أنّ السفرة قد قُدمت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فرفضها، وذلك

١) مسند ابن حنبل ٢/٦٨ - ٦٩، ٢ /١٢٧.

في باب حديث زيد بن عمرو[١] أما الثاني في موضع آخر وهو باب ما ذبح على النصب والأصنام وكان مختلفاً عن رواية بن عقبة ومشابهاً لرواية ابن حنبل من أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدم سفرة اللحم إلى زيد فرفض أكلها [٢].

وعليه فإن التلاعب بالألفاظ وبالتالي اختلاف المعنى سواء أكان ذلك بقصد أم عدمه قد أدى إلى قبول تلك الروايات في المصادر على أنّها حقائق مُسلّم بها وشاع أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أكل أو ذبح على الأنصاب، وفي حقيقة الأمر لو أخذنا بصحة تلك الروايات فإن أقل ما يتبادر إلى الذهن أنّ زيد بن عمرو كان أحرص من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في اتباع دين إبراهيم عليه السلام لأنه كان على الحنيفية [٣] وهي صفة دين الإسلام عند العرب قبل البعثة[٤] وطالما أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم استساغ قبول ذلك فهو لم يكن موحَّداً أي ليس على الإسلام دينه ودين آبائه الموحدين! وهذا خلاف ما ثبت عن عقيدة آبائه وأجداده[٥] وإن زيداً أعرف بالله من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأتم حفظاً لجانب الله وهذا مرفوض [٦] ثم إنّ رواية كهذه تصرح ببيان تفضيل زيد ابن عمرو على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإنه كان أهلاً للنبوة، ومحال أن يكون ذلك فالله أعلم أين يضع رسالته.

---

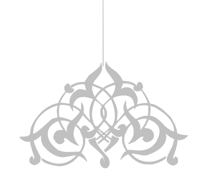
١) صحيح البخاري ٤/ ٢٣٢- ٢٣٣.
٢) صحيح البخاري ٦/٢٢٥.
٣) ابن عقبة: المغازي /٦١.
٤) المحمداوي: أبو طالب بن عبد المطلب / ١٤٠ – ١٤٢.
٥) الصفراني: هاشم بن عبد مناف / ٣٤.
٦) ابن طاووس: الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف / ٣٧٠.



الفصل الثالث: التشكيك في النبوة

المبحث الأول: روايات بدء الوحي

المبحث الثاني: رواية الغرانيق



المبحث الأول: روايات بدء الوحي

تناولت المصادر العديد من الروايات عن مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومبتدأ الوحي ونزوله، لعل أشهرها وأكثرها تداولاً الرواية التي جاء فيها على لسانه (زملوني زملوني) وحديث ورقة بن نوفل معه وتطمين السيدة خديجة عليها السلام له والتخفيف عنه، ولا مناص عن مناقشة هذه الرواية للوقوف على حقيقة صحتها، وذلك لما جاء فيها من إشكاليات استوقف عندها الباحث وقفة الشك الذي يوصل إلى اليقين وهذا ما سنتناوله تباعاً بعد سرد تلك الروايات.

روى ابن إسحاق عن عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي[1] عن بعض أهل العلم (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين أراد الله عز وجل كرامته وابتدأه بالنبوة وكان لا يمر بحجر ولا شجر إلاّ سلم عليه وسمع منه فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلفه وعن يمينه وعن شماله فلا يرى إلاّ الشجر وما حوله من الحجارة وهي تحييه بتحية النبوة السلام عليك يا رسول الله... حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله عز وجل فيها برسالته ورحم العباد به جاءه جبريل بأمر الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجاءني وأنا نائم فقال اقرأ فقلت وما أقرأ فغتني حتى ظننت أنه الموت ثم

١) عبد الملك بن عبد الله روى عن عمه عمرو بن أبي سفيان الثقفي، وعمرو تابعي روى عن أبي موسى وأبي هريرة وابن عمر. ابن حجر: الإصابة ٥/ ٢٢٥.

كشطه عني فقال اقرأ فقلت وما أقرأ فعاد لي بمثل ذلك ثم قال اقرأ فقلت وما أقرأ وما أقولها إلاّ تنجياً أن يعود لي بمثل الذي صنع بي فقال: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ثم انتهى فانصرف عني وهببت من نومي وكأنما صور في قلبي كتاب ولم يكن في خلق الله عز وجل أحد أبغض إلي من شاعر أو مجنون كنت لا أطيق أنظر إليهما فقلت إنّ الأبعد يعني نفسه صلى الله عليه وسلم لشاعر أو مجنون ثم قلت لا تحدث قريش عني بهذا أبداً لأعمدن إلى حالق من الجبل فلأطرحن نفسي منه فلأقتلنها فلأستريحن...)[١].

وأورد ابن هشام هذه الرواية بالسند نفسه عن ابن إسحاق باختلاف طفيف بالألفاظ وتفصيلات أخرى، ولكنه لم يذكر خبر الشاعر أو المجنون أو تخوف النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تكذيب قريش له[٢] وربما كان سبب ذلك عدم اقتناعه بما جاء فيها بهذا الصدد.

الملاحظ على هذه الرواية انقطاع سندها عند "بعض أهل العلم" فلا نعلم من هؤلاء الذين حدثهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا الخبر، فضلاً عن أنّ بعض روايات ابن إسحاق للسيرة عموماً وصلت عن طريق أحمد بن عبد الجبار ويونس بن بكير اللذين لم يثبت تواتر رواياتهما واحداً عن الآخر لطول المدة الزمنية بين وفاة كل منهما [٣].

---

١) السير والمغازي ٢ / ١٠١؛ وينظر الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢/٤٨-٤٩ ؛ ابن عساكر: تاريخ دمشق ٦٣/١٢-١٣؛ المقريزي: إمتاع الأسماع ٣/٢٤-٢٦.

٢) السيرة النبوية ١٥٣- ١٥٥.

٣) الصفراني: هاشم بن عبد مناف / ٤٢- ٤٣.

أمّا متن الرواية فالتناقض واضح بين صدر الرواية وعجزها، ففي الوقت الذي صرحت أنّ الشجر والحجر كان يحيي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتحية النبوة (السلام عليك يا رسول الله) وهذا يعطي مدلولاً أنه كان على علم مسبق بنبوته، فإنها تذهب لتصرح مرة أخرى بما يناقض ذلك فتبين أنّ النبي كان متفاجئاً تماماً عندما أتاه الوحي بالبينات، وليس هذا فحسب وإنما يتضح من الرواية أنّه أتهم نفسه بالشعر والجنون مع أنّه كان لا يطيق النظر إلى من يحمل صفات الشاعر أو المجنون وأنّهما أبغض خلق الله إليه، وهذا ما يتناقض مع سيرته العطرة فمن البديهيات أنّ حسان بن ثابت كان شاعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكيف كان لا يطيق الشعراء؟ وأمّا المجنون فلا ذنب له في جنونه ومن ثَمّ هو غير مسؤول عمّا يصدر عنه، ولكن هذا التناقض في الوقت نفسه يتلاءم مع ما وجه إليه من تهم من قبيلة قريش فيما بعد أي بعد إظهار الدعوة، وهذا ما فات واضع الرواية حين قدم تلك التهم مسبقاً، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يعلن آنذاك نبوته حتى للمقربين منه إلا خديجة والإمام علي عليه السلام فكيف علم صلى الله عليه وآله وسلم بتكذيب قريش له ابتداءً ومن ثم أراد أن ينتحر ويلقي نفسه من أعالي الجبال ليقتلها ويستريح؟**!.**

وليست هذه الرواية فقط هي ما حمل التناقضات بين طياتها بل وناقضت رواية أخرى أوردها ابن إسحاق بالسياق نفسه، قال: (إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لخديجة إنّي إذا خلوت وحدي أسمع نداءً وقد والله خشيت أن يكون هذا لأمر فقالت معاذ الله ما كان الله ليفعل بك ذلك فو الله إنّك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث فلما دخل أبو بكر**...** وليس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم ذكرت خديجة حديثه له فقالت يا عتيق اذهب مع

محمد إلى ورقة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ أبو بكر بيده فقال انطلق بنا إلى ورقة فقال ومن أخبرك قال خديجة فانطلقا إليه فقصا عليه فقال إذا خلوت وحدي سمعت نداءً خلفي يا محمد يا محمد فأنطلق هارباً في الأرض فقال لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول ثم ائتني فأخبرني فلما خلا ناداه يا محمد قل ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ قل لا إله إلا الله فأتى ورقة فذكر ذلك له فقال له ورقة أبشر ثم أبشر فأنا أشهد أنك الذي بشر بك ابن مريم وأنك على مثل ناموس موسى وأنك نبي مرسل وأنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ولئن أدركني ذلك لأجاهدن معك فلما توفي ورقة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقد رأيت القس في الجنة عليه ثياب الحرير لأنه آمن بي وصدقني يعني ورقة) [١].

هذه الرواية حسب ما يفهم منها أنّ الوحي لم يكن قد نزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد، بدليل سماعه للنداء من دون رؤيته للوحي وخشية النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّ هناك أمراً سوف يحدث وبالتالي تطمين خديجة عليها السلام له، وواضح جداً أنّ ذلك سابق لعهد نزول الوحي ولاحق لما أشارت إليه الرواية السابقة من أن الشجر والمدر كان يسلم عليه بالنبوة، ولكن مع ذلك نرى الرواية تشير لدخول أبي بكر على خديجة عليها السلام فتقص عليه الخبر وتأمره بأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ورقة بن نوفل! وهذا التناقض في ربط الأحداث يوحي بأن الراوي قد قام بالجمع ما بين روايتين متناقضتين أو أنّه دلس في الرواية زيادةً ونقصاناً.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى لا نعلم آنذاك هل كان أبو بكر قد آمن بالنبي

١) السير والمغازي٢/ ١١٢ - ١١٤

صلى الله عليه وآله وسلم والدعوة المحمدية قبل إيمان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه أولاً وبالدعوة ثانياً؟! ثم أين كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقص لخديجة الخبر؟ ألم تصرح الرواية أنّه كان موجوداً معها؟ وظاهر النص يفصح أنّ أبا بكر هو من أخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ورقة في ذلك الحين فسأل النبي مستفهماً ومتعجباً (...ومن أخبرك قال خديجة فانطلقا اليه...)، ومعنى ذلك أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يعلم بحديث خديجة عليها السلام مع عتيق! وهذا دليل على تناقض الرواية نفسها واضطرابها بالزمان والمكان، وليس هذا فحسب بل إن ابن إسحاق ذكر ما يناقض روايته التي ذكرت أنّ أبا بكر هو من أخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ورقة إذ ذكر في موضع آخر أنّ خديجة هي من ذهبت إلى ورقة وقصت عليه الخبر فأخبرها أنّه نبي مرسل فجاءت لتطمئن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ومن ثم التقى ورقة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يطوف بالكعبة فسأله عما يأتيه من الوحي[1] ولو كان الراوي واحداً لم يقبل منه ذلك الاختلاف والتناقض كلّه للحدث الواحد زمانياً ومكانياً؟.

وإذا افترضنا صحة هذه الرواية والتي سبقتها فإن هناك روايات أخر تناقض الروايات السابقة، عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: (أول ما ابتدىء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من النبوة حين أراد الله عز وجل كرامته ورحمة العباد به ألا يرى شيئاً إلاّ جاءت كفلق الصبح فمكث على ذلك ما شاء الله عز وجل أن يمكث وحبب الله عز وجل إليه الخلوة فلم يكن شيء أحب إليه من أن يخلو وحده)[2]، وهذه الرواية زمانياً سابقة لعهد الوحي وعليه كيف كان

---

١) السير والمغازي ١٠٢/٢.

٢) ابن إسحاق: السير والمغازي ٢/ ١٠٠، ١١٢؛ الصنعاني: المصنف ٣٢١/٥؛ ابن هشام: السيرة ←

النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرى الرؤى كفلق الصبح ومع ذلك عندما أتاه الوحي ارتاب من أمر النبوة فاستعان بامرأته خديجة عليها السلام وأبي بكر وورقة النصراني؟! فكيف يفسر ذلك بعضه؟ أيعقل أنّ هؤلاء (والعياذ بالله) كانوا أهلاً لنزول الوحي على أحدهم؟! أم أنّهم كانوا أعلم منه صلى الله عليه وآله وسلم بأمور النبوة؟ ألم يكن هو من كان يرى الرؤى كفلق الصبح أم هم كانوا كذلك؟.

إنّ هذه الأسئلة لا نجد لها أية إجابات في روايات ابن إسحاق آنفة الذكر، بل على العكس من ذلك نجد التمجيد بشخص ورقة بن نوفل ذلك النصراني الذي كان أعلم بأمر النبوة من النبي ذاته، فالنبي كان حين يسمع النداء من السماء ينطلق هارباً في الأرض وكان ورقة يأمره بالثبات حتى يسمع نداء الوحي فيثبت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمتثالاً لنصيحة ورقة فيتلى عليه القرآن وينقل خبر ذلك له ليطمئنه ورقة بنهاية المطاف أنّه نبي مرسل؟! فأي نبي هذا يستطيع إقناع البشر ويدعو لأمر ربه إن لم يكن هو مقتنعاً بنفسه وبرسالته التي كُلف بإيصالها للعامة؟ ولماذا هو محتاج إلى شخص ورقة ليحل محل الوسيط بين النبي والوحي النازل عليه؟!

ليس هذا فحسب ما ينقض رواية ابن إسحاق، بل ما ينقضها أيضاً حديث ورقة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه سيؤمن به وتبشيره بالنبوة، وكلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم في السياق نفسه أنّ ورقة قد آمن به وأنّه رآه في الجنة بهيئة قس عليه ثياب من حرير! وحقيقة لا نعلم هل كل من يؤمن من أهل

النبوية ١/١٥٣؛ إسحاق بن راهويه: مسند ابن راهويه ٢ / ٣١٤؛ البخاري: صحيح البخاري ١/٣، ٦/٨٧، ٨/٦٧؛ مسلم: صحيح مسلم ج ١/٩٧؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢/٤٦؛ الحاكم النيسابوري: المستدرك ٣/١٨٣؛ البيهقي: السنن الكبرى ٩/٥؛ ابن حاتم العاملي: الدر النظيم / ٩٥؛ ابن بلبان: صحيح ابن حبان ١/ ٢١٦؛ العيني: عمدة القاري١/٤٦.

الكتاب ويدخل الإسلام يدخل الجنة بهيئة قس؟ وهل الجنة فيها قساوسة؟ أم أنّ ذلك كان صفة اختص بها ورقة بن نوفل؟ والسؤال الذي يرد هنا هو: هل أسلم ورقة بن نوفل فعلاً؟ وهل بقي حياً لينصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما وعده أم أنّه توفي قبل ذلك؟.

في الحقيقة الروايات في المصادر تتردد في قبول إسلامه إذ يعلق ابن عساكر على ذلك قائلاً: (وقيل إنّه أسلم وروى حديثاً رواه عنه ابن عباس... ولا أعرف من قال إن ورقة أسلم والنبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يقطع بإسلامه وعبد الله بن عباس لم يسمع منه... والصحيح أن ورقة توفي أول ما تبدى جبريل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم) [1].

وفي رواية أُخرى أنه (آخر من مات في الفترة ودفن بالحجون فلم يكن مسلماً ويؤيده ما جاء في الرواية... عن ابن عباس... أنه مات على نصرانيته)[2] وهذا يرد رواية ابن إسحاق بكاملها التي أعطت دوراً رئيسياً لورقة في تثبيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتطمينه في بداية أمر الوحي.

وإذا كان ورقة قد أسلم فعلاً فإن هنالك ما ينقض ذلك عند ابن إسحاق في موضع آخر، إذ أورد ان ورقة بن نوفل كان يمر ببلال وهو يعذب على الإسلام ويقول أحد أحد فيقول ورقة أحد أحد والله يا بلال لن تفدى ثم يقبل على من يفعل ذلك به من بني جمح وعلى أمية بن خلف فيقول لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حناناً [3].

---

١) تاريخ دمشق ٦٣/ ٣- ٤؛ وينظر: ابن حجر: الإصابة ٦/ ٤٧٥.

٢) الحلبي: السيرة الحلبية ١/٤٠٣.

٣) السير والمغازي ٤/١٧٠.

وهذا يدل أنّه عاش إلى أن دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإسلام حتى أسلم بلال [1] أي انتشار الدعوة، فلماذا لم يفِ ورقة بوعده للنبي صلى الله عليه وآله وسلم حسب قوله: ولئن أدركني ذلك لأجاهدن معك [2] وفي لفظ آخر، ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لأنصرن الله نصراً يعلمه [3] فأين النصر الذي يعلمه الله سبحانه وتعالى من ورقة؟ ذلك النصراني الذي لم يثبت إسلامه!.

حقيقة لا نجد ذلك إلاّ في مخيلة واضع تلك الروايات التي أراد من خلالها الافتراء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بجعل ورقة بن نوفل الصراط المستقيم الذي من خلاله يعبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإسلام إلى شاطئ الأمان.

وبقي أن نناقش مسألة نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حسب رواية ابن إسحاق: جاءه جبريل بأمر الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاءني وأنا نائم ثم انتهى فانصرف عني وهببت من نومي [4] وفي رواية البخاري عن الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: (...فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال أقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال أقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم فرجع بها رسول الله صلى

---

١) ابن حجر: الإصابة ٤٧٦/٦، فتح الباري ٢٦/١؛ الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد ٢٤٣/٢.

٢) ابن إسحاق: السير والمغازي ١١٤/٢.

٣) ابن هشام: السيرة النبوية ١٥٦/١.

٤) السير والمغازي ٢ / ١٠١؛ ابن هشام: السيرة النبوية ١ /١٥٥؛ الطبري: تاريخ الطبري ٤٨/٢.

الله عليه وآله وسلم يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبداً...) [(١)].

قبل أن نقارن بين الروايتين يتوجب مناقشة سندهما، فبالنسبة لرواية ابن إسحاق قد أوضحنا ذلك في موضع سابق [(٢)] وكان انقطاع سندها عن بعض أهل العلم ولم يتبين مَنْ هم هؤلاء؟.

أمّا رواية البخاري ومن تبعه عليها فالرواية مرسلة لأن عائشة لم تكن قد عاصرت مرحلة نزول الوحي في مكة، فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم تزوجها في السنة العاشرة للنبوة ولها من العمر ست سنين[(٣)] أي أنّها ولدت بعد البعثة، وكانت يوم تزوجها صغيرة لاتصلح للجماع [(٤)] أي لم يجمعهما سقف واحد ليحدثها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما بنى بها في المدينة بعد الهجرة [(٥)] فكيف والحال هذه تتكلم على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي لم تدرك تلك القضية؟! ومع أنّ بعضهم أقر بذلك إلاّ أنّه رجح أن تكون سمعتها من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو من صحابي [(٦)] وهذا مالم يثبت فهي لم تروِ لنا عمن

١) صحيح البخاري١/٣،٦/٨٨،٨/٦٧؛ ينظر مسلم: صحيح مسلم ١/٩٧؛ الضحاك: الآحاد والمثاني ٥/٣٨٦ - ٣٨٧؛ الحاكم النيسابوري: المستدرك ٣/١٨٣ – ١٨٤؛ البيهقي: السنن الكبرى ٩ /٦؛ ابن بلبان: صحيح ابن حبان ١/٢١٧-٢١٨؛ العيني: عمدة القاري ١/٤٦.

٢) ينظر الفصل الثالث، المبحث الأول / ٨٥.

٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٨/٥٧.

٤) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢/٤١١.

٥) ابن قتيبة: المعارف /١٣٤؛ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٢/٨٤؛ المزي: تهذيب الكمال ١/٢٠٣.

٦) العيني: عمدة القاري ١ /٤٧؛ السيوطي: الديباج على مسلم ١/١٨٣.

روهًا وعليه فالرواية مرمية بالوضع [١].

هذا من جهة السند، أمّا من جهة المتن فرواية ابن إسحاق أفصحت أنّ جبريل جاءه وهو نائم وكذلك عبارة فانصرف عني وهببت من نومي بينما ناقضت ذلك رواية البخاري، فحسب مايفهم منها أنّ نزول الوحي كان في اليقظة بدلالة الرواية نفسها التي أشارت لرجوعه مباشرة إلى خديجة عليها السلام بعد انصراف الوحي عنه ليقص عليها الخبر ولم تذكر الرواية مايوحي إلى أنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان نائماً، هذا من جانب، ومن جانب آخر فلقد وصل التناقض بين الروايتين إلى حد الاختلاف بالألفاظ فتارة (فغتني) وتارة أخرى (فغطني) ومع أنّ مدلول الكلمتين ومعناهما سواء، إلا ان تعدد الألفاظ للحدث الواحد إمّا أن يدعو إلى الشك في الرواية نفسها أو إلى تصرف الرواة بها، لاسيما أنّ كلمة غتني أو غطني تأتي بمعنى: عصرني عصراً شديداً أو كبسني حتى وجدت منه المشقة فهو كالذي يغمس في الماء قهراً أو أنّه عصر حلقه نفساً أو نفسين أو أكثر [٢].

وحقيقة من الصعب قبول ذلك عقلاً ومنطقاً فلا يوجد مسوغ لتقبل ذلك وما الداعي ليقوم جبريل بعصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عصراً شديداً أو يخنقه حتى ظن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه الموت في لفظ أو بلغ منه الجهد في لفظ آخر؟! وهل لازمت تلك الحالة جميع الأنبياء عندما نزل عليهم الوحي أم أنها اقتصرت على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ والمصادر لم تذكر أي حادثة عصر أو خنق لأحد من الأنبياء ما خلا النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فلماذا هذه المحنة والابتلاء بحق نبي من أولي العزم؟

---

١) الطباطبائي: تفسير الميزان٢٠ /٧٠.

٢) ابن منظور: لسان العرب ٢/٦٣، ٧/٣٦٢؛ الزبيدي: تاج العروس ٣/٩٦،١٠/٣٥٤.

وحسب كلتا الروايتين فالخطاب الموجه من جبريل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطاب غامض فالوحي يأمره بالقراءة والنبي صلى الله عليه وآله وسلم تارة يجيب (وما أقرأ) حسب رواية ابن إسحاق وتارة أخرى (ما أنا بقارئ) حسب رواية البخاري فالأولى استفهامية والثانية نافية [١].

وفي الواقع هنا المشكل الأكبر، فلماذا لم يستجب الوحي لرد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعدم القراءة سواءً بالاستفهام أو النفي؟ أيعقل أنّ الوحي لم يفقه مقالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أم أنّه صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن مستعداً للارتقاء بالمستوى المطلوب ومن ثم التلقي من الوحي (والعياذ بالله)؟ وإذا كان الأمر على العكس من ذلك فلماذا يقوم الوحي بخنقه وعصره إلى حد الموت ولثلاث مرات متتالية مع أنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يكرر العبارة نفسها لكي لا يعود إليه الوحي بمثل ما يفعله به كما أشارت الرواية؟ هذا غيض من فيض فالاسئلة التي لا نجد لها إجابات شافية في تلك الروايات لا تجعلنا نرجحها ونقبلها بتاتاً، ناهيك عمّا تردد من زيادات كثيرة في رواية البخاري ومنها إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجع بعد ذلك إلى خديجة عليها السلام يرجف فؤاده أو ترجف بوادره في موضع آخر عند البخاري[٢] فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع وكذلك قوله خشيت على نفسي، التي فسرها بعضهم أنه ليس بمعنى الشك بما جاءه من الله وإنما خوفه صلى الله عليه وآله وسلم من عدم حمل أعباء الوحي[٣].

وهذا مردود في الأحوال كلّها، وما يبطله قوله تعالى: ﴿يَا مُوسَى لاَ تَخَفْ إِنِّي

---

١) للتفصيلات ينظر ابن حجر: فتح الباري ١/٢٢.

٢) صحيح البخاري ٦/٨٨، ٨ / ٦٧.

٣) النووي: شرح مسلم ٢ /٢٠٠.

لاَ يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ ﴾[١] ثم إنّ تلك العبارات يستشعر منها القارئ شك النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنبوته وهذا لا يجوز قطعاً، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ* ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ* مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ* وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ* وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ* وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ* وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[٣] وسُئل الإمام الصادق عليه السلام كيف علمت الرسل أنّها رسل قال: (قد كشف لها عن الغطاء)[٤] فأين الافق المبين والدعوة على البصيرة من تلك الروايات التي أشارت بكل صراحة ووضوح لخوف النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشكه وتردده في دعوته؟! وأنى يلجأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لغيره لمعرفة نبوته وقد كشف لهُ الغطاء؟ حقيقة لا يمكن قبول روايات مرسلة تناقض آيات القرآن الكريم.

ومن المضحك المبكي أن نجد رواية البخاري تناقض نفسها من جديد، فبعد أن ذكرت أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد نزلت عليه آية اقرأ في غار حراء فرجع إلى خديجة وقال زملوني زملوني، نجدها تقرر في موضع آخر أنّ الوحي قد فتر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد موت ورقة بن نوفل فحزن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لذلك حزناً شديداً فبينما هو يمشي سمع صوتاً من السماء ففرق منه فرجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال زملوني زملوني فدثروه فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر فتتابع الوحي، ونجد هنا أنّ الرواية قد أسندت بسند

---

١) النمل: ١٠.

٢) التكوير: ١٧ - ٢٥.

٣) يوسف: ١٠٨.

٤) البرقي: المحاسن ٢/٣٢٨؛ الصفار: بصائر الدرجات /٥٤٢؛ المجلسي: بحار الأنوار ٢/٢٠١.

آخر عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر الأنصاري لتربط كأنها رواية واحدة إذ تذكر: (...ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال محمد بن شهاب فأخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أنّ جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي قال في حديثه بينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض ففرقت منه فرجعت فقلت زملوني زملوني فدثروه فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر. قال أبو سلمة وهي الأوثان التي كان أهل الجاهلية يعبدون قال ثم تتابع الوحي) [1].

وما يسجل على هذا التناقض من ملاحظات:

أولاً: أنه بوفاة ورقة انقطع الوحي وكأنما كان ورقة هو الوسيط الروحي بين الوحي والنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ثانياً: ما الآيات الأولى التي نزلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم هل هي اقرأ أو يا أيها المدثر؟ وإذا ثبتت إحداهما هل طلب النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنْ يزملوه في المرة الأولى أم الثانية، وقد جزم الحلبي أن الرواة قد خلطوا في ذلك (لأن صدر الرواية يدل على أن ذلك كان عند ابتداء الوحي وعجزها يدل على أن ذلك كان في فترة الوحي) [2].

ثالثاً: لماذا يفرق النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي يفزع عندما أتاه المنادي من السماء عن طريق الملك نفسه الذي أتاه في حراء؟ ألم يخبره أنّه رسول الله وأنزل

---

١) صحيح البخاري ٦/٨٨ – ٨٩.

٢) السيرة الحلبية ١/٤٠٥.

عليه القرآن في المرة الأولى فلماذا الفزع في المرة الثانية؟!.

رابعاً: ومع أنّ روايتي البخاري آنفتي الذكر اختلفتا بالتفصيلات المذكورة واتفقتا في مشترك واحد وهو فتور الوحي وتتابعه بعد ذلك، إلاّ أنّ ذلك لا يصمد أمام تناقض رواية أخرى لنفسها أولاً وللروايتين السابقتين ثانياً عندما تتحدث عن السياق نفسه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما كان يفتر عنه الوحي كان يذهب لأعالي الجبال لكي ينتحر فيتبدى له جبريل ليخاطبه أنّك رسول الله فيسكن جأشه لذلك، بمعنى أنّ الوحي لم ينقطع عنه بدليل الرواية نفسها، وهذا نص الرواية: (...ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه تبدى له جبريل فقال يا محمد إنّك رسول الله حقاً فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك)[١].

ولم تكن تلك الروايات وحدها ما حملت بين طياتها الافتراء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بل إنّ هنالك رواية أخرى مقصودة الافتراء عليه وزوجه خديجة عليها السلام والإساءة إليهما في آن واحد، إذ حدث ابن إسحاق عن إسماعيل بن أبي حكيم [٢] مولى آل الزبير أنه حدث عن خديجة قالت: لرسول الله

١) صحيح البخاري ٦٨/٨.

٢) السير والمغازي ٢/ ١١٣- ١١٤؛ وينظر ابن هشام: السيرة النبوية ١٥٧/١؛ ابن عبد البر: الاستيعاب ١٨٢٠/٤؛ ابن الأثير: أسد الغابة ٤٣٧/٥، الكامل في التاريخ ٤٩/٢؛ ابن سيد الناس: عيون الأثر ١١٧/١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء ١١٦/٢؛ ابن كثير: السيرة النبوية ٤١٠/١؛ الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد ٢٣٤/٢؛ الهيثمي: مجمع الزوائد ٢٥٦/٨؛ المجلسي: بحار الأنوار ١١/١٦.

صلى الله عليه وآله وسلم فيما يثبته من نبوته (يابن عم أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ قال: نعم. قالت فإذا جاءك فأخبرني به فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يأتيه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لخديجة يا خديجة هذا جبريل قد جاءني فقالت نعم فقم يابن عم فاجلس على فخذي اليسرى فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجلس عليها قالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاقعد على فخذي اليمنى فتحول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجلس عليها فقالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاجلس في حجري فتحول فجلس في حجرها قالت هل تراه قال نعم فتحسرت فألقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس في حجرها ثم قالت هل تراه قال لا فقالت يابن عم اثبت وأبشر فو الله إنه لملك وما هو بشيطان فحدثنا ابن حميد حدثنا سلمة قال حدثني محمد بن إسحاق قال وحدثت بهذا الحديث عبد الله بن الحسن فقال قد سمعت أمي فاطمة بنت الحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة إلا أني قد سمعتها تقول أدخلت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينها وبين درعها فذهب عند ذلك جبريل) [1].

إنّ عمدة سند الرواية ترجع إلى إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير، وهو الوحيد الذي صدرت عنه [2] وهذا يعني أنّها رواية أحادية الجانب، هذا من جانب ومن جانب آخر فإن الرواية مرسلة [3] وإسماعيل بن أبي حكيم المزني: هو أحد بني فضيل قيل إنّه روى حديثاً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم واعترض على

١) الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢/٥٠

٢) الطبراني: المعجم الأوسط ٦/ ٢٨٨.

٣) ابن حجر: فتح الباري ٨/٥٥٣.

ذلك لأنه لم يذكر أحد من العلماء إن إسماعيل في الصحابة فسند الحديث منقطع وحديثه منكر لأنه لم تكن له رؤية أو صحبة [1] وذكر ابن حجر أنّ ذلك وهم لأنه قد حدث تصحيف في ترجمته، والصحيح حسبما يرى أنّه إسماعيل بن أبي حكيم المدني وليس المزني وأنّه من طبقة التابعين ولا مانع أنْ يروي عن الزهري[2] وحتى لو صح أنّ التصحيف قد طال ترجمته فإنه يبقى تابعياً، وعليه كيف حدث إسماعيل عن خديجة عليها السلام وهو لم يكن صحابياً قد أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهذا ما يبطل سند الرواية.

فضلاً عن ذلك فإن ما جاء في ذيل الرواية من أن فاطمة بنت الحسين حدثت عن خديجة بنت خويلد عليها السلام هذا لا يصح لأن فاطمة بنت الحسين لم تدرك خديجة حتى تحدث عنها وهل أدركها الحسن والحسين عليهما السلام وهم أحفادها حتى تدركها فاطمة بنت الحسين؟!.

أما من جهة متن الرواية فالرواية يطولها الوهن والتناقض، تارة أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد تناوب في الجلوس على فخذ خديجة الأيسر والأيمن ومن ثم حجرها إلى أن ألقت خمارها فذهب الوحي، وتارة أخرى من رواية مزعومة ثبت بطلانها عن فاطمة بنت الحسين أنّ خديجة أدخلت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بينها وبين درعها؟ ولا نعلم أي الروايتين تكذب الأخرى، فكلتاهما تدل على أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن قد أيقن أو تثبت من أمر الوحي مع أنّ الرواية تصرح على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّ الذي كان يأتيه هو جبريل عليه السلام وهذا يعني أنّ الوحي كان على تواصل

---

١) ابن الأثير: أسد الغابة ١/٧٩.

٢) الإصابة: ١/٣٧٠.

معه، أي لم ينقطع عنه كما حاولت أنْ تصرح الروايات السابقة من فتور الوحي وحزن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لذلك الفتور أو الانقطاع ومن ثم تتابعه.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى كيف جاز للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يأخذ برأي خديجة عليها السلام ويشك في نبوته بعد نزول الوحي عليه لكي يعرف إنْ كان الذي يأتيه ملك من الله أو شيطان؟! أم يعقل أنّ ذلك كلّه حدث والنبي صلى الله عليه وآله وسلم مقتنع بنبوته ولكن أجازه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكي يقنع خديجة بنبوته؟ الأمر الذي لا يمكن قبوله بدليل الرواية نفسها لأنها تصرح على لسان خديجة وقولها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يابن عم إثبت وأبشر فو الله إنه لملك وما هو بشيطان، وهذا يعني حسب الرواية المفتراة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو من كان متردداً في قبول ذلك مع أنّ الوحي قد نزل عليه والعياذ بالله من الزلل في القول والعمل، ناهيك عن الأسئلة التي لانجد لها إجابة في هذه الرواية ومنها: من أين جاء هذا العلم لخديجة عليها السلام من دون النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتتعرف على الوحي من دون الشيطان؟ ألم يكن حرياً بهذا العلم أن يكون من صفات الأنبياء أم صفةً لأزواجهم؟ ثم لماذا ذهب جبريل عندما كشفت خديجة عن خمارها أو عندما أدخلته بينها وبين درعها فهل للملائكة شهوات ورغائب كالبشر أم أنّه لا يجوز لهم النظر للنساء؟!.

يتضح جلياً من مناقشة الروايات السابقة أنّها موضوعة، وكان القصد منها الافتراء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأن الأُفق الواضح الذي لا يقبل الشك والتأويل لروايات بدء الوحي هو ما جاءت به رواية اليعقوبي بقوله: (وأتاه جبريل... وعلى جبريل جبة سندس وأخرج له درنوكاً من درانيك الجنة فأجلسه عليه وأعلمه أنه رسول الله وبلغه عن الله وعلمه: اقرأ باسم ربك الذي خلق

وأتاه من غد وهو متدثر، فقال: يا أيها المدثر قم فأنذر) [١].

أما الواضع الحقيقي لتلك الروايات فنعتقد أنّ العمدة في أسانيد روايات مبدأ الوحي إنّما يرجع إلى عروة بن الزبير عن الزهري، فالأخير ثبت في موضع سابق أنّ رواياته يطولها الوهن ولا يمكن الأخذ بها [٢].

أمّا عروة بن الزبير فالملاحظ على رواياته أنّها كانت مسندة إلى خالته عائشة ولكنها كانت مرسلة عن خديجة بنت خويلد عليها السلام وكلاهما أي عروة وعائشة لم يدركا خديجة عليها السلام هذا من جهة، ومن جهة أخرى يمكن القول إنّ روايات عروة المرسلة على لسان خديجة عليها السلام التي حاولت أن توضح أنّه لولا تشجيع خديجة عليها السلام لما استطاع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقوم بأعباء رسالته وليس معنى ذلك إلغاء دور أم المؤمنين خديجة عليها السلام في نصرة الإسلام، بل القصد أنّ رواياته تعطي مدلولاً بدور آل الزبير في تدعيم أركان الإسلام، ولاسيما إذا عرفنا صلة القرابة بين آل الزبير وخديجة عليها السلام وكذلك ورقة بن نوفل، وهنا يتضح لنا المغزى الذي من أجله وضعت تلك الروايات.

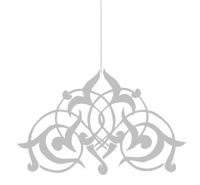
هذا وينبغي التأكيد مرة أخرى على عدم إلغاء دور أم المؤمنين خديجة عليها السلام في نصرة الإسلام وشد أزر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ لا يخفى دورها في هذا الصدد وهذا ما أثبتته دراسة أكاديمية[٣] لكن آل الزبير والأمويين كان لهم دورٌ في وضع روايات تعلي من شأنهم على لسان السيدة خديجة وقد اتضح مضمون تلك الروايات المدسوسة.

---

١) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٢- ٢٣.

٢) ينظر الفصل الثاني، المبحث الأول / ٦٢ – ٦٣.

٣) الشرهاني: أضواء على السيرة النبوية، دراسة في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مع السيدة خديجة عليها السلام.



المبحث الثاني: رواية الغرانيق

لعل رواية الغرانيق كانت إحدى أهم الروايات التي وجه فيها الطعن إلى القرآن والنبوة على حدٍ سواء، وملخصها أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قد شق عليه مباعدته لقومه مع ما ركنوا إليه من الشرك وتكذيبهم له فتقرب منهم وتقربوا منه وتمنى في نفسه أن لا ينزل عليه من شيء ينفرهم عنه، فجلس ذات يوم حول الكعبة وأنزل الله عليه سورة النجم فقرأ صلى الله عليه وآله وسلم: { وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى } [1] فلما انتهى إلى قوله تعالى: { أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى } [2] وسوس إليه الشيطان فألقى على لسانه كلمات وهي: (تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى) وفي لفظ (وإن شفاعتهن ترتضى) لما كان قد حدث به نفسه وتمنى أن يأتي به قومه بما لا يبعدهم عنه، فلما سمع قومه ذلك فرحوا لإنه ذكر آلهتهم بخير فلما انتهى إلى السجدة وختم السورة سجد الحاضرون معه كلهّم من مسلمين ومشركين، فلما أمسى النبي صلى الله عليه وآله وسلم جاءه جبريل فراجعه بالآيات وأنّه قد زاد كلمات ليست من القرآن بشيء، فتنبه لذلك وحزن وخاف

١) النجم: ١-٣.

٢) النجم: ١٩-٢٠.

فنزلت آيات أخرى لتنسخ تلك الآيات فذهب عنه الحزن والخوف، وشاع خبر ذلك في الآفاق حتى وصل إلى مهاجري الحبشة المسلمين أن قريشاً أسلمت فلما رجعوا وجدوا خلاف ذلك لأن المشركين قد علموا أن محمداً ندم على قوله فبالغوا في صب العذاب على المسلمين [١].

ثم أنّ الروايات صرحت بسجود الحاضرين مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم كلهّم إلا شخصاً واحداً، ولكنها اختلفت بتسميته قيل هو أمية بن خلف أو الوليد بن المغيرة وقيل أبو أحيحة سعيد بن العاصي كما اختلفت في سبب عدم سجوده إما تكبراً إذ إنّه أخذ قبضة من تراب ثم رفعها إلى جبهته وقال يكفيني هذا[٢] أو أنه لم يستطع لكبر سنه [٣].

وعلى هذا اختلف أهل التفسير بين مؤيد لمصداقية تلك الرواية ورافض لها، ففسر بعضهم قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلاَ نَبِيٍّ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [٤] أنه كان ناسخاً للكلمات التي ألقاها الشيطان من الباطل على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعدما حدثته نفسه وكان يقرأ في الصلاة فنعس فقال ذلك[٥] أو أنّه جرى

١) ابن عقبة: المغازي /٦٧-٦٨؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى: ١/٢٠٥ – ٢٠٦؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢/٧٥ – ٧٧؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٢/٧٦ – ٧٧؛ السيوطي: الدر المنثور ٤/٣٦٦ - ٣٦٨.

٢) ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤/ ١٢٨؛ العيني: عمدة القاري ٧ /٩٩.

٣) ابن سيد الناس: عيون الأثر ١/١٥٦.

٤) الحج: ٥٢.

٥) مقاتل: تفسير مقاتل ٢/٣٨٦.

على لسانه تلك الكلمات[١] وطرق حديث الطبري وكثرة الإسناد الذي جاء به كان فيه تخصيص يوحي أن إلقاء الشيطان كان على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاختلفت الروايات في الألفاظ ففي بعضها تلك الغرانقة وفي بعضها تلك الغرانيق وفي بعضها وإن شفاعتهن وفي بعضها منها الشفاعة ترتجى[٢] فكانت آيات النسخ بمنزلة مواساة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن اغتم واشتد عليه ذلك فسلاه الله مما به[٣] بعد أن عرف صنيعه فقال: (افتريت على الله وقلت على الله ما لم يقل)، فأوحى الله إليه: ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴾ [٤] وفي لفظ أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: (يا محمد ماذا صنعت؟ لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله، وقلت ما لم يقل لك) وفي لفظ آخر قال له جبريل: (أما هذا فلم آتك به هذا من الشيطان)[٥] فأنزل الله تبارك وتعالى عليه بأنه لم يكن قبله رسول ولا نبي تمنى كما تمنى ولا أحب كما أحب إلا والشيطان قد ألقى في أمنيته كما ألقى على لسانه صلى الله عليه وآله وسلم فنسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته[٦].

لم يكن اختلاف المفسرين في سبب نزول تلك الآيات وتفسيرها فحسب[٧]، بل اختلفوا في معنى قول التمني الذي صدر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم

---

١) الواحدي: تفسير الواحدي ٢/٧٣٧

٢) ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤ /١٢٩

٣) جامع البيان ١٧/٢٤٤.

٤) الإسراء: ٧٣.

٥) الواحدي النيسابوري: أسباب نزول الآيات / ٢٠٩.

٦) الطبري: جامع البيان ١٧/ ٢٤٥، ٢٤٦؛ السمرقندي: تفسير السمرقندي ٢ / ٣٢٣، ٤٦٥ - ٤٦٦.

٧) الطوسي: التبيان ٧/٣٢٩ – ٣٣٢.

فقال بعضهم ما حدثته نفسه من محبته لمقاربة قومه في ذكر آلهتهم بخير، وقال آخرون معناه إذا قرأ وتلا أو حدث[١] وكذا كان الاختلاف بالنسبة لمن ألقى ذلك الوسواس أكان من شيطان الجن أم أنّه كان على سبيل السهو والغلط من النبي صلى الله عليه وآله وسلم[٢] بل ذهب آخرون إلى أن ذلك الشيطان قد يكون من الإنس أو شيطان أبيض أو أنّه تصور له بصورة جبريل فذكر ذلك من غير اعتقاد وبذلك يجوز الغلط على الأنبياء وإن كان غلطاً عظيماً، إلا أنهم لا يقرون عليه[٣].

وحسب الرأي آنف الذكر اختلط الأمر على الحاضرين مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فظنوا أنه المتكلم به لأن من ألقى قرَّب صوته من صوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى التبس الأمر على المشركين وقيل إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي تكلم بذلك على وجه الخطأ والسهو لأن الشيطان ألقاه ووسوس في قلبه حتى خرجت تلك الكلمة على لسانه من غير قصد، والقول الثاني أشهر عند المفسرين والناقلين لهذه القصة، والقول الأول أرجح لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم معصوم في التبليغ [٤].

وهذا مردود لأن هذا يعني عدم اليقين بما أنزل في بعثة القرآن أيضاً؛ ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معصوم عن الزلل والخطأ، وعلى فرض صحته فإن المعنى أن بعض شياطين الإنس قال تلك الكلمات لإنهم كانوا إذا تلا

١) الطبري: جامع البيان ١٧/٢٤٩؛ البغوي: تفسير البغوي ٣/٢٩٣ ؛ ابن الجوزي: زاد المسير ٥/ ٣٠٣؛ الغرناطي الكلبي: التسهيل لعلوم التنزيل ٣/٤٥.

٢) الثعلبي: تفسير الثعلبي ٧/٣٠؛ السمعاني: تفسير السمعاني ٣/٤٤٧؛ البغوي: تفسير البغوي ٣/ ٢٩٤.

٣) السمعاني: تفسير السمعاني ٣/٤٤٩.

٤) الغرناطي الكلبي: التسهيل لعلوم التنزيل ٣/٤٤.

يلغطون[١] عند قراءته صلى الله عليه وآله وسلم ويكثر كلامهم لتغليطه وإخفاء قراءته، أو إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذكر ذلك على سبيل الإنكار والمحاججة، فظن كثير ممن حضر أن ذلك من قوله صلى الله عليه وآله وسلم واشتبه عليهم الأمر ولا ينافي ذلك أن يكون في الصلاة لأن الكلام فيها آنذاك كان مباحاً[٢].

وهذا الرأي (على فرض صحته) قد يصح من باب أن الأمر قد التبس على المشركين وحدهم من دون المسلمين، فمن غير المنطقي أن يلتبس ذلك على المسلمين عامتهم والنبي صلى الله عليه وآله وسلم على وجه التحديد.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن ذلك (لا يخلو إما أن يتكلم النبي عليه السلام) بها عمداً وهذا لا يجوز لأنه كفر ولأنه بعث طاعناً الأصنام لا مادحاً لها، أو أجرى الشيطان ذلك على لسان النبي عليه الصلاة والسلام جبراً بحيث لا يقدر على الامتناع منه وهو ممتنع لأن الشيطان لا يقدر على ذلك على لسانه سهواً وغفلة، وهو مردود أيضاً لأنه لا يجوز مثل هذه الغفلة عليه في حال تبليغ الوحي ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد على قوله... في صفة المنزل عليه)[٣].

وأنكر الجصاص قراءة " تلك الغرانيق " من النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما لم يجوز وقوع الغلط على بعض القرآن [٤] لأن ذلك قطعاً يتعارض مع عصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ قال القاضي عياض: (...وأما أقواله صلى الله عليه

١) ابن الجوزي: زاد المسير ٥/٣٠٢.
٢) الشريف المرتضى: تنزيه الأنبياء / ١٥٤؛ الطبرسي: مجمع البيان ٧ /١٦٢ – ١٦٣؛ الحويزي: نور الثقلين ٣/٥١٦.
٣) النسفي: تفسير النسفي ٣ /١٠٩.
٤) أحكام القرآن ٣ / ٣٢١ – ٣٢٢.

وآله وسلم فقد قامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصداً ولا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً... على ما وقع عليه إجماع المسلمين أنه لا يجوز عليه خلف في القول إبلاغ الشريعة والإعلام بما أخبر به عن ربه وما أوحاه إليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حالي الرضى والسخط والصحة والمرض... فلا يصح أن يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على أي وجه كان، فلو جوزنا عليه الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولاختلط الحق بالباطل، فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص فتبرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك كله واجب برهاناً وإجماعاً...) [١].

إن ما تمت زيادته إلى سورة النجم لا يعدو كونه أسطورة أو خرافة، فالآية لا دلالة في ظاهرها على ما نسب إليها من زيادة، وإن فسرت الآية التي نسختها بالظاهر فهي تحتمل أحد الأمرين:

الأول: أريد بالتمني التلاوة كما قال حسان بن ثابت:

تمنى كتاب الله أول ليله ... وآخره لاقى حمام المقادر

أما الثاني: فأريد به تمني القلب، فإن أراد الأول، كان المراد من أرسل قبلك من الرسل كان إذا تلا ما يؤديه إلى قومه حرفوا عليه وزادوا فيما يقوله أو نقصوا، كما فعلت اليهود في الكذب على أنبيائهم، فأضاف ذلك إلى الشيطان لأنه يقع بوسوسته وغروره، وهنا فإن الله جل وعلا يدحض ذلك بالنسخ فيزيل تلك الشبهة، وإن كان المراد تمني القلب.

---

١) القاضي عياض: الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/١٢٣ – ١٢٤.

فالوجه في تفسير ذلك أنّ الشيطان متى تمنى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقلبه بعض ما يتمناه يوسوس إليه الشيطان فيحاول إغراءه، ولكن ذلك من المحال لأن العناية الإلهية تبطل ذلك [١].

أما طرق الروايات التي وثقت حديث الغرانيق، فلا ريب في أنّها يطولها الوهن ولا يمكن الركون إليها سيما أنّها تتعلق بمسألة التبليغ، وما روي من الطعن فيها لا يقل أهمية عن كثرة طرقها، إذ أنكر القاضي عياض رواية تلك الغرانيق وعدها موضوعة قائلاً: (...فاعلم أكرمك الله أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين أحدهما في توهين أصله والثاني على تسليمه، أما المأخذ الأول فيكفيك أن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح... لقد بلي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع إسناده واختلاف كلماته فقائل يقول إنه في الصلاة، وآخر يقول قالها في نادي قومه حين أنزلت عليه السورة، وآخر يقول قالها وقد أصابته سنة، وآخر يقول بل حدث نفسه فيها، وآخر يقول إن الشيطان قالها على لسانه وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا أقرأتك، وآخر يقول بل أعلمهم الشيطان أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأها، فلما بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك قال والله ما هكذا نزلت، إلى غير ذلك من اختلاف الرواة، ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيه حديث شعبة عن أبي بشر عن

١) الشريف المرتضى: تنزيه الأنبياء / ١٥٢ – ١٥٣.

سعيد بن جبير عن ابن عباس... هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا ولم يسنده عن شعبة إلاّ أمية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وإنما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن... لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نُبِّه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه، وأما حديث الكلبي فمما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه... والذي منه في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس، هذا توهينه من طريق النقل...) [١].

وعلى الرغم من إجادة القاضي عياض لطرق أصل الرواية وتوهينها، إلا إنه يمكن إضافة مسألتين إلى ما ذكره:

الأولى: إن أصل الرواية ابن عقبة[٢] ولم تكن محصورة عند ابن الكلبي كما ذكر.

الثانية: إنّ الرواية قد أوردها البخاري [٣] ولكنه لم يذكر فيها عبارة (الغرانيق)، ومجرد ذكره سجود المسلمين والمشركين والجن والإنس من غير عبارة الغرانيق لا ينفي أنّ البخاري لم ينص عليها أو يرفضها، بل يمكن القول بتصديقها من جهة البخاري ويؤيد ذلك أنّه استشهد بها بموضع آخر في باب سجود المسلم مع المشرك النجس [٤].

١) القاضي عياض: الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/١٢٤ - ١٢٦؛ الثعالبي: تفسير الثعالبي ٤/١٣٢ – ١٣٣؛ الزيلعي: تخريج الأحاديث والآثار ٢/٣٩٢.

٢) المغازي / ٦٧ - ٦٨.

٣) البخاري: صحيح البخاري ٦/ ٥٢.

٤) البخاري: صحيح البخاري ٢ / ٣٢.

ومع أنّ ابن العربي رآى أن الشيطان هو من ألقى ذلك زيادة منه في المعاصي، إلا أنّه أنكر إنكاراً باتاً أن يكون ذلك من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم سهواً كان أو غلطاً أو تعمداً، واستغرب رواية تلك الروايات من الطبري بعد أن مدحه قائلاً: (... وما هدي لهذا إلا الطبري بجلالة قدره وصفاء فكره وسعة باعه في العلم وشدة ساعده وذراعه في النظر وكأنه أشار إلى هذا الغرض وصوب على هذا المرمى فقرطس بعدما ذكر في ذلك روايات كثيرة باطلة لا أصل لها...) [١].

ورفض ابن حجر قول ابن العربي إذ رأى فيه جرأةً كعادته على مقام الطبري بوصف رواياته باطلة ولا أصل لها، وَعدّ ذلك إطلاقاً مردوداً عليه، كما استشكل على قول القاضي عياض لطعنه في أسانيد تلك الروايات، مع أنّ ابن حجر في الموضع نفسه لم يوثق تلك الروايات وعدّها إمّا ضعيفة أو منقطعة ما خلا طريق سعيد بن جبير ولكنه رأى أن كثرة الطرق تدل أن للقصة أصلاً[٢].

وهذا مردود لأنه ليس قانوناً كلياً فكم من الأحاديث ما كثرت رواتها ولكنها ضعيفة، بل قد لا يزيد كثرة طرق الحديث إلا ضعفاً [٣].

ولم يقبل العيني احتجاج ابن حجر بل عضد ما ذهب إليه ابن العربي والقاضي عياض، موردا أن الذي ذكراه هو اللائق بجلالة قدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم [٤] طاعناً بأسانيد تلك الروايات أنها منقطعة معلولة ولا يوجد فيها إسناد صحيح[٥] وتابعه الحلبي مستفهماً على طريق الإنكار كيف يجترئ الشيطان

---

١) أحكام القرآن ٣/٣٠٧.

٢) فتح الباري ٨/٣٣٣؛ الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد ٢/٣٦٥.

٣) المباركفوري: تحفة الأحوذي ٣/١٣٧.

٤) عمدة القاري ١٩/٦٦.

٥) عمدة القاري ٧ / ١٠٠.

على التكلم بشيء من الوحي؟ مبيناً أنّه لم يقف على بيان أحد من الأنبياء والمرسلين وقع له مثل ذلك [١].

أما ابن كثير فرفض رواية الغرانيق طاعناً بأسانيدها أيضاً لأنّها من طرق كلها مرسلة وقال: ولم أرها مسندة من وجه صحيح [٢] وقال في موضع آخر (...وقد أحببنا الإضراب عن ذكرها صفحاً لئلا يسمعها من لا يضعها على مواضيعها، إلا أن أصل القصة في الصحيح) [٣] فهي لا يعول عليها لمعارضتها العقل والنص في تنزيه الأنبياء بما يستغنى عن ذكره فهي مطعونة وضعيفة، فكيف يمكن قبول ذلك التضاد مع قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [٤] وهو القرآن الكريم، وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ*لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ*ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [٥] ألا يتعارض ما روي مع التنزيل العزيز: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَى﴾ [٦] فكيف أجاز عليه السهو والغلط من سمع وقرأ ذلك؟! ومن أجاز يجب أن لا يجيز ما تضمنته تلك الرواية المنكرة لما فيها من غاية التنفير عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأن الله تبارك تعالى قد جنب نبيه من الأمور الخارجة عن باب المعاصي، كالغلظة والفظاظة وقول الشعر وغير ذلك مما هو دون مدح الأصنام المعبودة دون الله جل وعلا [٧].

وطعن الفخر الرازي في تلك الروايات كلّها وفندها محتجاً بالقرآن الكريم

١) السيرة الحلبية ٢/٨.

٢) ابن كثير: تفسير ابن كثير ٣ /٢٣٩.

٣) البداية والنهاية ٣ /١١٣.

٤) الفرقان: ٣٢.

٥) الحاقة: ٤٤ – ٤٦.

٦) الأعلى: ٦.

٧) الشريف المرتضى: تنزيه الأنبياء /١٥٣.

والسُّنة المحمدية وبالمعقول، منكراً تأويلات المفسرين الذين قبلوا تصديقها، مبيناً أنّ تفسيرهم كان ظاهرياً لا يمكن الركون إليه لأنه يقدح في النبي والنبوة، وجزم بأن أهل التحقيق أكدوا أنّها رواية باطلة موضوعة، مستشهداً بآيات قرآنية ومنها قوله تعالى: {قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ}[1] فلو أنه قرأ بعد هذه الآية تلك الغرانيق العلى لكان قد ظهر كذب الله تعالى في الحال وذلك لا يقوله مسلم؛ وعليه أكد أنّ الحديث من وضع الزنادقة، ثم إنّ معاداتهم للرسول كانت أعظم من أن يقروا بهذا القدر من القراءة دون أن يقفوا على حقيقة الأمر، فكيف أجمعوا على أنه عظم آلهتهم حتى خروا سجداً مع أنه لم يظهر عندهم موافقته لهم[2].

وذلك ممتنع أيضاً لأن المعروف عن المنافقين والمشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لأول وهلة وتأليب العدو على النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأقل فتنة، وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم وارتداد من في قلبه مرض ممن أظهر الإسلام لأدنى شبهة، ولم يذكر أحد في هذه القصة شيئاً سوى هذه الرواية الضعيفة الأصل، ولو صح ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الحجة ولأقامت بها اليهود عليهم الفتنة كما فعلوا مكابرة في قصة الإسراء حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة، ولا فتنة أعظم من هذه البلية لو وجدت وهذه الحادثة لو أمكنت لروي فيها المعاندون ولكن عدم ذلك دل على بطلها واجتثاث أصلها، ولا شك في إدخال بعض شياطين الإنس أو الجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبسن به على ضعفاء المسلمين[3].

١) يونس: ١٥.

٢) تفسير الرازي ٢٣/٥٠.

٣) القاضي عياض: الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/١٢٧ – ١٢٨.

وعليه كانت رواية الغرانيق فتنة اختلف المسلمون فيها شرقاً وغرباً، إذ يذكر ابن عطية الأندلسي أن أباه سأل شيوخ العلماء والمتكلمين بالمشرق عن صحة رواية الغرانيق فكانت إجابتهم له بأن المشركين قالوا محمد قرأها [١] ولا حافظة لكذوب لأن المشركين افتروا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما أنزل الله به من سلطان من الافتراءات، فلا عجب أن يفتروا عليه مثل هذه الفرية.

إن أصل تلك الأسطورة المختلقة ومصدرها كان من الزهري، لأن أقدم الرواة الذين ذكروها تتصل روايتهم عنه، فابن عقبة أسندها إليه [٢] وكذا الحال بالنسبة إلى ابن سعد الذي أسندها إلى أستاذه الواقدي عن الزهري [٣] والأخير ثبت لنا بطلان رواياته [٤] فلا يعول عليها.

ولكن العجب كلّه من مؤرخي المسلمين ومحدثيهم الذين أغفلوا قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [٥] وقوله جل وعلا: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [٦] فأوردوا تلك الأساطير والخرافات وسلموا بها ولم يفرقوا بين غثها وسمينها فكانت وسيلة للطعن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإسلام على حد سواء من قبل الحاقدين عليه والمتربصين له بالسوء والضغينة.

---

١) المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز ٤/١٢٩.
٢) ابن حجر: فتح الباري ٨/٣٣٣.
٣) ينظر الطبقات الكبرى ١/٢٠٦.
٤) ينظر الفصل الثاني، المبحث الأول / ٦٢ – ٦٣؛ الفصل الثالث، المبحث الأول / ٩٥.
٥) فصلت: ٤٢.
٦) الحجر: ٩.



الفصل الرابع: الطعن في عصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

المبحث الأول: نسيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم آيات من القرآن الكريم

المبحث الثاني: سهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة

المبحث الثالث: نسيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم غسل الجنابة في الصلاة

المبحث الرابع: روايات الرقص والغناء

المبحث الخامس: إهداء الخمر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم



المبحث الأول: نسيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم آيات من القرآن الكريم

أقدم الأخبار الواردة عن نسيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم آيات من القرآن الكريم وردت في كتب (الصحاح) إن صحت التسمية وقد أخرج البخاري ذلك في مواضع مختلفة منها كتاب الشهادات وكتاب فضائل القرآن باب نسيان القرآن وكذلك باب من لا يرى بأساً أن يقول سورة كذا وكذا وأخيراً في كتاب الدعوات.

ففي كتاب الشهادات أخرج البخاري بسنده عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: (سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً يقرأ في المسجد فقال رحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية أسقطتهن من سورة كذا وكذا وزاد عباد بن عبد الله عن عائشة تهجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيتي فسمع صوت عباد يصلي في المسجد فقال يا عائشة أصوت عباد هذا قلت نعم قال اللهم ارحم عباداً)[(١)].

ما يسجل على هذا النص وغيره[(٢)] من ملاحظات الآتي:

١) صحيح البخاري٣/١٥٢؛ النسائي: السنن الكبرى ٥/١٠؛ البيهقي: السنن الكبرى ٣/١٢؛ ابن حجر: تغليق التعليق ٣/٣٨٧- ٣٨٨، ٤/٣٨٩؛ العيني: عمدة القاري ١٣/٢٢٠، ٢٠/٥٣.

٢) ينظر ذلك في الصفحة المقبلة.

أولاً: من حيث أسانيد الروايات فإن العمدة في مصدرها إنما يرجع إلى شخص واحد وهو هشام بن عروة بن الزبير[١] عن عائشة، فهي رواية آحاد إذ لم يروِ ذلك عن عائشة غير عروة عن أبيه وهذا غريب قطعاً لأن عائشة لم تكن بمعزل عن الصحابة لكي يروي عنها هشام عن عروة حصراً دون غيره، هذا من جانب ومن جانب آخر لا يمكن الاعتماد على روايات الآحاد سيما وأنّها تتعارض مع القرآن الكريم وهو ما سيأتي ذكره أدناه.

ثانياً: من حيث متن الرواية: الظاهر من النص المذكور أنّ الخبر جاء عن عائشة من طريقين الأول يذكر نسيان أو إسقاط النبي صلى الله عليه وآله وسلم آياً من القرآن ولكن لم يتم تحديد تلك الآيات ولا الرجل الذي كان يتلو القرآن[٢] فكل ذلك جاء في صيغة المبني للمجهول، قال ابن حجر: (لم أقف على تعيين الآيات المذكورة وأغرب من زعم أن المراد بذلك إحدى وعشرون آية)[٣].

أمّا طريق الرواية الثاني فيبدو أكثر إفصاحاً من الأول، ولكن الأهم من ذلك أنّه لم يذكر نسيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لآية من القرآن بل كان يفصح عن مجرد دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعباد لأنه كان يصلي، على العكس من النص الأول الذي أفصح عن قراءة القرآن ومن ثم تذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتلك الآيات بذلك السبب، وقطعاً هنالك فرق بين الصلاة

١) مدني من أصحاب الطبقة السادسة، كان مولده سنة إحدى وستين وتوفي سنة مائة وست وأربعين للهجرة. ينظر: خليفة بن خياط: طبقات خليفة/ ٤٦٥؛ ابن حبان: مشاهير علماء الأمصار/١٣٠؛ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ١/١٣٧.

٢) العيني: عمدة القاري ٢٠/٥١.

٣) فتح الباري ٩/٧٥.

التي ربما كانت بصوت خافت وبين قراءة القرآن التي من الممكن أن تكون بصوت مرتفع، وعليه فإنّ هنالك فرقاً شاسعاً بين النص الأول والثاني في الرواية ذاتها، مع العلم أنّها صدرت من شخص واحد (وهي عائشة) فمن المفترض أن لا يقبل ذلك الاختلاف كلّه في اللفظ والمعنى من الراوي إذا كان واحداً، وهذا يوحي بأن النص الأول قد أضيف للنص الثاني ليكون رواية واحدة، مع ملاحظة أنّ البخاري قد أورد نص الرواية الأول وهو إسقاط النبي صلى الله عليه وآله وسلم لآيات من القرآن في أكثر من موضع [١] ولم يعرج بالذكر على نص الرواية الثاني وهي رواية عباد عن عائشة ودعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم له، وهذا يدعونا للقول إن البخاري أراد التركيز على مسألة نسيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعدم عصمته، وبالتالي هذا يدعو للشك بالرواية وعدم قبولها.

ويعضد هذا الشك ما رواه البخاري في موضع آخر من إسقاط النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونسيانه بعض الآيات في باب نسيان القرآن وهل يقول نسيت آية كذا وكذا وقول الله تعالى سنقرئك فلا تنسى وكذلك ما أورده في الموضع نفسه من حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (بئس ما لأحدهم يقول نسيت آية كيت وكيت بل هو نسي) [٢].

فالتناقض واضح بين ما ذكره البخاري وبين قول الله تعالى (سنقرئك فلا تنسى) فالآية واضحة في دالها ومدلولها أنّ الخطاب القرآني موجه بصيغة النفي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في عدم نسيانه لما ينزل عليه من القرآن [٣]، فكيف تقبل

١) صحيح البخاري ٦ /١١١، ٧ /١٥٢ – ١٥٣.

٢) صحيح البخاري ٦ /١١٠.

٣) الغرناطي الكلبي: التسهيل لعلوم التنزيل ٤/ ١٩٣.

رواية البخاري فيما يتعارض مع القرآن الكريم؟ وإذا جاز للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك النسيان (والعياذ بالله) فكيف يستطيع أن يفسر تلك الآية لعموم المسلمين؟ هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن ذلك يتعارض أيضاً مع ما أورده البخاري في الموضع نفسه من حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتوبيخه لمن ينسى آية ويقول نسيت آية كيت وكيت، فكيف ينهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن أمرٍ ويأتي بمثلهِ وهو نبي الأمة؟!.

لم يكن البخاري وحده من أورد ذلك النسيان بل تابعه مسلم في ذلك تارة بلفظ أذكرني كذا وكذا آية كنت أسقطتها من سورة كذا وكذا وتارة أخرى أذكرني آية كنت أنسيتها، مع ملاحظة أن مصدر الرواية أيضاً كان أحادي الجانب وهو هشام عن أبيه عروة بن الزبير عن عائشة [1].

ولا نعلم كيف يتلاءم ذلك النسيان من النبي صلى الله عليه وآله وسلم لآيات الذكر الحكيم مع ما ذكره النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أحاديث متواترة وكثيرة تحث على تعاهد القرآن وقراءته وحفظه وعدم نسيانه ومنها ما رواها البخاري ومسلم [2] وكذلك ما ورد في كتب الحديث الأُخر التي روي فيها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله: (بئسما لأحدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل هو نسي واستذكروا القرآن فو الذي نفسي بيده لهو أشد تفصياً من صدور الرجال من النعم من عقله)[3] وبئس هنا هي فعل ذم وفيها دلالة على

١) صحيح مسلم٢/١٩٠؛ ينظر العيني: عمدة القاري ٢٢/٢٩٧؛ العظيم آبادي: عون المعبود ٤/١٤٨.

٢) ينظر صحيح البخاري ٦/١٠٩- ١١٠؛ صحيح مسلم ٢/١٩١- ١٩٢.

٣) الطيالسي: مسند الطيالسي / ٣٥؛ الصنعاني: المصنف ٣/٣٥٩؛ الحميدي: مسند الحميدي ←

التفريط بعدم ملازمة تلاوة القرآن [١].

وحدث وكيع عن ابن أبي داود عن الضحاك بن مزاحم قال: (ما تعلم رجل القرآن ثم نسيه إلا بذنب ثم قرأ الضحاك { وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ } [٢] ثم قال الضحاك: وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن)[٣] وأيد ذلك بعض أهل التأويل[٤] وإذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد نسي القرآن فهو بما كسبت يده لذنب اقترفه! فأي ذنب جناه لكي يتحمل وزر تلك المصيبة؟ وهل يقبل أهل العقل والمنطق ذلك الافتراء على أسوة المسلمين الحسنة؟ وكيف يكون لهم أسوة وهو كذلك؟! وفي الروايات عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام أنّ الآية والسورة من القرآن لتسأل الرجل يوم القيامة إذا نسيها أما تعرفني فيقول لا فتجيبه لو لم تنسني لرفعتك إلى هذا أي الدرجات الرفيعة[٥].

١/٥٠- ٥١؛ ابن أبي شيبة الكوفي: المصنف ٢/ ٣٨٣؛ ابن حنبل: مسند ابن حنبل؛ ١/٣٨١-٣٨٢ ، ٤١٧، ٤٢٩، ٤٣٨- ٤٣٩، ٤٦٣؛ الدارمي: سنن الدارمي ٢/٣٠٨- ٣٠٩؛ الترمذي: سنن الترمذي ٤/٢٦٣؛ النسائي: سنن النسائي ٢/١٥٤- ١٥٥؛ الحاكم النيسابوري: المستدرك ١/٥٥٣؛ البيهقي: السنن الكبرى ٢/٣٩٥؛ ابن بلبان: صحيح ابن حبان ٣/٤١.

١) المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير ٣/٢٨٠.

٢) الشورى: ٣٠.

٣) ابن أبي شيبة الكوفي: المصنف ٧/١٦٢؛ ابن حجر: فتح الباري ٩/٧٦؛ السيوطي: الدر المنثور ٦/٩.

٤) ابن أبي حاتم: تفسير ابن أبي حاتم ١٠/٣٢٧٩؛ السمرقندي: تفسير السمرقندي ٣/٢٣٢؛ الثعلبي: تفسير الثعلبي ٣/٣٤٨، ٨/٣٢١؛ ابن كثير: تفسير ابن كثير ٤/١٢٦.

٥) الكليني: الكافي ٢/٦٠٨.

وعليه كيف بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يصل تلك الدرجة الرفيعة وقد قال فيه جل وعلا: { ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى *فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى *فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى }[1] ثم ألم يضرب الله لنا مثلاً بذلك الأعمى قال تعالى: { قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا *قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى }[2] فهل يجوز للأنبياء بعد ذلك النسيان أم أنّ أحكام القرآن تسري على عامة الناس ولا تسري عليهم؟! وفي أسانيد متواترة روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله: (عرضت عليَّ أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت عليَّ ذنوب أمتي فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها)[3].

فكيف والحال هذه يكون ذلك الرجل هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ وأنّى له صلى الله عليه وآله وسلم أن يكون في كفته ذنوب أمته كلّها؟! في وقت كانت تلك الأمة تعد أن (من أعظم الذنوب أن يتعلم الرجل القرآن ثم ينام عنه حتى ينساه)[4].

---

١) النجم: ٨-١٠.

٢) طه: ١٢٥- ١٢٦.

٣) أبو داود: سنن أبي داود ١/١١٣؛ الترمذي: سنن الترمذي ٤/٢٥١؛ أبو يعلى الموصلي: مسند أبي يعلى ٧/٢٥٤؛ ابن خزيمة صحيح ابن خزيمة ٢/٢٧١؛ الطبراني: المعجم الأوسط ٦/٣٠٨، المعجم الصغير ١/١٩٨؛ البيهقي: السنن الكبرى ٢/٤٤٠؛ ابن عبد البر: الاستذكار ٢/٤٨٨، التمهيد ١٤/١٣٦؛ ابن حجر: فتح الباري ٩/٧٦؛ السيوطي: الجامع الصغير ٢/١٥٣؛ الشعراني: العهود المحمدية /٧٢٦؛ المتقي الهندي: كنز العمال ١/٦١٥.

٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١١٦؛ ابن حجر: فتح الباري ٩/٧٦؛ المجلسي: بحار الأنوار ٨٤/١١٥؛ الشاهروردي: مستدرك سفينة البحار ١٠/١٩٠.

الظاهر أنّ البخاري كان قدرياً يرى القدر، ولذلك جاءت في صحيحه تلك الأحاديث وهو ما يناسب مذهبه فيها من عدم عصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويعزز هذا القول ما ذكره الضحاك الذي أورد حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم آنف الذكر (بئسما لأحدهم... الحديث) فقال: (وتركنا أحاديث دخلت في كتاب الفتن وفي كتب غير ذلك مما يدخل في القدر) [١]، ثم إنّه عاش محنة خلق القرآن [٢] وكل ذلك يلقي بظلاله على مروياته [٣].

فضلاً عن ذلك أنّه لا يمكن قبول روايات البخاري في النسيان لتعارضها مع حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: (ما من أحد يقرأ القرآن ثم ينساه إلا لقي الله وهو أجذم)[٤] فكيف نستطيع أن نقارن بين هذا الحديث وبين ما رواه البخاري ومن تابعه على ذلك من حديث نسيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟!.

وإذا أغفلنا ذلك، فكيف لنا أن نغفل ما جاء في القرآن الكريم من قوله

---

١) كتاب السنة /١٨٤.

٢) هو الامتحان الذي قام به المأمون العباسي للعلماء والمحدثين والفلاسفة سنة ٢١٨هـ ومنهم محمد بن سعد كاتب الواقدي وأحمد بن حنبل وآخرين، في أن القرآن مخلوق فهو كلام الله والله خالق كل شيء وما دون الله فهو مخلوق، واستمرت هذه المحنة أيام المعتصم إلى أيام المتوكل الذي رجع عن مذهب المأمون في مسألة خلق القرآن. الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٧/ ١٩٦- ١٩٩.

٣) للتفصيلات ينظر الحسيناوي: السيرة النبوية في صحيح البخاري دراسة تاريخية تحليلية /٢٧-٢٩.

٤) ابن أبي شيبة الكوفي: المصنف ١٦٢/٧؛ ابن حنبل: مسند ابن حنبل ٢٨٦/٥، ٣٢٨؛ الدارمي: سنن الدارمي ٤٣٧/٢؛ الطبراني: المعجم الكبير ٢٣/٦؛ الهيثمي: مجمع الزوائد ٢٠٥/٥.

تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَى﴾ [١] وهي بشارة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقرأ عليه جبرئيل عليه السلام ما يقرؤه من الوحي فيحفظه ولا ينساه[٢] وعليه كيف ينسى النبي صلى الله عليه وآله وسلم معجزة دينه؟! أما قوله تعالى: ﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ* فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [٣] وقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ [٤] فقيل في تفسيرها (سنأخذ عليك قراءة القرآن فلا تنسى ذلك وقيل معناها سيقرأ عليك جبرائيل القرآن بأمرنا فتحفظه ولا تنساه قال ابن عباس: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا نزل عليه جبرائيل عليه السلام بالوحي يقرأه مخافة أن ينساه فكان لا يفرغ جبرائيل عليه السلام من آخر الوحي حتى يتكلم هو بأوله فلما نزلت هذه الآية لم ينس بعد ذلك شيئاً) [٥].

الذي يلفت النظر أنّ بعضهم ذكر حديث نسيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع أنّه أوردها تحت مسميات تخالف ذلك، ومنها باب فضائل القرآن وما يتعلق به أو باب الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيت آية كذا وجواز قول أنسيتها، وبالوقت نفسه يذكر أحاديث نبوية تنص على النهي عن نسيان القرآن ومنها بئسما لأحدهم يقول نسيت آية كيت وكيت، والأغرب من ذلك يستدل

---

١) الأعلى: ٦.

٢) الطبرسي: تفسير جوامع الجامع ٧٦٩/٣؛ الغرناطي الكلبي: التسهيل لعلوم التنزيل ٤/ ١٩٣ – ١٩٤.

٣) القيامة: ١٦- ١٩.

٤) طه: ١١٤.

٥) الطبرسي: تفسير مجمع البيان ٣٢٩/١٠؛ ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ٤٦٩/٥؛ العيني: عمدة القاري ٥١/٢٠.

بحديث النسيان لأخراج فوائد (...منها جواز رفع الصوت بالقراءة في الليل وفي المسجد ولا كراهة فيه إذا لم يؤذ أحداً ولا تعرض للرياء والإعجاب ونحو ذلك وفيه الدعاء لمن أصاب الإنسان من جهته خيراً وإن لم يقصده ذلك الإنسان وفيه أن الاستماع للقراءة سُنة) [١].

وحقيقة لا يمكن قبول تلك الاستدلالات لإثبات سُنة بنيت على أحاديث مدلسة أو باطلة فمن البديهي أنّ كل شيء بني على باطل فهو باطل، ولا عذر لمن حاول تأويل الأحاديث النبوية بما يتلاءم مع رأيه أو للدفاع عن مصدر تلك الأحاديث لإعطاء القداسة لها فيما يتعارض مع القرآن الكريم، فكيف يمكن أن تأول الأحاديث ولا يأول القرآن الكريم ويؤخذ على ظاهره وهو حمال أوجه؟ ويعضد هذا القول وصية الإمام علي عليه السلام لابن عباس حينما كلفه بالاحتجاج على الخوارج بقوله: (لا تخاصمهم بالقرآن فإن القرآن حمال أوجه تقول ويقولون... ولكن حاججهم بالسُنة، فإنهم لم يجدوا عنها محيصاً) [٢].

وعليه لا يمكن قبول تأويل ابن حجر ومحاولة تسويفه حديث البخاري بقوله: (...كأنه يريد أن النهي عن قول نسيت آية كذا وكذا ليس للزجر عن هذا اللفظ بل للزجر عن تعاطي أسباب النسيان المقتضية لقول هذا اللفظ ويحتمل أن ينزل المنع والإباحة على حالتين فمن نشأ نسيانه عن اشتغاله بأمر ديني كالجهاد لم يمتنع عليه قول ذلك لأن النسيان لم ينشأ عن إهمال ديني وعلى ذلك يحمل ما ورد من ذلك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم من نسبة النسيان إلى نفسه ومن نشأ

---

١) النووي: شرح مسلم ٧٥/٦ – ٧٧.

٢) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة ٧١/١٨؛ السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٤١٠/١؛ المجلسي: بحار الأنوار ٢٤٥/٢، ٣٧٦/٣٣؛ الشاهروردي: مستدرك سفينة البحار ٢٠٠/٨.

نسيانه عن اشتغاله بأمر دنيوي ولا سيما إن كان محظوراً أمتنع عليه لتعاطيه أسباب النسيان) [١].

إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم حسب ما صرح حديث البخاري لم يكن في جهاد وإنّما كان في بيته وإذا كان الأمر كذلك فهذا معناه أنّ النسيان نشأ عن إهمال ديني! وهذا ما لا يمكن قبوله بتاتاً، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى*إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى*عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾ [٢] فكيف ينسى القرآن وقد علمه شديد القوى؟ وكيف يمكن قبول ذلك فيما روى بعضهم بقوله: (...وقال الجمهور: جاز النسيان عليه فيما ليس طريقه البلاغ والتعليم بشرط أن لا يقرأ عليه، بل لابد أن يذكره، وأما غيره فلا يجوز قبل التبليغ، وأما نسيان ما بلغه كما في هذا الحديث فهو جائز بلا خلاف)[٣].

ويمكن رد ذلك بالقول: إنّ حديث النسيان يذكر أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أسقط آيات من القرآن وهذا يعني أنّه قد قرأ عليه فنسيه. هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن ما لم ينزل عليه من قرآن فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم قطعاً غير ملزم بحفظه لأنه لا يعلمه، هذا إن كان هنالك قرآن غير منزل؟!.

والغريب أنّ أحاديث نسيان النبي استدل بها لمناقضة القرآن الكريم، ففي تفسير قوله تعالى: (وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) قال ابن العربي: (قال قوم هذا خطاب من الله سبحانه لنبيه والمراد بذلك الأمة وكأن القائلين بذلك ذهبوا إلى تنزيه النبي عن النسيان وهم كبار الرافضة

---

١) فتح الباري٩/٧٥.

٢) النجم: ٣- ٥.

٣) العيني: عمدة القاري ٢٠/٥١، ٢٢ /٢٩٧.

قبحهم الله وأنّ عذرنا أصحابنا في قولهم إن قوله تعالى (لئن أشركت ليحبطن عملك) خطاب للأمة باسم النبي لاستحالة الإشراك عليه فلا عذر لهم في هذا لجواز النسيان على النبي) [١].

ويبدو أنّ ابن العربي انطلق في تفسير ذلك من دوافع مذهبية لكنه نسي أن ذلك التفسير مخالف للقرآن الكريم بدلالة ما ألزم به نفسه، وبعيداً عن التأويل الباطني للآيات فالتفسير الظاهري لكلتا الآيتين هو خطاب موجه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليه فما نسب له من نسيان في الآية الأولى يستوجب أن ينسب له الإشراك في الآية الثانية فهو المقياس الذي وضعه ابن العربي لنفسه في التفسير!.

ومن المؤكد أنّ ابن حزم كان منصفاً حينما رد على تلك الافتراءات بتفسير قوله تعالى: ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى*إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴾ [٢] قائلاً: (... فنص تعالى على أنه لا ينسى أصلاً شيئاً من القرآن إلا ما أراد تعالى رفعه بإنسائه فصح أن حديث الداجن إفك وكذب وفرية، ولعن الله من جوز هذا أو صدق به... ولا يجيز هذا مسلم... ولكان... خرماً في الدين ونقصاً منه) [٣].

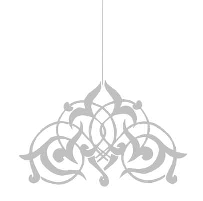
وعليه فإن ما ذهبنا إليه من عدم نسيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم آيات من القرآن وعصمته في ذلك يرد كل من ادعى عليه ذلك وجاء بالمتناقضات ليثبت نسيانه، وسبحان الله أن يجعل خرماً في الدين أو عيباً فيه.

---

١) أحكام القرآن ٢/٢٦٠ – ٢٦١.

٢) الأعلى: ٦.

٣) الأحكام ٤/٤٥٤.



المبحث الثاني: سهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة

لم يقتصر نسيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإسقاطه آيات من القرآن بل وردت روايات أُخر عن السهو في صلاته، وكانت أول المصادر التي ذكرت ذلك كتب الحديث من دون غيرها، إذ ورد ذلك بألفاظ متعددة لكن في مجموعها يشير صراحة إلى ذلك ويمكن حصرها بروايتين مختلفتين:

الرواية الأولى:

عن جرير عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: (صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة فزاد أو نقص، فلما سلم وأقبل على القوم بوجهه قالوا: يا رسول الله! أحدث في الصلاة شيء؟ قال: وما ذاك؟ قالوا: صليت كذا وكذا، فثنى رجله فسجد سجدتين ثم سلم وأقبل على القوم بوجهه فقال: إنه لو حدث في الصلاة شيء أنبأتكم به، ولكني بشر أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني، وإذا شك أحدكم في صلاته فليتحر الصواب فليتم عليه، فإذا سلم سجد سجدتين) [1].

1) ابن أبي شيبة الكوفي: المصنف ج ٨ / ٣٧٢؛ الطبراني: المعجم الكبير١٠/٢٧ – ٢٨.

وفي لفظ آخر أن عبد الله قال: (صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة فلا أدري زاد أم نقص) فلما سألوه قال: (لا وما ذاك) [١].

واستقطع من هذا النص قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (إنه لو حدث في الصلاة شيء أنبأتكم به) الذي ورد في النص الأول، ومع أنّ هذا النص المستقطع قد ورد أيضاً عند البخاري في موضع إلاّ أن رواية الأخير اختلفت من جهة أنّ الزيادة والنقصان كانت من ظن إبراهيم وليس من عبد الله [٢] وفي موضع آخر لم يذكر قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم المشار إليه فتوهم الزيادة والنقصان لم يذكرها عن إبراهيم وإنما عن منصور قال: لا أدري إبراهيم وهم أم علقمة، مع الإشارة إلى أنّ تلك الصلاة كانت صلاة الظهر [٣] وهو مالم يذكر في النصوص السابقة.

من خلال استقراء تلك النصوص يتضح الآتي:

أولاً: من جهة سند الرواية فهي متصلة فجرير يروي عن منصور بن المعتمر السلمي[٤] وهو كوفي تابعي[٥] ثقة وقيل كان اثبت أهل الكوفة لا يختلف فيه أحد[٦] وإبراهيم بن سويد النخعي الكوفي الأعور قيل ثقة أيضاً[٧]

١) ابن حنبل: مسند ابن حنبل ١/٣٧٩.

٢) صحيح البخاري١/١٠٤ – ١٠٥؛ أبو داود: سنن أبي داود ١/٢٣٠؛ أبو يعلى الموصلي: مسند أبي يعلى ٩/٧٦؛ ابن بلبان: صحيح ابن حبان ٦/٣٨٥.

٣) البخاري: صحيح البخاري ٧ / ٢٢٧.

٤) ابن حجر: فتح الباري ١١/٤٨٠.

٥) الطوسي: رجال الطوسي /٣٠٥.

٦) العجلي: معرفة الثقات ٢/٢٩٩؛ ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ١/١٥٣.

٧) العجلي: معرفة الثقات ١/٢٠٢.

وإن اختلف في تعيين شخصه لكن الصواب هنا ما أوردناه [١] وعلقمة بن قيس النخعي ثقة أيضاً، كان ملازماً لعبد الله بن مسعود [٢] الوارد في صدر الرواية.

ولكن صحة السند لا تلزم بالضرورة صحة الرواية فهي أحادية الجانب ولها طريق واحد لم تجِدْ عنه جميع النصوص، وعمدة إسنادها تنحصر في إبراهيم عن علقمة عن عبد الله، فلا يمكن اعتماد رواية الآحاد في إثبات أمور مختلف عليها أو للطعن في عصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضلاً عن أنّ النصوص توضح أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد صلى بجمع من المسلمين فلماذا لم يروِ هذه الرواية أحد منهم غير عبد الله بن مسعود؟ وهذا الإشكال من الطعون على سند الرواية.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى ذكر ابن بلبان أنّ علقمة قد صلى الظهر خمساً فعاتبه إبراهيم بن سويد بذلك فقال له علقمة: وأنت يا أعور فأجابه نعم، فسجد سجدتي السهو ثم حدث علقمة عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثل ذلك[٣] هذا يعني أنّ علقمة لم يحدث قبل حادثة سهوه في الصلاة فربما كان ذلك السبب في اختلاق ذلك الحديث.

ثانياً: من جهة متن الرواية فالتناقض والغموض يلازمان تلك النصوص فالصلاة التي صلاها النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت مبنية على صيغة المجهول وغير معلومة إلاّ في رواية البخاري، إذ أورد أنّها صلاة الظهر فصلى خمس

١) النووي: شرح مسلم ٥/٦٥.
٢) ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٦/٤٠٤.
٣) صحيح ابن حبان ٦/٣٨٤.

ركعات بدلاً من أربع [١].

ولكن ذلك لم يذكر في النصوص الأخرى (كما ورد آنفاً) ثم إنّ ما ورد في جل النصوص أنّ الراوي لم يعلم أحدث زيادة في الصلاة أم نقص، وعليه كيف علم أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد زاد أو نقص إذا لم يكن من روى الرواية هو نفسه غير متأكد من ذلك؟! وهذا يشكل طعناً في مصداقية الرواية.

ومع أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم استفهم مستغرباً حينما سألوه عن الحدث الذي أصاب الصلاة، فإن بقية النصوص أشارت خلافاً لذلك إلى أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفى حدوث أي حدث للصلاة وعليه فإنه كان واثقاً من عدد ركعاته وبالتالي نفى عن نفسه ذلك الغلط، ويعضد ذلك قوله آنف الذكر إنه لو حدث في الصلاة شيء أنبأتكم به، وهذا يناقض ما ورد في بعض النصوص من أنّه صلى الله عليه وآله وسلم جوز لنفسه النسيان، وليس ذلك حسب ما يطعن بصحة الرواية بل إن اختلاف الألفاظ وحذف عبارات أو إضافتها لحدث واحد يجعل أمر قبولها صعباً جداً سيما أنّها صدرت من شخص واحد فالأولى أن تكون الرواية واحدة من غير زيادات أو نقصان، وهذا الأمر يدل على أن الرواية قد تم التلاعب بها سواء أكان ذلك من الرواة أم من واضعيها، ويعزز ذلك ما ورد من تشابه لرواية أخرى أشارت للمعنى نفسه بسهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن صلاته وربما كانت هذه الرواية لا أساس لها من اليقين إطلاقاً أو أنّها قد حدثت ولكن كان هناك من افترى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم الغلط والنسيان فغضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم لذلك وبالتالي صورت الرواية

---

١) صحيح البخاري ٢ /٦٥.

بشكلها المعكوس، وهذا ما تتناوله الرواية الثانية وإن كانت مليئة بالاختلافات أيضاً كما سيأتي.

الرواية الثانية: روى ابن حنبل بسنده عن أبي هريرة قال: (صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إحدى صلاتي العشى... فصلى ركعتين ثم سلم وأتى خشبة معروضة في المسجد فقال بيده عليها كأنه غضبان وخرجت السرعان من أبواب المسجد قالوا قصرت الصلاة قال وفي القوم أبو بكر وعمر فهاباه أن يكلماه وفى القوم رجل في يديه طول يسمى ذا اليدين فقال يا رسول الله أنسيت أم قصرت الصلاة فقال لم أنس ولم تقصر الصلاة قال كما يقول ذو اليدين قالوا نعم فجاء فصلى الذي ترك ثم سلم ثم كبر فسجد مثل سجوده أو أطول ورفع رأسه وكبر) [1].

ولم تذكر إحدى روايات البخاري أنّ أبا بكر وعمر كانا حاضرين بل أوضحت أنّ تلك الصلاة كانت الظهر أو العصر [2] مخالفةً لرواية أخرى في موضع آخر عند البخاري (مع أنّ مصدرها واحد وهو أبو هريرة) بذكر تفصيلات أخرى منها حيثيات غضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تلك الحادثة إذ قال: (قال فصلى بنا ركعتين ثم سلم فقام إلى خشبة معروضة في المسجد فاتكأ عليها كأنه غضبان ووضع يده اليمنى على اليسرى وشبك بين أصابعه ووضع خده الأيمن على ظهر كفه اليسرى وخرجت السرعان من أبواب المسجد فقالوا قصرت الصلاة وفي القوم أبو بكر وعمر فهابا أن يكلماه وفي القوم رجل في يديه طول يقال له ذو اليدين قال يا رسول الله أنسيت أم قصرت الصلاة قال لم أنس

١) مسند ابن حنبل ٢ / ٢٣٤ - ٢٣٥.

٢) صحيح البخاري٢/٦٥ – ٦٦.

ولم تقصر فقال أكما يقول ذو اليدين فقالوا نعم فتقدم فصلى ما ترك..) [١].

وأكدت روايات أخرى مسألة غضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم[٢] ومنها ما جاء بلفظ أنّ الناس خرجوا وراء النبي صلى الله عليه وآله وسلم مسرعين (وهم يقولون: قصرت الصلاة، قصرت الصلاة...) [٣].

من ملاحظة تلك المرويات يتوجب علينا البدء مما روى ابن خزيمة بعد ذكره لهذا الخبر بقوله: (خبر ابن سيرين عن أبي هريرة دال على إغفال من زعم أن هذه القصة كانت قبل نهي النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الكلام في الصلاة ومن فهم العلم وتدبر أخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم وألفاظ رواة هذا الخبر علم أن هذا القول جهل من قائله) [٤].

لم يجانب ابن خزيمة الصواب عندما حكم على من روى ذلك بالجهل، فمع الطعون التي توجه لتلك المرويات لما حوتها من تناقضات لا يقبلها عقل ولا منطق فإن أبا هريرة الذي صدرت عنه الرواية غير مؤهل لأن تقبل روايته سيما أنّه الوحيد من بين معاصري النبي صلى الله عليه وآله وسلم ممن روى ذلك فالرواية من طرق الآحاد، قال ابن عبد البر: (وليس في أخبار الآحاد أكثر طرقاً من حديث ذي اليدين هذا) [٥].

---

١) صحيح البخاري ١/١٢٣- ١٢٤، ٧ / ٨٥.

٢) النسائي: سنن النسائي ٣ / ٢٠ – ٢٢؛ البيهقي: السنن الكبرى ٢/٣٤٦.

٣) أبو داود: سنن أبي داود ١/ ٢٢٨؛ الدارقطني: سنن الدارقطني ١/٣٥٦؛ ابن حزم: المحلى ٤/١٦٩؛ البيهقي: السنن الكبرى ٢/٣٥٣، ٣٥٧.

٤) صحيح ابن خزيمة ٢/١١٨.

٥) الاستذكار ١/٥٠٨.

ولعـل مـن الـضروري أنّ نـشير لشخـصية ذي اليـدين أو الخربـاق أو ذي الشمالين، وهي تلك الشخصية التي نسب إليها الاعتراض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في صلاته.

فالروايات التي زعمت أنّه ذو اليدين صرحت أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يسميه بهذه التسمية لأنه كان في يديه طول[1] وهذا يعني أنّه كان يحمل اسماً آخر ولكنه اشتهر بذي اليدين لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أطلق عليه تلك التسمية.

وفي مقابل ذلك ورد اسمه (الخرباق) في روايات أخرى بالصدد نفسه[2] وكذلك ذكر تحت مسمى آخر وهو (ذو الشمالين) وقيل معنى ذلك الأضبط وهو الذي يعمل بيديه جميعاً [3].

وطالما قد ذُكرت تلك المسميات كلّها للحادثة الواحدة فهذا يعني أنّه شخص واحد مع اختلاف تسمياته وصفاته لأنها جميعاً تعطي مدلولاً واحداً، ويعضد ذلك ما رواه ابن حنبل والدارمي حينما ذكرا التسميتين في حديث السهو من أنّه ابن

---

١) ابن حنبل: مسند ابن حنبل ٢/٢٣٥؛ الدارمي: سنن الدارمي ١/٣٥١؛ البخاري: صحيح البخاري ١/١٢٣، ٢/٦٦،٧/٨٥ ؛ مسلم: صحيح مسلم ٢/٨٦؛ ابن ماجة: سنن ابن ماجة ١/٣٨٣؛ أبو داود: سنن أبي داود ١/٢٢٨؛ النسائي: السنن الكبرى ١/٢٠٢، ٣٦٤، سنن النسائي ٣/ ٢١؛ الطبراني: المعجم الكبير ٢٢/٣٧١؛ الدارقطني: سنن الدارقطني ١/٣٥٦؛ ابن حزم: المحلى ٤/١٦٩؛ البيهقي: السنن الكبرى ٢/٣٤٦؛ عبد الله بن قدامة: المغني ١/٦٦٥،٦٧٢ ؛ النووي: المجموع ٤/١٠٧.

٢) ابن سلمة: شرح معاني الآثار ١/٣٤٣؛ ابن عبد البر: الاستذكار ١/٥٠٩، التمهيد ١/٣٦٣؛ ابن بلبان: صحيح ابن حبان ٦/٣٧٩.

٣) ابن حجر: الإصابة ٢/٣٤٥؛ العيني: عمدة القاري ٤ / ٢٦٤.

عبد عمرو وكان حليفاً لبني زهرة[١] وكذا ذكر الصنعاني والنسائي مؤكدين ذلك أيضاً من حديث الزهري [٢] فضلاً عن ذلك تأكيد ابن أبي شيبة الكوفي أنّ التسميتين للشخص ذاته [٣] وبلا أدنى شك فإن الزهري هو الأعلم بأنساب قبيلته ومن هم حلفاؤها.

وعليه فإنّ ما ذهب إليه ابن عبد البر في رفض أن يكون ذو اليدين هو ذا الشمالين ذاته وأنّهما شخصان مختلفان وأن ذا الشمالين استشهد ببدر وأمّا ذو اليدين فهو رجل من بني سليم محتجاً بحديث أبي هريرة [٤] بعيد عن الصواب جداً، لأنه لم يستند إلى دليل فلا يتابع عليه إلاّ من حيث إنّ ذا اليدين من بني سليم واستشهد في بدر فهذا يصح منه، وهذا ما أكده ابن سعد قائلاً: (ذو اليدين ويقال ذو الشمالين واسمه عمير بن عبد عمرو بن نضلة بن عمرو بن غبشان بن سليم بن مالك بن أفضى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن خزاعة ويكنى أبا محمد وكان يعمل بيديه جميعاً فقيل ذو اليدين، وقدم عبد عمرو بن نضلة إلى مكة فعقد بينه وبين عبد بن الحارث بن زهرة حلفاً فزوجه عبد ابنته نعم بنت الحارث فولدت له عميراً ذا الشمالين) [٥].

وهذا يؤيد ما روي عن الزهري من مسألة الحلف وينقض ما ذهب إليه ابن عبد البر الذي ناقض نفسه في موضع آخر عند ذكره نسب غبشان فقال: (منهم

---

١) مسند ابن حنبل ٢/٢٧١، ٢٨٤؛ سنن الدارمي ١/٣٥٢.

٢) المصنف: ٢/٢٩٦؛ سنن النسائي ٣/٢٤- ٢٥.

٣) المصنف ١/٤٨٨.

٤) الاستذكار ١/٥٠٩؛ التمهيد ١/٣٦٣.

٥) الطبقات الكبرى ٣/١٦٧؛ ابن حبيب: المنمق / ٢٤٥؛ ابن حجر: الإصابة ٢/٣٤٥.

ذو الشمالين المقتول ببدر) [١].

وعليه فإن ذا اليدين أو الخرباق أو ذا الشمالين [٢] هو الذي استشهد في بدر وأكد ذلك أهل السير [٣] وهذا ينسف رواية أبي هريرة في سهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الصلاة ويظهر بطلانها لأن أبا هريرة أسلم عام خيبر [٤] واتفق العلماء على ذلك بلا خلاف [٥] فهو متأخر الإسلام إذ أسلم في السنة السابعة من الهجرة [٦] مما يؤكد أنّه لم يدرك ذا الشمالين الذي استشهد يوم بدر وذلك بعد الهجرة بسنتين [٧].

أمّا متن تلك النصوص ففيها شوائب ومنها: لم يتم تحديد وقت تلك الصلاة التي اتهم فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالسهو. ومع أنّ بعض الروايات آنفة الذكر قد جعلتها إحدى صلاتي العشى أي المغرب أو العشاء فإن الاتهام يوجه للراوي الذي نسي أي الصلوات هي، فكيف والحال هذه أن نأخذ بروايته؟ أضف إلى ذلك أنّ بعض الروايات قد اختلفت من حيث إنّ النبي صلى

---

١) الإنباه على قبائل الرواة /١٠٩.

٢) ابن قتيبة: المعارف /٣٢٢.

٣) ابن عقبة: المغازي /١٤٤؛ ابن إسحاق: السير والمغازي ٢٨٨/٣.؛ ابن هشام: السيرة النبوية ٥٠٣/٢؛ ابن كثير: السيرة النبوية ٤٩٥/٢.

٤) خليفة بن خياط: تاريخ خليفة /٥٢؛ البيهقي: معرفة السنن والآثار ٧٦/٢؛ ابن عبد البر: الاستيعاب ١٢٠٨/٣، ١٧٧١/٤؛ النووي: شرح مسلم ٧٧/٥.

٥) ابن حجر: تلخيص التحبير ١٨٦/٤؛ الشوكاني: نيل الأوطار ١١٨/٣.

٦) البهوتي: كشف القناع ٣٤/٣.

٧) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٤٥/٢؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ١٢٩/٢؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١١٦/٢.

الله عليه وآله وسلم قد صلى وانصرف من اثنتين[١] وبعضها الآخر تذكر أنّه صلى بهم الظهر ثلاث ركعات ثم سلم وانصرف وقيل إنّها كانت صلاة العصر[٢].

ناهيك عمّا تمت الإشارة إليه في بعض الروايات آنفة الذكر من أنّ أبا بكر وعمر كانا حاضرين ولكنهما لم يتكلما لأنّهما هابا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا نعلم سبباً مقنعاً يجعل ذا اليدين (الشخصية المغمورة) يتجرأ ويذكّر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسهوه وغلطه في صلاته من بين المسلمين جميعاً ومنهم أبو بكر وعمر؟! وهذا التحير والاستغراب يمكن قراءته على حال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تلك الأثناء عندما سأله ذو اليدين (...فنظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم يميناً وشمالاً فقال ما يقول ذو اليدين قالوا صدق لم تصل إلاّ ركعتين...) [٣].

إنّ الترتيب الزمني والمكاني للحدث يوضح أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قام بعد أنّ صلى الركعتين أو الثلاث على اختلاف الروايات إلى خشبة معروضة في المسجد فاتكأ عليها كأنه غضبان وواضح أنّ ذلك كان في داخل المسجد، بينما توضح تلك النصوص أنّ السرعان قد خرجوا من أبواب المسجد فقالوا قصرت الصلاة أي أنّهم تحدثوا إليه خارج المسجد وليس داخله، وليس هذا فحسب بل إنّ قيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو خروجه غضباناً قبل أنْ يكلمه الناس في ذلك يعني أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم

١) البخاري: صحيح البخاري ٢ / ٦٦.

٢) ابن سلمة: شرح معاني الآثار ٤٤٣/١؛ ابن بلبان: صحيح ابن حبان ٣٧٩/٦.

٣) مسلم: صحيح مسلم ٨٦/٢؛ النووي: المجموع ١٠٨/٤؛ عبد الرحمن بن قدامه: الشرح الكبير ٦٧٢/١؛ ابن حجر: تلخيص الحبير١٦٦/٤.

قد أحس بأنّه أخطأ في صلاته وهذا ما يناقض تلك النصوص التي صرحت بأن النبي قد أجاب ذا اليدين بأنه لم ينس أو يقصر، وهذا التناقض هو ما فات واضع الرواية من الانتباه اليه.

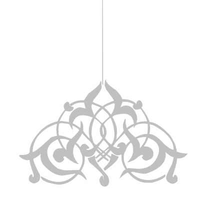
وإذا أخذنا بصحة تلك الرواية وأهملنا تلك التناقضات فإنّ اتفاق الروايات على غضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجعل المشكل أكبر، ففي رواية أنّه خرج يجر رداءه من شدة الغضب فدخل الحجرة مغضباً [1].

وهذا الأمر يجعلنا أمام احتمالين إمّا أنّه لم يسهُ ولم ينسَ من أمر الصلاة شيئاً بل إنّ الافتراء عليه في ذلك كان السبب الذي جعله غاضباً، أو أنّه قد أصابه السهو في الصلاة وهنا لامعنى اذاً لغضبه فلماذا الغضب مادام السهو والغفلة قد صدرت منه؟ وعليه يمكن القول بالجزم أنّ الاحتمال الأول هو الصحيح (إن صحت تلك الروايات) ويؤكد ذلك جوابه صلى الله عليه وآله وسلم بالنفي القاطع لذي اليدين (لم أنس ولم تقصر) وفي لفظ آخر أكثر نفياً قوله: (كل ذلك لم يكن) [2] وهو ما اتفقت على ذكره الروايات آنفة الذكر كلّها.

---

١) ابن سلمة: شرح معاني الآثار ٤٤٣/١.

٢) النسائي: السنن الكبرى ٢٠٣/١.



المبحث الثالث: نسيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم غسل الجنابة في الصلاة

إنّ الروايات التي صرحت بنسيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لآيات من الذكر الحكيم وكذلك سهوه عن الصلاة، تجعل المتلقي لا يستغرب من أن ترد روايات أُخر تؤيد ذلك النسيان ولكن بصورة مختلفة هذه المرة، وهي نسيانه غسل الجنابة وهو قادم للصلاة وفي روايات أنّه صلى مجنباً وروايات أخرى تصب في هذا الجانب.

ولعل أكثر تلك الروايات كماً ونوعاً قد تردد ذكرها عند ابن حنبل، ففي رواية أسندها عن عبد الله بن زرير الغافقي [١] عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال: (بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نصلي إذ انصرف ونحن قيام ثم أقبل ورأسه يقطر فصلى لنا الصلاة ثم قال إني ذكرت أنّي كنت جنباً حين قمت إلى الصلاة لم أغتسل فمن وجد منكم في بطنه رزاً أو كان على مثل ما كنت عليه فلينصرف حتى يفرغ من حاجته أو غسله ثم يعود

١) ثقة له أحاديث، روى عن الإمام علي عليه السلام وشهد معه صفين، توفي سنة إحدى وثمانين للهجرة. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/٥١٠.

إلى صلاته)[١].

وفي رواية أخرى بالإسناد نفسه قال: (صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً فانصرف ثم جاء ورأسه يقطر ماء فصلى بنا ثم قال إني صليت بكم آنفاً وأنا جنب فمن أصابه مثل الذي أصابني أو وجد رزاً في بطنه فليصنع مثل ما صنعت) [٢].

إن استقراءً بسيطاً لكلتا الروايتين يوضح مدى التناقض بينهما سنداً ومتناً، فمن جهة السند قال الطبراني: (لا يروى هذا الحديث عن علي إلا بهذا الإسناد تفرد به ابن لهيعة) [٣] فهو خبر أحادي الجانب، وابن لهيعة متهم بالتصحيف ومطعون فيه من قبل حفظه وكثرة خطئه[٤] وقيل لم يكن شيئاً[٥] بل قيل إنّه ضعيف [٦] لا يعتد بحديثه [٧] وكان يحدث بما ليس له من الحديث فلما سُئل عن ذلك أجاب: (ما أصنع بهم يجيئون بكتاب فيقولون: هذا من حديثك فأحدثهم به)[٨] وقيل إنّ كتبه أحرقت عام مائة وسبعين للهجرة [٩].

ثم إن الروايتين منقولتان عن الإمام علي عليه السلام أي أنّ منبعهما واحد

---

١) مسند ابن حنبل ١/٨٨.

٢) مسند ابن حنبل ١/٩٩.

٣) المعجم الأوسط ٦/٢٧٢.

٤) الترمذي: علل الترمذي /٤٠١.

٥) البخاري: الضعفاء الصغير /٦٩.

٦) النسائي: الضعفاء والمتروكين / ٢٠٣.

٧) العقيلي: ضعفاء العقيلي ٢/٢٩٣.

٨) ابن حبان: المجروحين ١/٦٩.

٩) البخاري: التاريخ الصغير ٢/١٨٩.

وهذا يحتم أن لا يكون هناك اختلاف لرواية الحدث الواحد، وهذا ما يلاحظ عند مقارنة الروايتين ببعضهما البعض الآخر من حيث المتن، يضاف لذلك أنّه من المفترض أن يكون الحكم الشرعي الذي يصدر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم لحالة معينة لا يقبل الاختلاف وهذا مالم يحصل أيضاً، ففي الوقت الذي ذكرت الرواية الأولى أنّه صلى الله عليه وآله وسلم انصرف عن الصلاة وهي قائمة ثم أقبل بعد أن اغتسل فأتم الصلاة وأوصى المسلمين أنّه من كان على تلك الحالة أي تذكر أنه مجنب فعليه أن يتم الغسل ثم يأتي إلى الصلاة، وهذا ما روي بلفظ الطبراني[1] وما أكده الهيثمي بقوله: (...إلا أن الطبراني قال فلينصرف وليغتسل ثم ليأت فليستقبل صلاته) [2]، نجد أنّ الرواية الثانية قد خالفت ذلك من حيث إنّه صلى الله عليه وآله وسلم قد صلى بهم وهو مجنب وعندما فرغ من الصلاة انصرف فاغتسل وأوصاهم أن يفعلوا مثل ما فعل أي بإعادة الصلاة.

وعليه فالفرق شاسع بين الروايتين، ففي الأولى أنّه لم يصلِ بهم مجنباً بل تذكر ذلك قبل البدء بالصلاة وفي الثانية صلى بهم مجنباً، فاختلاف المتن من حيث اللفظ والحكم الشرعي الواحد مدعاة لرفض الروايتين لعدم تطابقهما مع أنّهما صدرا بإسناد واحد.

فإن قيل إنّ الحالتين كانتا مختلفتين من حيث الزمان [3] فهذا يعني أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قد نسي غسل الجنابة لأكثر من مرة، وهذا يجعله أكثر نسياناً وغير مهتم بصلاته وشروطها التي من أهمها طهارة الجسد، فإذا كان نبي

١) المعجم الأوسط ٢٧٢/٦.

٢) مجمع الزوائد ٦٨/٢.

٣) ابن بلبان: صحيح ابن حبان ٧/٦.

الأمة كذلك فلا يؤاخذ من هو أدنى منه مرتبة وهم عوام الناس، وأنى يكون ذلك وكيف يصبح لهم الأسوة الحسنة والنبي صلى الله عليه وآله وسلم ينسى أهم شروط الصلاة؟ وما وظيفته التي من أجلها بُعث؟ ألا ينافي ذلك قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (١).

أما إذا كانت تلك الحادثة واحدة فتعدد ألفاظ تلك الروايات من بين أهم أسباب ردها وعدم قبولها، ففي رواية ابن حنبل عن أبي هريرة قال: (إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرج إلى الصلاة فلما كبر انصرف وأومأ إليهم أي كما أنتم ثم خرج فاغتسل ثم جاء ورأسه يقطر فصلى بهم فلما صلى قال إني كنت جنباً فنسيت أنْ أغتسل) (٢).

وفي لفظ آخر بالإسناد نفسه قال: (أقيمت الصلاة وعدلت الصفوف قياماً فخرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما قام في مصلاه ذكر أنّه جُنب فقال لنا مكانكم ثم رجع فاغتسل ثم خرج إلينا ورأسه يقطر فكبر فصلينا معه)(٣).

في حقيقة الحال لا يمكن قبول روايات أبي هريرة ولاسيما الآحاد منها وذلك لسببين:

الأول: إنّه طالما كان يأتي بأخبار الآحاد وعندما ينكر عليه المسلمون ذلك كان يقول هذا من كيس أبي هريرة (٤).

---

١) الغاشية: ٢١.

٢) ابن حنبل: مسند ابن حنبل ٤٤٨/٢؛ ابن خزيمة: صحيح ابن خزيمة ٣/ ٦٢؛ الدارقطني: سنن الدارقطني ٣٥٢/١ - ٣٥٣؛ البيهقي: السنن الكبرى ٣٩٧/٢ – ٣٩٨.

٣) ابن حنبل: مسند ابن حنبل ٢/ ٥١٨؛ البخاري: صحيح البخاري ١٥٧/١.

٤) ينظر الفصل الثاني، المبحث الثالث / ٧٩.

الثاني: إن قضية غسل الجنابة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم سواء أكانت للصلاة أم الصوم كان يعلمها من عاش مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم تحت سقفٍ واحد وأبو هريرة لم يكن كذلك بطبيعة الحال، ثم إنّ أبا هريرة قد اعترف بتلك الحقيقة عندما تعارضت رواياته في هذا المجال مع رواية عائشة فأنكر الناس عليه ذلك فكان يقول: (عائشة إذن أعلم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)[1].

أمّا رواية ابن حنبل عن أبي بكرة[2] فقال: (إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل في صلاة الفجر فأومأ إليهم أنْ مكانكم فذهب ثم جاء ورأسه يقطر فصلى بهم) [3].

إنّ التصريح بذلك يعني أنهم أحرموا معه لأنه أومأ إليهم ولم يكلمهم، لأن كلام المصلي مكروه عند بعض المذاهب، ومبطل للصلاة عند مذاهب أخرى، وعليه فما يمكن أنْ يوجه من اعتراض لروايته والروايات آنفة الذكر أنّ إمام الصلاة إذا كان مجنباً أو محدثاً لا تصح صلاته سواء أعلم بذلك أم لم يعلم وتصح صلاة الذي خلفه، وبه قال الإمام علي عليه السلام وعمر وعثمان وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس ومن التابعين الحسن البصري وسعيد بن جبير وبه قال

١) ابن حنبل: مسند ابن حنبل: ٦/٩٩؛ النسائي: السنن الكبرى ٢ /١٧٨ – ١٧٩.

٢) اسمه نفيع بن مسروق وقيل مسروح وأمه سمية وهو أخو زياد بن أبيه لأمه وكان عبداً بالطائف فأعتقه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند محاصرته لها، وهو أحد الإخوة الأربعة الذين شهدوا على المغيرة بن شعبة بالزنا في البصرة فتوقف منهم زياد وحُد الآخرون. ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧/١٥؛ ابن الأثير: أسد الغابة ٥/٨.

٣) ابن حنبل: مسند ابن حنبل ٥ / ٤١، ٤٥؛ أبو داود: سنن أبي داود ١/ ٥٨ – ٥٩؛ البيهقي: السنن الكبرى ٢/ ٣٩٧، ٣/ ٩٤.

الشافعي والأوزاعي والثوري وغيرهم [١].

وعلى الرغم من أنّ ابن بلبان أكد أنّه من المحال أن يذهب صلى الله عليه وآله وسلم ليغتسل ويبقى الناس كلهم قياماً على حالتهم من غير إمام لهم إلى أن يرجع صلى الله عليه وآله وسلم إلا أنّه حاول تسويغ قول أبي بكرة (فصلى بهم) أنّه أراد تكبير محدث لا أنه رجع فبنى على صلاته [٢].

ويرد ذلك قول أبي بكرة في النص (فأومأ لهم) أي أنّه قد دخل في الصلاة، ثم إنّ حديث أبي بكرة وما شابهه من أحاديث أخر رويت بألفاظ متعددة وهي من الأحاديث التي اختلف في وصلها وإرسالها ومنها من كان في أسانيدها نظر وتوقف[٣] (وعلى هذا فلا يكون الحديث مؤيداً)[٤] ولا يمكن قبول أن يأتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم لصلاته وهو مجنب فينسى ذلك لاستحالة السهو على النبي صلى الله عليه وآله وسلم [٥] ثم إنّ ذلك يشعر أنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان مقصراً في عبادة ربه وعدم المسارعة إليها والعياذ بالله، وذلك يتعارض مع قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [٦] فأي مكلف أجدر بقبول هذا الأمر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم[٧]؟

١) الحلي: تذكرة الفقهاء ٤/٣١٧ – ٣١٨.

٢) صحيح ابن حبان ٦/٦.

٣) ابن حجر: تلخيص الحبير ٤/٣٢٤ – ٣٢٥.

٤) الشوكاني: نيل الأوطار ٣/٢١٣.

٥) الحلي: تذكرة الفقهاء ٤/٢٩.

٦) ال عمران: ١٣٣.

٧) الحلي: نهج الحق وكشف الصدق/١٥٤.

فإن كان الأمر كذلك فبطبيعة الحال يمكن رفض ما تردد من روايات أخرى تحاول التقليل من شأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بتصويره شخصاً يسير وفقاً لرغبات الغريزة البشرية فلا يستطيع كبح جماح نفسه أمام شهوة النساء، فقد وردت رواية تفرد بها معاوية بن صالح عن أبي كبشة إذ قال: (بينا رسول الله جالس إذ مرت به أمرأة فقام إلى أهله فخرج إلينا ورأسه يقطر ماء فقلنا يا رسول الله كأنه قد كان شيء فقال نعم مرت بي فلانة فوقع في نفسي شهوة النساء فقمت إلى بعض أهلي وكذلك فافعلوا فإنه من أماثل أعمالكم إتيان الحلال)[١].

وعلق بعضهم على ذلك أنّه صلى الله عليه وآله وسلم فعل ذلك وأظهر لتعليم غيره[٢] وذلك مردود لأن سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تتطلب أن يفعل كل شيء عملياً فربما كان القول في مثل تلك الأمور أحرى بأخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي وصفه سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[٣].

ولعل تلك الأحاديث من بين أحاديث كثيرة قد دلس محتواها وأضيف إليها ما لم يكن من حديثه صلى الله عليه وآله وسلم إذ يبدو أنّ الخبر الصحيح في ذلك ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إذا نظر أحدكم إلى المرأة الحسناء فليأت أهله فإن الذي معها مثل الذي مع تلك، فقام رجل فقال: يا رسول الله فإن لم يكن له أهل فما يصنع؟ قال: فليرفع نظره إلى السماء وليراقبه وليسأله من فضله)[٤].

---

١) الطبراني: المعجم الأوسط ٣ / ٣١١

٢) المجلسي: بحار الأنوار ٢٥٩/١٦.

٣) القلم: ٤.

٤) الكليني: الكافي ٤٩٤/٥.

في الوقت نفسه لا يمكن أن تقبل روايات تتعارض مع ما ورد آنفاً من قرائن وبراهين لتحاول أن تصرح أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قد أخر صلاته من أجل أمور دنيوية، فقد وردت رواية عن محمد بن مسلم عن عمرو بن دينار عن عطاء قال: (سمعت ابن عباس يقول: أعتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بصلاة العشاء ليلة ثم خرج ورأسه يقطر ماء فقال: لولا أن أشق على أمتي لأحببت أن أصلي هذه الصلاة لهذا الوقت) [١].

أي أنّه أخر موعد الصلاة وهذا ما تؤكده لفظياً رواية بهذا الصدد وبالإسناد نفسه بالقول: (أخر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صلاة العشاء ذات ليلة فخرج ورأسه يقطر فقال: لولا أن أشق على أمتي لجعلت وقت هذه الصلاة هذا الحين)[٢].

وفي لفظ آخر (فخرج عمر فنادى فقال الصلاة يا رسول الله قد رقد النساء والولدان) [٣] وفي رواية عن أبي الدرداء، قال: (خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورأسه يقطر ماء فصلى بنا في ثوب واحد، متوشحاً به قد خالف بين طرفيه فلما انصرف قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله! تصلي بنا في ثوب واحد؟ قال " نعم. أصلي فيه، وفيه " أي قد جامعت فيه [٤].

وفي حقيقة الحال لا يمكن استيعاب تلك الروايات السقيمة عقلاً ومنطقاً في

---

١) الصنعاني: المصنف ١/٥٥٧.

٢) ابن أبي شيبة الكوفي: المصنف ١/٣٦٦؛ البخاري: صحيح البخاري ٨ / ١٣١.

٣) الحميدي: مسند الحميدي ١/ ٢٣٠؛ البخاري: صحيح البخاري ٨ / ١٣١؛ ابن بلبان: صحيح ابن حبان ٤/٤٠٠- ٤٠٣.

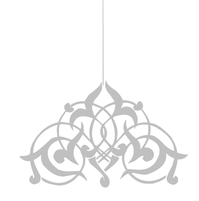
٤) ابن ماجة: سنن ابن ماجة ١/١٨٠.

أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قد قام بتأخير الصلاة أو أنّه قد صلى بثوب جامع فيه ليأتي شخص ويفقهه أُمور الدين وتعاليمه السمحاء، ثم من أين علم عمر بن الخطاب أنّ ذلك الثوب الذي صلى فيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ثوب جماع؟!.

وكيف يدعوه إلى الصلاة والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يتوانى عن ذلك؟! ألا يتعارض ذلك مع قوله تعالى: {حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} [1]؛ فمن أجدر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمحافظة على صلواته والقيام لله قانتاً؟ عليه لا يمكن تفسير تلك الروايات المخالفة لنصوص الذكر الحكيم إلاّ من خلال أبواب الافتراء التي فتحت على مصراعيها ووجدت البيئة المناسبة لها سواء أكان ذلك من سلطة النص أم نص السلطة اللتين يمكن عدّهما وجهين لعملة واحدة، أخذت دورها في الافتراء المتعمد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم قولاً وفعلاً.

---

١) البقرة: ٢٣٨.



المبحث الرابع: روايات الرقص والغناء

صرحت كثير من الروايات بموافقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الرقص والغناء، بل إنّها ذهبت إلى أبعد من ذلك عندما أوردت أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد شارك في تلك الحفلات أو أنه قد حث الناس عليها ويمكن حصرها بالآتي:

روايات موافقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الغناء في بيته والمسجد:

روى الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة (أنّ أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى تضربان بدفين ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسجى عليه بثوبه فانتهرهما فكشف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجهه فقال دعهن يا أبا بكر فإنها أيام عيد) [1].

وقيل إنّ الجاريتين من جواري الأنصار كانتا تغنيان بما تقاولت به الأنصار

1) ابن حنبل: مسند ابن حنبل ٦ /٨٤؛ مسلم: صحيح مسلم ٣ /٢٢؛ النسائي: سنن النسائي٣ /١٩٥، ١٩٧.

يوم بعاث فقال أبو بكر أبمزمور الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك في يوم عيد فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا أبا بكر إنّ لكل قوم عيداً وهذا عيدنا [١].

وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد قال لها بعد أن غفل أبو بكر: (تشتهين تنظرين فقلت نعم فأقامني وراءه خدي على خده وهو يقول دونكم يا بني أرفدة حتى إذا مللت قال حسبك قلت نعم قال فاذهبي) [٢].

وقيل كانت تنظر ورأسها على منكبه وقيل بين أُذنيه وعاتقه وأنّهم كانوا من الفرس أو الأحباش [٣].

وفي رواية أنّه صلى الله عليه وآله وسلم جعل يطأطئ ظهره حتى هي تنظر[٤] بل قيل جاء السودان يلعبون بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فدعاها فكانت تنظر من فوق عاتقه ونظرت النساء إلى ذلك [٥].

وبألفاظ أُخرى مختلفة عن عائشة أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في حجرتها يسترها بردائه وهي تنظر إلى الحبشة كيف يلعبون بالحراب، وعليه أوصت عائشة بأن يقدروا الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو[٦] وبلفظ آخر أنّه كان

---

١) البخاري: صحيح البخاري ٢ /٣؛ مسلم: صحيح مسلم ٣/ ٢١؛ ابن ماجة: سنن ابن ماجة ١/ ٦١٢.

٢) البخاري: صحيح البخاري ٢/٢ – ٣، ٣/ ٢٢٨؛ مسلم: صحيح مسلم ٢٢/٣.

٣) مسلم: صحيح مسلم ٣ /٢٢ – ٢٣.

٤) النسائي: السنن الكبرى ٥ / ٣٠٨.

٥) النسائي: سنن النسائي ١٩٥/٣.

٦) ابن راهويه: مسند ابن راهويه ٢٧٣/٢؛ ابن حنبل: مسند ابن حنبل ٦ /٨٥، ١٦٦، ٢٧٠.

يسترها بردائه والحبشة يلعبون في المسجد[١].

فزجرهم عمر فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعهم يا عمر فإنما هم بنو أرفدة [٢].

وفي رواية أنّ عائشة أطالت النظر لترى منزلتها من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يسألها أما شبعتِ وهي تقول لا حتى طلع عمر وفرق الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إني لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فروا من عمر) فرجعت عائشة[٣] وفي خبر آخر أنّ الحبشة كانوا يلعبون بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فحصبهم عمر بالحصباء فنهاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك [٤].

عند مناقشة تلك الروايات تتضح على أسانيدها حقيقة لا يجب إغفالها وهي أنّ الروايات آنفة الذكر كلّها إنما كانت مسندة إلى عائشة فهي الوحيدة التي أوردت أحاديث الرقص أو الغناء في بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو المسجد من دون بقية أزواجه أو من دون الصحابة الذين لم يكونوا بعيدين عن حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحياته الاجتماعية، ولا يعني هذا أنّ أصابع الاتهام في رواية تلك الأخبار موجهة بالضرورة إلى عائشة.

أمّا متون تلك الروايات فالتضارب والتناقض لا يكاد ينفك عنها، سيما

---

١) الصنعاني: المصنف ٤٦٥/١٠؛ البخاري: صحيح البخاري ١/ ١١٧، ١٥٩/٦؛ مسلم: صحيح مسلم ٣/ ٢٢؛ النسائي: السنن الكبرى ٥٥٣/١، ٥ /٣٠٨.

٢) النسائي: سنن النسائي ١٩٦/٣.

٣) النسائي: السنن الكبرى ٥ / ٣٠٩.

٤) ابن حنبل: مسند ابن حنبل ٣٠٨/٢؛ مسلم: صحيح مسلم ٢٣/٣.

عند التدقيق ملياً في زمان تلك الروايات ومكانها، ناهيك عن الأشخاص الذين تم إدراجهم في تلك الأخبار، فكان ذلك أحد أهم العوامل في خلخلة تركيب تلك النصوص وبالتالي عدم تقبلها.

فزمانياً كانت الجواري تدف الطبول في يوم منى حسب روايات، بينما ذكرت أخرى أنّه يوم عيد فتغنت الجواري بما تقاولت به الأنصار يوم بعاث، وفي حقيقة الحال لا يمكن الربط بين ذلك ولاسيما إذا ما عرفنا أنّ يوم بعاث هو ذلك اليوم الذي كان قد تقاتل فيه الأوس والخزرج في الجاهلية فكانوا يتقاذفون الشعر فيه هجاءً فيما بينهم، والمعروف أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد آخى بينهم وأنهى خلافهم بدخوله المدينة فأصبحوا أنصار الإسلام وعليه كيف يقوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالسماح لأحد في حضرته وهو الزعيم الديني والسياسي باستذكار تلك العداوة وإذكائها؟.

ومكانياً ارتبكت النصوص في تحديد موضع الغناء أو اللعب بالحراب ومن ثم مشاهدة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو عائشة لذلك، فتارة في داخل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتارة عند باب حجرة عائشة وتارة أخرى في المسجد، وليس هذا وحسب بل إنّ نهي أبي بكر الجواري عن الغناء، وقوله أبمزمور الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذا يعني أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان لا يتورع عن الغناء في بيته بينما كان أبو بكر أكثر ورعاً منه، وينطبق ذلك أيضاً على عمر الذي حصبهم بالحصباء فنهاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك بينما نجد ما يرد ذلك من أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد مدح عمر بقوله إني لأنظر إلى شياطين الجن والإنس قد فروا من عمر، وكيف يجيز النبي

صلى الله عليه وآله وسلم ذلك لعمر في الوقت الذي يجعل بيته مسرحاً لشياطين الجن والإنس من طرب وغناء؟!.

إنّ اختلاف الروايات للحادثة الواحدة بين أبي بكر أو عمر اللذين نهيا عن ذلك ما يدعو إلى الريبة والشك في وضع تلك الروايات، إلاّ إذا كان الرقص والغناء قد تكرر في أكثر من موضع زماناً ومكاناً في حضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهذا مردود قطعاً، لأن الروايات إنّما رويت عن شخص واحد وهي عائشة فلماذا كان ذلك ملازماً لها تحديداً؟ والإجابة على ذلك واضحة تماماً وهي إعطاء مشروعية لقبول تلك الروايات عندما تصدر عن زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما حاولت هذه الروايات أن توهم السامع أنّ لعائشة مكانة متميزة من بين أزواجه، وهذا ما حاولت إحدى الروايات إيصاله للمتلقي بأن عائشة أطالت النظر للمشاهدة لترى منزلتها عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولذلك نلاحظ تفاوت الروايات بالكيفية التي كانت تنظر خلالها، فتارة كانت تنظر ورأسها على منكبه وقيل بين أُذنيه وعاتقه، وفي رواية أنّه صلى الله عليه وآله وسلم جعل يطأطئ ظهره حتى تنظر بل قيل دعاها فكانت تنظر من فوق عاتقه أو يسترها بردائه، ثم عن وصية عائشة بأن يقدروا الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو إنما هي بمنزلة رفض للرواية فكيف يكون بيت النبي موضعاً للغناء واللهو؟ وكيف تكون زوجه حريصة على ذلك؟ وكيف يقبل هو بذلك؟ وإذا أهملنا ذلك كلّه، فإن المتناقض الذي لا يقبل شك هو السؤال الآتي: هل أسس النبي صلى الله عليه وآله وسلم المسجد لإقامة الأُمور العبادية ونشر تعاليم الدين الحنيف وإدارة شؤون المسلمين أم أسسه للرقص والغناء والطرب؟!.

روايات اشتراك النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الحفلات والحث عليها:

عن الربيع بنت معوذ قالت: (دخل علي النبي صلى الله عليه وآله وسلم غداة بنى علي فجلس على فراشي كمجلسك مني وجويريات يضربن بالدف يندبن من قتل من آبائهن يوم بدر حتى قالت جارية وفينا نبي يعلم ما في غد فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا تقولي هكذا وقولي ما كنت تقولين) [١].

وأورد أحد الرواة وهو أبو الحسين خالد المدني ذلك الخبر بأنه كان في المدينة يوم عاشوراء فسمع الجواري يضربن بالدف ويتغنين فدخل على الربيع بنت المعوذ فقالت: (دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم صبيحة عرسي وعندي جاريتان يتغنيان وتندبان آبائي الذين قتلوا يوم بدر، وتقولان، فيما تقولان: وفينا نبي يعلم ما في غد فقال " أما هذا، فلا تقولوه، ما يعلم في غد إلا الله ") [٢].

وفي رواية أنس بن مالك أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم مر بجوارٍ في المدينة يضربن بالدف ويتغنين بالقول:

نحن جوار من بني النجار   يا حبذا محمد من جار

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: " الله يعلم إني لأحبكن " [٣].

وفي رواية عن الأجلح عن أبي الزبير عن ابن عباس قال: (أنكحت عائشة ذات قرابة لها من الأنصار، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال " أهديتم الفتاة؟ " قالوا: نعم، قال " أرسلتم معها من يغني؟ " قالت: لا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم " إن الأنصار قوم فيهم غزل، فلو بعثتم

١) البخاري: صحيح البخاري ٥/١٥، ٦ /١٣٧.

٢) ابن ماجة: سنن ابن ماجة ١/٦١١؛ الطبراني: المعجم الكبير ٢٤/٢٧٣ – ٢٧٤.

٣) ابن ماجة: سنن ابن ماجة ١ / ٦١٢.

معها من يقول: أتيناكم، أتيناكم، فحيانا وحياكم "[١]

إنّ نظرة سريعة لتلك الروايات تضع الكثير من علامات الاستفهام على تلك المرويات. فالرواية الأولى أشارت إلى أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أمر الجواري بترك ما كن يتغنين به من علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم للغيب وحثهن على الاستمرار بالذي كن يقلن به وهو الغناء، بينما الرواية الثانية اختلفت في ذلك لفظاً ومعنى وكان قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أما هذا فلا تقولوه ما يعلم في غد إلا الله من غير أن يشير إلى استمرارية الغناء، والملاحظ أنّ كلتا الروايتين وردتا عن الربيع بنت المعوذ في زمان ومكان واحد وهو يوم بنى عليها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليه لا داعي لاختلاف لفظ الرواية ومعناها إلا إذا كان قد تصرف الرواة فيها زيادة ونقصاً، وهذا ما نجده في بعض المفردات.

ففي الرواية الأولى يندبن من قتل من آبائهن يوم بدر أمّا الرواية الثانية يتغنيان وتندبان آبائي، ناهيك عن أنّ المناسبة هي زواجها الذي يستلزم حالة الفرح لا الندب والبكاء! ثم أن يتلاءم ذلك مع يوم عاشوراء فهذا أيضاً مثار شك وريبة وربما كان للأمويين دور مهم في دس أخبار كهذه لأنه من الأيام التي كان يفرح بها بنو أمية.

أمّا الرواية الثالثة فهي مثيرة للسخرية فكيف يمكن أن يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم للجواري المغنيات إنّ الله يعلم إني لأحبكن؟ وهل يتلاءم ذلك مع سيرته العطرة ومقام النبوة؟

وكيف يمكن قبول ما جاء في الرواية الرابعة من أنّ النبي صلى الله عليه وآله

---

١) ابن ماجة: سنن ابن ماجة: ٦١٢/١ – ٦١٣.

وسلم كان يحث على إرسال المغنيات في الأعراس وقوله إن الأنصار قوم فيهم غزل؟ بل إنّه ينشد الأغاني ويقول أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم! ولا ريب أنّ ذلك كلّه إنّما كان افتراءً على النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأنصار أيضاً وتسويغاً لما فعله بعض الحكام فيما بعد من رقص ومجون مع الجواري والمغنيات، فوضعت تلك الروايات للتغطية على أفعالهم المشينة.

إن الأدلة القرآنية تنافي روايات الرقص والغناء وتنقضها سواء أكان ذلك في بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومسجده أم مشاركته في ذلك والحث عليه، قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [١] وفسر بعض أهل التأويل تلك البيوت بأنّها المساجد[٢] وفسرها آخرون بأنّها بيوت النبي [٣] وسواء أكانت هذه أم تلك، كيف تكون تلك البيوت مسرحاً لمواطن اللهو والطرب؟.

أمّا قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [٤] فقد قيل في تفسير لهو الحديث إنّه الغناء واشتراء المغني والمغنية بالمال والاستماع إليهم وإلى مثله من الباطل[٥] وعن ابن عباس وابن مسعود ومجاهد أنّ لهو الحديث هو الغناء، وهو المروي عن أبي جعفر

---

١) النور: ٣٦.

٢) الصنعاني: تفسير القرآن ٣/٦٠؛ الطبري: جامع البيان ١٨/١٩١؛ السمرقندي: تفسير السمرقندي ٢/٥١٤؛ الثعلبي: تفسير الثعلبي ٣/١١٥.

٣) ابن أبي حاتم: تفسير ابن أبي حاتم ٨ / ٢٦٠٤؛ السيوطي: الدر المنثور ٥/٥٠.

٤) لقمان: ٦.

٥) تفسير مجاهد ٢/٥٠٣؛ سفيان الثوري: تفسير الثوري / ٢٣٨؛ الصنعاني: تفسير القرآن ٣/١٠٥.

الصادق عليه السلام أيضاً[١] وسأل ابن مسعود عن تفسير الآية فقال الغناء والذي لا إله إلاّ هو وكان يرددها ثلاث مرات[٢] هذا إلى جانب قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنْ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ ﴾[٣] فالخطاب القرآني في هذه الآية موجه للشيطان، وصوته هنا هو: اللهو والغناء والمزامير[٤] وكلها محظورة لأنّها من صوت الشيطان[٥].

أمّا تناقض ذلك مع السنة النبوية فالشواهد كثيرة، منها ما روي عن ابن عمر أنّه سمع صوت طبل فأدخل إصبعيه في أذنيه، ثم تنحى، حتى فعل ذلك ثلاث مرات، ثم قال: (هكذا فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)[٦].

وفي باب كراهية الغناء والمزامير وحرمتها عن نافع قال: (سمع ابن عمر مزماراً، قال: فوضع إصبعيه على أذنيه، ونأى عن الطريق، وقال لي: يا نافع هل تسمع شيئاً؟ قال: فقلت: لا، قال: فرفع إصبعيه من أذنيه، وقال: كنت مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسمع مثل هذا، فصنع مثل هذا)[٧].

أمّا إذا قيل إنّ ذلك جائز في الأعياد، فهذا مردود عن الشعبي عن البراء إذ قال: (سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخطب فقال إن أول ما نبدأ به من

١) الطوسي: التبيان ٢٧١/٨.

٢) الطبري: جامع البيان ٧٤/٢١؛ النحاس: معاني القرآن ٢٧٧/٥.

٣) الإسراء: ٦٤.

٤) الطبري: جامع البيان ١٤٧/١٥؛ النحاس: معاني القرآن ١٧٢/٤؛ القرطبي: تفسير القرآن ٥١/١٤.

٥) الجصاص: أحكام القرآن ٢٦٦/٣.

٦) ابن ماجة: سنن ابن ماجة ٦١٣/١

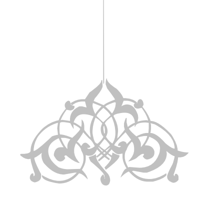
٧) أبو داود: سنن أبي داود٤٦١/٢؛ الجصاص: أحكام القرآن٣٦٣/٢؛ البيهقي: السنن الكبرى١٠/ ٢٢٢.

يومنا هذا أن نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعل فقد أصاب سنتنا) [١] وهذا خلاف ما روي في روايات الرقص والغناء آنفة الذكر من أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال دعهن يا أبا بكر فإنها أيام عيد أو يا أبا بكر إنّ لكل قوم عيداً وهذا عيدنا.

ويعضد ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (الغناء ينبت النفاق في القلب)[٢] فكيف يتلاءم ذلك مع سُنّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكيف يحث النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الغناء وهو ينهى عنه؟ يعزز ذلك ما روي عن الإمام علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (تمسخ طائفة من أمتي قردة وطائفة خنازير ويخسف بطائفة ويرسل على طائفة الريح العقيم بأنهم شربوا الخمر ولبسوا الحرير واتخذوا القيان وضربوا بالدفوف[٣] فأين ذلك من ضرب الدفوف بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟ وأين ذلك من رسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي أفصح عنها بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إنّ الله عز وجل بعثني هدى ورحمة للعالمين وأمرني بمحق المعازف والمزامير...)[٤].

وعليه فإن ما تردد من روايات الرقص والطرب والغناء بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنما هو افتراء أريد منه الانتقاص من شخص النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولإعطاء مشروعية لمن جلسوا على منبره الشريف فيما بعد فدنسوه بمجونهم وفسقهم.

١) البخاري: صحيح البخاري ٢/٣.
٢) أبو داود: سنن أبي داود ٢/٤٦٢.
٣) السيوطي: الدر المنثور ٢/٣٢٤؛ المتقي الهندي: كنز العمال ١٥/٢٢٣.
٤) أبو داود الطيالسي: مسند أبي داود الطيالسي/١٥٥؛ ابن حنبل: مسند ابن حنبل ٥/٢٦٨؛ الطبراني: المعجم الكبير ٨/١٩٧.



المبحث الخامس: إهداء الخمر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم

صرحت بعض الرويات أنّ الخمرة قد أهديت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولكنه رفضها لأنها قد حرمت، وهذا يعني أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قد شربها فيما مضى قبل نزول الآيات القرآنية بتحريمها، وقد ورد ذلك بروايتين رئيستين:

رواية تميم الداري

عن عبد الرحمن بن غنم أن تميم الداري (كان يهدى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل عام راوية من خمر فلما كان عام حرمت فجاء براوية فلما نظر إليه نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم قال هل شعرت أنّها قد حرمت بعدك قال يا رسول الله أفلا أبيعها فانتفع بثمنها فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعن الله اليهود انطلقوا إلى ما حرم عليهم من شحوم البقر والغنم فأذابوه فجعلوه ثمناً له فباعوا به ما يأكلون وأنّ الخمر حرام وثمنها حرام وأنّ الخمر حرام وثمنها حرام وأنّ الخمر حرام وثمنها حرام) [1].

١) ابن حنبل: مسند ابن حنبل ٤/٢٢٧؛ الزيلعي: نصب الراية ٤/٥٤٨؛ الهيثمي: مجمع الزوائد ٤/٨٨؛ ابن حجر: فتح الباري ٨/٢٠٩.

من الواضح أنّ الرواية أشارت إلى أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يشرب الخمر قبل زمان تحريمها، وهذا يدعو إلى دراسة كل من شخصية تميم الداري وكذلك قضية تحريم الخمر وزمانها.

فتميم الداري يكنى أبا رقية وهو تميم بن أوس بن خارجة بن سود بن جذيمة ابن دارع بن عدي بن الدار بن هانئ بن حبيب بن نمارة بن لخم بن كعب، وقيل وفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه أخوه نعيم بن أوس وانتقل إلى الشام بعد قتل عثمان بن عفان [١] وكان إسلامه متأخراً إذ كانت وفادته على النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع الداريين من اليمن وكانوا عشرة أشخاص فأسلموا سنة تسع للهجرة [٢] وذلك عند منصرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تبوك [٣] وكان يحدث بالقصص في زمن عمر قيل استأذنه وقيل إنّ عمر أمره بذلك فكان يقص على المسلمين في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في يوم السبت من كل أُسبوع، وهو أول من حدث بالقصص وكان لا يحدث بها في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستمر على ذلك في عهد عثمان ومعاوية الذي رسخ مبدأ القصص أثناء حربه مع الإمام علي عليه السلام [٤].

وعليه فإن حديث الداري عن الجساسة أو الدجال وكيفية أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد استشهد بحديثه عند المسلمين كما ذكرت بعض الروايات[٥] لا

---

١) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧ / ٤٠٨ – ٤٠٩؛ خليفة بن خياط: طبقات خليفة /١٢٩.

٢) ابن قتيبة: المعارف/ ٢٩١؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ٦١١/٣.

٣) ابن الأثير: أسد الغابة ٢٦٩/١.

٤) ابن شبة النميري: تاريخ المدينة ١ /١٠ – ١٢.

٥) ابن حنبل: مسند ابن حنبل ٣٧٣/٦؛ مسلم: صحيح مسلم ٢٠٤/٨؛ المسعودي: أخبار الزمان/١٢٢؛ ابن كثير: البداية والنهاية ١٠٢/٥.

يعول عليه وهو من الأساطير، لأن تميم الداري لم يكن يسمح له بالقصص في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما ورد آنفاً.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن تأريخ إسلام تميم الداري متأخر أي في السنة التاسعة للهجرة ولا يتوافق مع تأريخ تحريم الخمر بمراحله الثلاث، إذ ذكر عبد الله بن عمر أنّ الله سبحانه أنزل ثلاث آيات في تحريم الخمر فكان أول ما أنزل قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ﴾ (١)، ثم نزلت هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ (٢) ثم نزلت ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣) فكان تحريم الخمر بشكله النهائي والقطعي (٤) ومن حديث جابر بن عبد الله الأنصاري أنّ زمان تحريم الخمر كان حين خرج المسلمون يوم أحد إلى القتال(٥) وقيل غير ذلك أي أنّها حرمت سنة ثلاث وقيل أربع وقيل سنة ست أو عام الفتح سنة ثمان للهجرة(٦) ومهما يكن من الاختلاف في زمن تحريمها فإن ذلك يعارض تأريخ إسلام تميم الداري وهو سنة تسع للهجرة، وينافي الرواية نفسها من أنّه كان يهدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم راوية خمر كل عام، فكيف كان يهديه ذلك وهو لم يلتق به أو يسلم على يديه؟ وعليه تسقط مصداقية حديث الداري.

١) البقرة: ٢١٩.

٢) النساء: ٤٣.

٣) المائدة: ٩٠.

٤) الطبري: جامع البيان ٢/٤٩١ – ٤٩٢؛ ابن كثير: تفسير ابن كثير ٢/٩٦.

٥) السيوطي: الدر المنثور ٢/٣١٧

٦) ابن حجر: فتح الباري ١٠/٢٥؛ الحلبي: السيرة الحلبية ٢ /٧٢٤.

رواية كيسان

قال ابن لهيعة عن سليمان بن عبد الرحمن الحارثي إنّ (نافع بن كيسان أخبره أنّ أباه كيسان كان يتجر في الخمر في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقدم من الشام بخمر في زقاق فقال يا رسول الله إني قدمت بشراب جيد فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا كيسان إنّها قد حرمت بعدك فقال يا رسول الله أفأذهب فأبيعها؟ قال إنها قد حرمت وحرم ثمنها، فانطلق كيسان بالزقاق فأخذ بأرجلها وأهراقها) [١].

أمّا كيسان فهو شخصية غامضة إذ لم نقف على تأريخ إسلامه، وذكره ابن خياط بين من لم يحفظ له نسبه من حمير وذكره بكنيته أبي نافع[٢] وهو كما نسبه البخاري ومن تبعه كيسان بن عبد الله بن طارق [٣] اليماني الشامي قيل إنّ له صحبة وكان تاجراً في الخمور في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلما حرمت الخمور نهاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن المتاجرة بها [٤].

والظاهر أنّ ذلك الخبر قد دلس من قبل الرواة فأُضيف له قوله للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: إني قدمت بشراب جيد فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا كيسان إنّها قد حرمت بعدك، فقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يعني بالضرورة أنّه كان يقبل منه الشراب قبل ذلك الحين بل فيه تشديد على تحريم الخمر والمتاجرة بها.

١) البخاري: التاريخ الكبير ٧ /٢٣٣؛ الطبراني: المعجم الأوسط ٣ /٢٧٣ – ٢٧٤؛ الزيلعي: نصب الراية ٤/٥٤٨؛ الهيثمي: مجمع الزوائد ٤/٨٨ – ٩٠.

٢) طبقات خليفة /٢١١.

٣) البخاري: التاريخ الكبير ٧ /٢٣٣؛ ابن عبد البر: الاستيعاب ٣/١٣٣٠؛ ابن حجر: الإصابة ٥/٤٦٩.

٤) ابن عساكر: تاريخ دمشق ٥٠/٢٧٦.

وما يؤيد ذلك أنّ خبر كيسان قد ورد في مصادر أخرى[١] ولم ترد فيه تلك الزيادة المذكورة من إهداء الخمرة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، لأن سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم خالية من أي رجس قال تعالى: { إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا }[٢].

وإذا كانت آية التطهير هذه قد نفت الرجس عن أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فمن المحال أن يعاقر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الخمر وهي من الرجس بدليل قوله تعالى: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }[٣] وقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (شارب الخمر كعابد الوثن، وشارب الخمر كعابد اللات والعزى)[٤] فيه الجزم على عدم اقترابه صلى الله عليه وآله وسلم من الموبقات.

ثم إنّه صلى الله عليه وآله وسلم قد نفى ذلك كلّه عنه بقوله: (أول ما نهاني ربي عن شرب الخمر وعبادة الأوثان وملاحاة الرجال)[٥].

أمّا المغزى الذي من أجله وضعت تلك الروايات فهي لتسويغ شرب الخمر من قبل بعض الصحابة على الرغم من نزول الآيات القرآنية بتحريمها، وإن كان ذلك بشكل تدريجي، إلا أنّ ذلك لا يمنع من أنها كانت محرمة منذ نزول آية

---

١) الضحاك: الآحاد والمثاني ٩٩/٥؛ ابن أبي حاتم: الجرح والتعديل ٧ / ١٦٥؛ ابن الأثير: أسد الغابة ٢٥٧/٤؛ المتقي الهندي: كنز العمال ٥ /٤٩٥.

٢) الأحزاب: ٣٣.

٣) المائدة: ٩٠.

٤) الصنعاني: المصنف ٢٣٧/٩؛ السيوطي: الدر المنثور ٣٢٦/٢.

٥) أبن أبي شيبة الكوفي: المصنف ٥٠٩/٥، ٨/ ٣٥١؛ الذهبي: ميزان الاعتدال ٢٩١/٣؛ الهيثمي: مجمع الزوائد ٥٣/٥؛ السيوطي: الجامع الصغير ٤٣٣/١.

التحريم الأولى وهذا ما جعل بعض المسلمين يجادلون النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها[١].

إنّ صعوبة إدراك تلك الآيات وربما عدم تقبلها جعل بعضهم يختلق الحجج ولذلك نزلت آيات قرآنية أكثر تخصيصاً في تحريمها، يؤيد ذلك ما روي عن عمر ابن الخطاب لما نزل تحريم الخمر قال: (اللهم بَيّن لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت هذه الآية التي في سورة البقرة يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير قال فدعي عمر.... فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت الآية التي في سورة النساء يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فكان منادي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أقام الصلاة نادى أنْ لا يقربن الصلاة سكران فدعي عمر... فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت الآية التي في المائدة فدعي عمر... فقرئت عليه فلما بلغ فهل أنتم منتهون قال فقال عمر.... انتهينا انتهينا) [٢].

ومع أن أهل التأويل اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فمنهم من جعلها بسبب كان من عمر بن الخطاب، ومنهم من قال بل في سعد بن أبي وقاص[٣] فإن نزول آية تحريم الخمر الثالثة ثم قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ

١) الطبري: جامع البيان ٢/٤٩١ – ٤٩٢؛ ابن كثير: تفسير ابن كثير ٢/٩٦.

٢) ابن حنبل: مسند ابن حنبل: ١/٥٣؛ الترمذي: سنن الترمذي ٤/٣٢٠؛ النسائي: السنن الكبرى ٣/٢٠٢ – ٢٠٣، سنن النسائي ٨ / ٢٨٦ – ٢٨٧؛ ابن عطية الأندلسي: المحرر الوجيز ١/٢٩٤؛ العيني: عمدة القاري ٢١/١٦٣؛ السيوطي: الدر المنثور ١/٢٥٢.

٣) الطبري: جامع البيان ٧/٤٤ – ٤٦؛ ابن العربي: أحكام القرآن ٢/١٦٣ – ١٦٤؛ الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ٤/١٣٨ – ١٣٩.

وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنْ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ } [(١)] ثم دعوة عمر لقراءتها عليه وقوله (انتهينا انتهينا) فإن هذا إنّما يدل على خصوصية تلك الآية بعمر وكذلك شربه للخمر [(٢)] مع أن التحريم النهائي كان في وقت متقدم، وربما كان سنة ثلاث أو أربع من الهجرة.

وعلى الرغم من اعتراض ابن حجر على ذلك التأريخ من باب أن أنس بن مالك الذي كان ساقي القوم عندما جاء منادي رسول الله بتحريم الخمر كان صغيراً[(٣)] إلا أن ذلك لا ينافي أن تأريخ تحريمها كان متقدماً، بل على العكس يؤكد ذلك بدلالة حديث أنس نفسه إذ قال: (بينما أنا قائم على الحي وأنا أصغرهم سناً على عمومتي إذ جاء رجل فقال إنها قد حرمت الخمر وأنا قائم عليهم أسقيهم) [(٤)] وهذه الآية هي التي عناها أنس في مسألة تحريم الخمر بشكله القطعي[(٥)].

وعليه فإن شرب بعضهم الخمر، على الرغم من تحريمها كان أحد الأسباب الرئيسة لوضع مثل تلك المرويات فهذا يخلق مقبولية وتسويغاً لأفعالهم عند عامة المسلمين.

ولا يمكن أنْ يغض الطرف عن سياسة اللهو وشرب الخمر عند بعض الحكام الأمويين والعباسيين إلا عن طريق دس مرويات كهذه في سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى لا ينفر الناس من أفعالهم الماجنة.

---

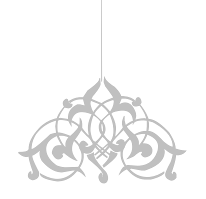
١) المائدة: ٩١.

٢) المباركفوري: تحفة الأحوذي ٨/٣٣٠.

٣) ابن حجر: فتح الباري:١٠/٢٥.

٤) النسائي: سنن النسائي ٨ / ٢٨٧؛ وينظر ابن كثير: تفسير ابن كثير ٢/٩٦؛ العيني: عمدة القاري ١٨/٢١٢.

٥) الحلبي: السيرة الحلبية ٢/ ٧٢٥.



الخاتمة

إن فكرة الدراسة الموسومة (الافتراءات على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم) هي دراسة نقدية للروايات الإسلامية متأتية من حاضر ملموس وهو الإساءة لمقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم من بعض المغرضين الغربيين ومن سار على نهجهم عن طريق عرض أفلام تاريخية على شبكة المعلومات الدولية (الأنترنت) وغيرها، إذ جسدت تلك الأفلام الإساءة بكل صورها المادية والمعنوية، والمتمعن في مصادر تلك الإساءات يلحظ أنّهم قد استندوا إلى نوعين من المصادر الإسلامية بصورة أساسية كان الأول القرآن الكريم وبلا أدنى شك فإنّهم حاولوا جاهدين تحريف وتأويل الآيات القرآنية محاولين قولبة نصوصه وتحريفها بما يخالف الحقيقة والواقع، أمّا المصدر الثاني الذي اعتمدوا عليه فهو مصادر إسلامية سيما مصادر السيرة النبوية وكتب الحديث عموماً والصحاح خصوصاً، فقد استخدمت تلك الروايات والأحاديث الواردة فيها بغير تحريف فيها لسبب بسيط جداً وهو أن بعضها كان يطعن بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم تارة بصورة مباشرة وتارة

أخرى بشكل معنوي غير مباشر فلم يعانِ من تعمد الإساءة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم من الغربيين أن يجهد نفسه ليحرف تلك النصوص لأنها كانت جاهزة ومقولبة بما يخدم غرض المفترين، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فالافتراءات التي استخدمت للطعن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي موجهة بالأساس للإسلام وحري بنا أن نوجه النقد لما ورد في مصادرنا الإسلامية من روايات اختلط فيه الغث والسمين فمنها انطلق الافتراء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم قديماً لرواسب قبلية أو سياسية أو مذهبية ومنها أيضاً انطلق الافتراء حديثاً من قبل أعداء المسلمين من يهود أو نصارى فألزمونا بما ألزمنا به أنفسنا، فالدراسة دعوة للانتفاض على كل الروايات الزائفة والمحرفة وسواء كان الافتراء مقصوداً أو من جهلة القوم الذين لم تغربل رواياتهم فملأت الآفاق وأصبحت تلك الترهات حقائق مسلماً بها.

ومن هنا جاءت فكرة البحث هذه لرد الافتراءات عن مقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، مع الإشارة إلى أنّه لم يتم دراسة آراء المستشرقين بغية عدم التكرار أولاً ولاختلاف نطاق هذه الدراسة عن مرمى الهدف المنشود آنفاً ثانياً والوصول إلى منابع تلك الافتراءات التي نهل من معينها أولئك المغرضون ثالثاً.

الجدير بالذكر أنّ دراسة موضوع الافتراء واسع جداً ولكن مالا يدرك كله لا يترك جله، فموضوع الافتراء لم ينحصر في جانب معين بل أخذ جوانب متعددة ومختلفة منها الجانب القبلي وهو ما تمثل بصراع المشركين من قريش سيما الأمويين منهم، والجانب السياسي وهو الصراع على مؤسسة الخلافة ذلك المنصب الدنيوي الذي جر معه الويلات على تأريخ المسلمين في الماضي منذ قبيل وفاة النبي صلى

الله عليه وآله وسلم وامتدت آثاره ورواسبه إلى الحاضر، والجانب الديني أو المذهبي سواء تمثل ذلك بصراع اليهود مع المسلمين بعد البعثة النبوية وما تلاها أو الصراع المذهبي بين المسلمين أنفسهم بغية إثبات أحقية صحة كل مذهب فجاء كل ذلك على حساب نصوص التشريع من القرآن والسنة ليتم تأويلهما حسب فهم كل طائفة فكرست بذلك سلطة النص بالإضافة إلى نص السلطة وهذا ما انعكس سلباً على سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والافتراء عليه لخلق مشروعية لتلك الأهداف.

احتوت هذه الدراسة على أربعة فصول سبقتها مقدمة وتلتها خاتمة، كان الأول دراسة في مفهوم الافتراء ونشأته، أمّا الفصل الثاني هو المدخل المباشر لدراسة راويات الافتراء بصورتيه الظاهرة والمبطنة.

أما الفصل الثالث فقد تناول مسألة التشكيك بالنبوة والطعن في القرآن وخصص الفصل الرابع للافتراءات التي طعنت في عصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنها نسيانه لآيات من القرآن فتم دراسة تلك الروايات وتم عرضها على نصوص القرآن الكريم لمعرفة مدى توافقها أو معارضتها لها، وكذا كان الحال بالنسبة لقضية سهو النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصلاة وكذلك مسألة نسيانه صلى الله عليه وآله وسلم غسل الجنابة في الصلاة، وليس هذا فحسب بل كانت روايات الرقص والغناء باختلاف زمانها ومكانها حاضرة في الدراسة فتم إيضاح السبب في وضعها، وكذلك تعرض البحث إلى الافتراء الغير مباشر وهو قضية إهداء الخمر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكان لابد من التطرق إلى مسألة تحريم الخمر بمراحلها التدريجية للوقوف على بيان أمر تحريمها ومن ثم معرفة

الأسباب الموجبة لهكذا طعن والغاية منها، وتم إيراد النصوص القرآنية لمعالجة وهن تلك الروايات جميعاً.

كانت أهم المصادر المعتمدة في الدراسة المصدر الأول للتشريع عند المسلمين ألا وهو القرآن الكريم إذ كان مصدراً أساسياً لا يمكن الاستغناء عنه وأفاد الباحث منه بعرض كل الروايات على مقياسه فكان بحق المعيار الذي أضعف كل الروايات السقيمة، أما المصادر الأخرى فهي مختلفة ومتعددة ولا يسعنا ترجيح بعضها على بعض فكانت مكملة الواحد للآخر وأثرت الدراسة بمعلومات قيّمة فجاءت بالنهاية لتكون ثمرة الجهد لإنجاز هذه الدراسة المتواضعة، ولكن ينبغي التنويه إلى حقيقة يجب عدم إغفالها وهي إن معظم الروايات التي اشتملت عليها الدراسة قد أُخذت بالدرجة الأولى من كتب الحديث سيما مسند ابن حنبل وصحيحي البخاري ومسلم إذ لا يكاد يخلو موضع إلا وكان لها حضورٌ فيه.

أما النتائج التي توصلت إليها الدراسة فهي باختصار كالأتي:

١) لم تكن قضية الافتراء على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالنسبة لحظر الحديث قد بدأت بوادرها منذ زمن معاوية، بل كان ذلك منذ قبيل وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو ما عرف برزية يوم الخميس إذ منع عمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو شكك في أنْ يدون حديثه ووصيته للأمة الإسلامية فقيل إنّ النبي يهجر وبعد وفاته منعت رواية الحديث رسمياً من السلطة وسار الحكام على ذلك إلى عهد الإمام علي عليه السلام.

٢) إنّ رواية شق صدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم رواية مفتعلة كان القصد منها تأييد بعض العقائد الفاسدة والطعن بصدق القرآن وعصمة النبي صلى

الله عليه وآله وسلم وهي أسطورة أصلها جاهلي الغاية منها أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنسان عادي فإن لم يكن قد نزل عليه الوحي لكان نزل على شخص آخر.

٣) أوضحت الدراسة أنّ روايات رعاية النبي صلى الله عليه وآله وسلم الغنم إنّما محض ادعاء كان مصدرها أبا هريرة والزهري والاثنان كانا من أعوان الحكم الأُموي والمتزلفين لهم.

٤) إنّ روايات أكل النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحرام وما ذبح على النصب كان المغزى منها سياسياً بالدرجة الأولى، فإذا ما عرفنا أنّ زيد بن عمرو بن نفيل هو ابن عم عمر بن الخطاب عرفنا المغزى المبطن من الرواية.

٥) أمّا روايات بعد البعثة فكانت أعظم بلاءً في الافتراء ومنها أُسطورة الغرانيق التي طعنت بالنبوة والقرآن الكريم وعصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على حد سواء عن طريق زيادة آيات فيه فكان مصدرها أيضاً أبي هريرة والزهري اللذين ثبت بطلان رواياتهما.

٦) كانت روايات نسيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم آيات من القرآن الكريم محاولة لخلق تضاد نصي بين مصدري التشريع القرآن والسنة النبوية.

٧) نسب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم السهو في الصلاة وهذا مالم يثبت لأن أبا هريرة الذي أسلم عام خيبر في السنة السابعة للهجرة بلا خلاف لم يدرك ذلك الشخص وهو ذو اليدين الذي نسبت له تلك الرواية لأنه استشهد في معركة بدر ولم يكن أبو هريرة قد أدرك الإسلام بعد.

٨) ثبت بما لا يقبل الشك أنّ الروايات التي نسبت إلى النبي صلى الله عليه

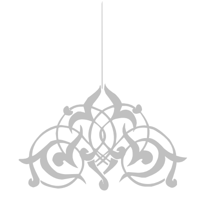
وآله وسلم نسيان غُسل الجنابة هي افتراءات باطلة موضوعة فتم رفض مصداقيتها وعدم التعويل عليها.

٩) من الروايات المثيرة للسخرية في سذاجتها موافقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الغناء في بيته أو المسجد واشتراكه في الحفلات والحث على الغناء، وثبت يقيناً تنزيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك.

١٠) أثبتت الدراسة تنزيه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من شرب الخمر قبل البعثة أو إهدائها إليه بعدها، وكان القصد من تلك المفتريات هو شرب الخمر من قبل بعض الصحابة أثناء حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعد وفاته على الرغم من نزول آيات تحريم الخمر.

هذا وقد أثبت الباحث كثيراً من النتائج المدرجة في خاتمة الدراسة ولا يسعه ذكرها جميعاً في هذا المقام..

والسلام عليكم ورحمة الله.



المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

القرآن الكريم

الآلوسي، محمود بن عبد الله (ت ١٢٧٠ هـ/١٨٥٣م).

١. تفسير الآلوسي، د.م، د.ت.

ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي (ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٢م).

٢. أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتاب العربي - بيروت - د ت.

٣. الكامل في التاريخ، دار صادر - بيروت ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.

٤. اللباب في تهذيب الأنساب، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت- د ت.

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد (ت ٦٠٦ هـ/١٢٠٩م).

٥. النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: محمود محمد الطنماحي، ط٤، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع قم - د ت.

ابن إسحاق، محمد (ت ١٥١ هـ/٧٦٨م)

٦. السير والمغازي، تحقيق: محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف - دت.

الأصبهاني، موفق الدين أبو القاسم إسماعيل (ت ٥٣٥ هـ /١١٤٠م)

٧. دلائل النبوة، تحقيق: مساعد بن سليمان الراشد الحميد، دار العاصمة، د. ت.

ابن أعثم الكوفي، أحمد (ت ٣١٤ هـ/٩٢٦م)

٨. الفتوح، تحقيق: علي شيري، ط١ دار الأضواء، بيروت ١٤١١هـ.

الأنصاري الهروي، عبد الله بن محمد بن علي (ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م)

٩. ذم الكلام وأهله، تحقيق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، ط١، المدينة المنورة ١٤١٨هـ/١٩١٨م.

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم (ت ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ م)

١٠. الأدب المفرد، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت - لبنان١٤٠٦ – ١٩٨٦م.

١١. التاريخ الصغير، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، ط١، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٦هـ.

١٢. التاريخ الكبير، المكتبة الإسلامية – ديار بكر – تركيا د ت.

١٣. صحيح البخاري، دار الفكر - ١٤٠١هـ /١٩٨١م.

١٤. الضعفاء الصغير، تحقيق:محمود إبراهيم زايد، ط١، دار المعرفة، بيروت - ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

البرقي، أحمد بن محمد بن خالد (ت بعد ٢٧٠ هـ/ بعد ٨٨٣ م)

١٥. المحاسن، تحقيق: جلال الدين الحسيني، ط١ دار الكتب الإسلامية، طهران١٣٧٠هـ.

البغوي، الحسين بن مسعود بن الفراء (ت ٥١٠هـ/ ١١١٧م)

١٦. تفسير البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، دار المعرفة، بيروت د. ت.

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ/٨٩٢م)

١٧. أنساب الأشراف، تحقيق وتعليق: الشيخ محمد باقر المحمودي، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

ابن بلبان، علاء الدين علي الفارسي (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م)

١٨. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، مؤسسة

الرسالة، ١٤١٤هـ /١٩٩٣م.

البهوتي، منصور بن يونس (ت ١٠٥١ هـ/١٦٤١م)

١٩. كشف القناع عن متن الإقناع، تحقيق: محمد حسن إسماعيل الشافعي؛ تقديم: كمال عبد العظيم العناني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

البيهقي، أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨ هـ/١٠٦٥م)

٢٠. السنن الكبرى، دار الفكر د ت.

٢١. معرفة السنن والاثار، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية بيروت – دت.

الترمذي، أبو عيسى محمد بن سورة بن عيسى (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)

٢٢. السنن، تحقيق وتصحيح: عبد الرحمن محمد عثمان، ط٢ دار الفكر بيروت – ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٢٣. علل الترمذي (شفاء العلل)، ط٢، دار الفكر، بيروت ١٤٠٣هـ.

الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٧٥ هـ/١٤٧٠م)

٢٤. تفسير الثعالبي المسمى (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، تحقيق: د. عبد الفتاح أبي سنة وآخرين، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان١٤١٨م.

الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد (ت ٤٢٧هـ /١٠٣٥م)

٢٥. تفسير الثعلبي ، تحقيق:أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان١٤٢٢ هـ/٢٠٠٢م.

الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٣٧٠هـ/٩٨٠ م)

٢٦. أحكام القرآن، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان١٤١٥هـ / ١٩٩٥م

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧ هـ/١٢٠٠م)

٢٧. زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله، ط١، دار الفكر، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢٨. الموضوعات، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، ط١، المدينة المنورة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣ هـ/١١٠٢م)

٢٩. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، ط٤ دار العلم للملايين بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

ابن حاتم العاملي، جمال الدين يوسف (ت ٦٦٤ هـ/١٢٦٥م)

٣٠. الدر النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم، مؤسسة النشر الإسلامي قم - د ت.

ابن أبي حاتم، محمد بن عبد الرحمن (ت ٣٢٧ هـ/٩٣٨م)

٣١. تفسير ابن أبي حاتم، تحقيق: محمد سعيد الطيب، مطبعة صيدا — المكتبة العصرية د.ت.

٣٢. الجرح والتعديل، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن، الهند ١٣٧٢هـ/١٩٥٢م.

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧هـ / ١٦٥٧م)

٣٣. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت— لبنان د.ت.

الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥ هـ/١٠١٤م)

٣٤. المستدرك على الصحيحين، إشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة بيروت - د ت.

٣٥. معرفة علوم الحديث، تحقيق وتصحيح: معظم حسين، ط٤، دار الآفاق الحديث، بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

ابن حبان، محمد بن أحمد (ت ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م)

٣٦. المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق: محمود إبراهيم زايد، دار الباز، مكة المكرمة - د ت.

٣٧. مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، تحقيق: مرزوق علي إبراهيم، ط١

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة ١٤١١هـ.

ابن حبيب، محمد البغدادي (ت ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م)

٣٨. المنمق في أخبار قريش، تصحيح وتعليق: خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتب- د.ت.

ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ/١٤٤٨م)

٣٩. الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

٤٠. تغليق التعليق، تحقيق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، ط١، دار عمار، عمان - الأردن ١٤٠٥هـ.

٤١. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، دار الفكر، د.ت.

٤٢. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط٢ دار المعرفة للطباعة- بيروت- د ت.

٤٣. لسان الميزان، ط٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٣٩٠هـ/١٩٧١م.

٤٤. مقدمة فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

ابن أبي الحديد، عز الدين بن هبة الله (ت ٦٥٦ هـ/١٢٥٨م)

٤٥. شرح نهج البلاغة، تحقيق:محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية - د.ت.

الحر العاملي، محمد بن الحسن بن علي (ت ١١٠٤هـ/١٦٩٢م)

٤٦. الجواهر السنية في الأحاديث القدسية، مطبعة النعمان، النجف الأشرف ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (ت ٤٥٦ هـ/١٠٦٣م)

٤٧. الأحكام، الناشر: زكريا علي يوسف، مطبعة العاصمة، القاهرة د.ت.

٤٨. المحلى، دار الفكر، د ت.

الحسن العسكري عليه السلام، الإمام أبو محمد (ت ٢٦٠ هـ/٨٧٣م)

٤٩. التفسير المنسوب للإمام العسكري، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي، ط١ قم ١٤٠٩هـ.

الحلبي، علي بن برهان الدين (ت ١٠٤٤ هـ/١٦٣٤م)

٥٠. السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون) دار المعرفة، بيروت ١٤٠٠هـ.

الحلي، العلامة الحسن بن يوسف بن المطهر (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م)

٥١. تذكرة الفقهاء، ط١، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث – قم١٤١٤هـ.

٥٢. نهج الحق وكشف الصدق، تقديم: السيد رضا الصدر / تعليق: الشيخ عين الله الحسني الأرموي، دار الهجرة، قم١٤٢١هـ.

الحميدي، عبد الله بن الزبير (ت ٢١٩هـ/٨٣٤ م)

٥٣. مسند الحميدي، تحقيق وتعليق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٤٠٩هـ /١٩٨٨م.

ابن حنبل، أحمد (ت ٢٤١ هـ/٨٥٥ م)

٥٤. مسند ابن حنبل، دار صادر، بيروت - د ت.

الحويزي، عبد علي بن جمعة (ت ١١١٢هـ/١٧٠٠م)

٥٥. تفسير نور الثقلين، تصحيح وتعليق: هاشم الرسولي المحلاتي، ط٤، مؤسسة إسماعيليان، قم١٤١٢هـ.

ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق (ت ٣١١هـ /٩٢٣م)

٥٦. صحيح ابن خزيمة، تحقيق وتعليق وتخريج وتقديم: د. محمد مصطفى الأعظمي، ط٢، المكتب الإسلامي١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ/١٠٧٠م)

٥٧. تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٥٨. الكفاية في علم الرواية، تحقيق: أحمد عمر هاشم ط١، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م.

ابن خلدون، عبد الرحمن (ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٦م)

٥٩. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ط٢ دار الكتب العلمية بيروت ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

خليفة بن خياط، (ت ٢٤٠ هـ/٨٥٤م)

٦٠. تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٦١. طبقات خليفة، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

أبو خيثمة النسائي، زهير بن حرب (ت ٢٣٤هـ/٨٤٨م)

٦٢. كتاب العلم، د.م، د.ت.

الدارقطني، علي بن عمر بن أحمد (ت ٣٨٥هـ /٩٩٥م)

٦٣. سنن الدارقطني، تعليق وتخريج: مجدي بن منصور سيد الشوري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

٦٤. علل الدارقطني (العلل الواردة في الأحاديث النبوية)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، ط١، دار طيبة، الرياض ١٤٠٥هـ.

الدارمي، عبد الله بن بهرام (ت ٢٥٥ هـ/٨٦٨م)

٦٥. سنن الدارمي، مطبعة الحديثة - دمشق ١٣٤٩هـ.

ابو داود، ابن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ/٨٨٨م)

٦٦. السنن، تحقيق وتعليق:سعيد محمد اللحام، ط١، دار الفكر، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

ابو داود الطيالسي، سليمان بن داود (ت ٢٠٤هـ /٨١٩م)

٦٧. مسند أبي داود الطيالسي، دار المعرفة، بيروت — لبنان د.ت.

الذهبي، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨ هـ/١٣٤٧م)

٦٨. تاريخ الإسلام، تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٦٩. تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، بيروت — لبنان، د. ت.

٧٠. سير أعلام النبلاء، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ط٩، مؤسسة الرسالة،

بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٧١. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط١ دار المعرفة، بيروت ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.

ابن راهوية، إسحاق بن إبراهيم (ت ٢٣٨ هـ/٨٥٢م)

٧٢. مسند ابن راهوية، تحقيق: د. عبد الغفور عبد الحق حسين، ط١، مطبعة مكتبة الإيمان، المدينة المنورة ١٤١٣هـ.

الراوندي، سعيد بن هبة الله (ت ٥٧٣ هـ / ١١٧٧م)

٧٣. الدعوات، ط١، قم ١٤٠٧ هـ.

الزبيدي، السيد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥ هـ/١٧٩٠م)

٧٤. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

الزمخشري، جار الله محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ/١١٤٤م)

٧٥. الفائق في غريب الحديث، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، ط١ دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

الزيلعي، جمال الدين (ت ٧٦٢ هـ /١٣٦٠م)

٧٦. تخريج الأحاديث والآثار، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، ط١، دار ابن خزيمة، الرياض، الرياض ١٤١٤هـ.

٧٧. نصب الراية، في تخريج أحاديث الهداية، ط١، تحقيق: أيمن صالح شعبان، دار الحديث، القاهرة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

سبط ابن العجمي، برهان الدين الحلبي (ت ٨٤١ هـ/١٤٣٧م)

٧٨. الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث، تحقيق: صبحي السامرائي، ط١ عالم الكتب- بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

ابن سعد، محمد (ت ٢٣٠ هـ/٨٤٤م)

٧٩. الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت – د ت.

سفيان الثوري، ابن سعيد بن مسروق (ت ١٦١هـ /٧٧٧م)

٨٠. تفسير الثوري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ١٤٠٣م.

ابن السكيت الأهوازي، أبو يوسف بن يعقوب بن إسحاق (ت ٢٤٤ هـ/٨٥٨م)

٨١. ترتيب إصلاح المنطق، ترتيب وتقديم وتعليق: الشيخ محمد حسن بكائي، ط١ مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية – طهران ١٤١٢هـ.

ابن سلمة، أحمد بن محمد (ت ٣٢١هـ /٩٣٣ م)

٨٢. شرح معاني الآثار، تحقيق وتعليق: محمد زهري النجار، ط٣، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

السمرقندي، أبو الليث (ت ٣٨٣هـ/٩٩٣ م)

٨٣. تفسير السمرقندي، تحقيق: د.محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت د.ت.

السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن أحمد (ت ٥٦٢ هـ/١١٦٦م)

٨٤. الأنساب، تحقيق: تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، ط١ دار الجنان- بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار (ت ٤٨٩ هـ/١٠٩٥م)

٨٥. تفسير السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم – غنيم بن عباس بن غنيم، ط١ دار الوطن- الرياض ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

ابن سيد الناس، محمد بن عبد الله بن يحيى (ت ٧٣٤ هـ/١٣٣٣م)

٨٦. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، مؤسسة عز الدين للطباعة، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

السيوطي، جلال الدين (ت ٩١١ هـ/١٥٠٥ م)

٨٧. الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: سعيد المندوب، ط١، دار الفكر، لبنان ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٨٨. تنوير الحوالك، تصحيح: الشيخ محمد عبد العزيز الخالدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان١٤١٨هـ – ١٩٩٧ م.

٨٩. الجامع الصغير، ط١، دار الفكر، بيروت١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

٩٠. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة، بيروت- د ت.
٩١. الديباج على صحيح مسلم، ط١ دار ابن عفان، السعودية ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

الشافعي، محمد بن إدريس (ت ٢٠٤ هـ/٨١٩م)

٩٢. الأم، ط٢ دار الفكر - ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
٩٣. المسند، دار الكتب العلمية- بيروت- د ت.

ابن شبة النميري، أبو زيد عمر (ت ٢٦٢ هـ/٨٧٥م)

٩٤. تاريخ المدينة المنورة، تعليق: علي محمد دندل - ياسين سعد الدين بيان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن الحسين (ت ٤٠٦ هـ/١٠١٥م)

٩٥. خصائص الأئمة، تحقيق: محمد هادي الاميني، مشهد ١٤٠٦ هـ.
٩٦. نهج البلاغة، تحقيق وشرح: محمد عبده، ط١، قم ١٤١٢ هـ.

ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي بن الحسين (ت ق ٤ هـ)

٩٧. تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليهم، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط٢، مؤسسة النشر الإسلامي قم — ايران ١٤٠٤هـ.

الشعراني، عبد الوهاب (ت ٩٧٣هـ /١٥٦٥م)

٩٨. لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية، ط٢، مطبعة مصطفى البابي، مصر ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

الشريف المرتضى، أبو القاسم علي بن أحمد (ت ٤٣٦هـ /١٠٤٤م)

٩٩. تنزيه الأنبياء، ط٢، دار الأضواء، بيروت - لبنان١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

ابن شهر آشوب، أبو عبد الله بن علي (ت ٥٨٨ هـ/١١٩٢م)

١٠٠. مناقب آل أبي طالب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ١٣٧٥هـ/١٩٦٥م.

الشوكاني، محمد بن علي بن أحمد (ت ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م)

١٠١. نيل الأوطار من احاديث سيد الأخيار وشرح منتقى الأخبار، دار الجيل بيروت ١٩٧٣م.

ابن أبي شيبة الكوفي، عبد الله بن محمد (ت ٢٣٥هـ /٨٤٩م)

١٠٢. المصنف، تحقيق وتعليق: سعيد اللحام ط١، دار الفكر، بيروت – لبنان١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

الصالحي الشامي، محمد بن يوسف (ت ٩٤٢ هـ/١٥٣٥م)

١٠٣. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود علي محمد معوض، ط١ دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

الصدوق، محمد بن علي (ت ٣٨١ هـ/٩٩١م)

١٠٤. الأمالي، ط١، طهران ١٤١٧هـ.

١٠٥. معاني الأخبار، تصحيح وتعليق: علي اكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٣٩٧هـ.

الصفار، محمد بن الحسن (ت ٢٩٠هـ/٩٠٢م)

١٠٦. بصائر الدرجات، تحقيق: ميرزا حسن، مطبعة الاحمدي، طهران ١٤٠٤هـ.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك (ت ٧٦٤ هـ/١٣٦٢م)

١٠٧. الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط - تركي مصطفى، دار احياء التراث، بيروت ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

أبو الصلاح الحلبي، تقي بن نجم (٤٤٧هـ/١٠٥٤م)

١٠٨. تقريب المعارف، تحقيق: فارس الحسون، د.م ١٤١٧ هـ.

الصنعاني، عبد الرزاق بن همام (٢١١هـ / ٨٢٦ م)

١٠٩. تفسير القرآن، تحقيق: د. مصطفى مسلم أحمد، ط١، الرياض ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

١١٠. المصنف، تحقيق وتخريج وتعليق: حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي د.ت.

الضحاك، عمرو بن أبي عاصم (ت ٢٨٧هـ/ ٩٠٠ م)

١١١. الآحاد والمثاني، تحقيق: د.باسم فيصل الجوابرة، ط١، دار الدراية، ١٤١١هـ/١٩٩٥م.

١١٢. كتاب السنة، تحقيق: محمد ناصر الألباني، ط٣، بيروت- لبنان ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

ابن طاووس، السيد علي بن موسى الحلي (ت ٦٦٤ هـ/١٢٦٥م)

١١٣. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، ط١ مطبعة الخيام- قم ١٣٩٩هـ.

الطبراني، سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠ هـ/٩٧٠م)

١١٤. مسند الشاميين، تحقيق:حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

١١٥. المعجم الأوسط، تحقيق: أبي معاذ أبي الفضل، دار الحرمين- ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

١١٦. المعجم الصغير، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان د.ت.

١١٧. المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية-القاهرة دت.

الطبرسي، الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨ هـ/١١٥٣م)

١١٨. تفسير جوامع الجامع، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، ط١ قم ١٤١٨هـ.

١١٩. مجمع البيان في تفسير القرآن، تقديم: السيد محسن العاملي، ط١ مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م.

الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ/٩٢٢م)

١٢٠. تاريخ الرسل والملوك، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت- د ت.

١٢١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تقديم: خليل الميس؛ ضبط وتوثيق: صدقي جميل، دار الفكر، بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

الطوسي، محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ/١٠٦٧م)

١٢٢. التبيان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، ط١ مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، د.م ١٤٠٩هـ.

١٢٣. الخلاف، مؤسسة النشر الإسلامي، قم – ايران ١٤٠٧هـ.

١٢٤. مصباح المجتهد، ط١، بيروت – لبنان ١٤١١/١٩١٩م.

ابن عابدين، محمد أمين (ت ١٢٥٢هـ /١٨٣٦م)

١٢٥. حاشية رد المحتار على الدر المختار، دار الفكر، بيروت – لبنان١٤١٥ هـ/١٩٩٥م.

ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله (ت ٤٦٣ هـ/١٠٧٠م)

١٢٦. الاستذكار، تحقيق: سلام محمد عطا - محمد علي عوض، ط١ دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م.

١٢٧. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق:علي محمد البجاوي، ط١ دار الجيل- بيروت ١٤١٢هـ.

١٢٨. الإنباه على قبائل الرواة، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط١ دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١٢٩. التمهيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي - محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب ١٣٨٧هـ.

١٣٠. جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب العلية، بيروت ١٣٩٨.

العجلي، أحمد بن عبد الله (ت ٢٦١ هـ/٨٧٤م)

١٣١.معرفة الثقاة، ط١ مكتبة الدار، المدينة المنورة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١٣٢.ابن عدي، عبد الله (ت ٣٦٥ هـ/٩٧٥م)

١٣٣. الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، ط٣، دار الفكر، بيروت ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م.

ابن العربي، محمد بن عبد الله (ت ٥٤٣هـ/١١٤٨م)

١٣٤. أحكام القرآن، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الفكر، بيروت – لبنان د.ت.

ابن عساكر، علي بن الحسن (ت٥٧١ هـ/١١٧٥م)

١٣٥. تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت ١٤١٥هـ.

ابن عطية الأندلسي، محمد عبد الحق بن غالب (ت ٥٤٦هـ/١١٥١م)

١٣٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان١٤١٣ - ١٩٩٣م.

ابن عقبة، موسى (ت ١٤١هـ/٧٥٨م)

١٣٧. المغازي، جمع ودراسة وتخريج: محمد باقشيش أبي مالك، جامعة ابن زهر كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المملكة المغربية أكادير ١٩٩٤م.

العقيلي، محمد بن عمرو (ت ٣٢٢ هـ/٩٢٣م)

١٣٨. الضعفاء الكبير، تحقيق: د.عبد المعطي أمين قلعجي، ط٢ دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ.

العيني، بدر الدين (ت ٨٥٥ هـ/١٤٥١م)

١٣٩. عمدة القاري في شرح البخاري، دار احياء التراث العربي - بيروت - د ت.

الغرناطي الكلبي، محمد بن أحمد بن جزى (ت ٧٤١ هـ/١٣٤٠م)

١٤٠. التسهيل لعلوم التنزيل، ط٤، دار الكتاب العربي، لبنان١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

ابن فارس، أبو الحسين أحمد (ت ٣٩٥هـ /١٠٠٤م)

١٤١. معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الإعلام الإسلامي، ١٤٠٤هـ.

الفتال النيسابوري، محمد بن الفتال (ت ٥٠٨هـ /١١١٤م)

١٤٢. روضة الواعظين، تقديم: محمد مهدي الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم – إيران د.ت.

الفخر الرازي، محمد بن عمر (ت ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩م)

١٤٣. تفسير الرازي، د. م، د. ت.

الفراهيدي، أبو عبد الرحمن بن أحمد (ت ١٧٥ هـ/٧٩١م)

١٤٤. العين، تحقيق: د. مهدي المخزوي- د. إبراهيم السامرائي، ط٢ مطبعة الصدر، ١٤١٠م.

أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ / ٩٦٦م)

١٤٥. الأغاني، شرح وتعليق: أ. سمير جابر، ط ١، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

الفيض الكاشاني، محمد محسن (ت ١٠٩١هـ /١٦٨٠م)

١٤٦. الأصفى في تفسير القرآن، ط١، ايران ١٤١٨هـ.

القاضي نعمان، النعمان بن محمد (ت ٣٦٣ هـ/٩٧٣م)

١٤٧. شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق: السيد محمد الحسيني، ط٢ مؤسسة النشر الإسلامي - قم ١٤١٤هـ.

القاضي عياض، عياض بن موسى (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م)

١٤٨. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الفكر، بيروت – لبنان١٤٠٩ هـ /١٩٨٨م.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (٢٧٦هـ/٨٨٩م)

١٤٩. تأويل مختلف الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان د.ت.

١٥٠. غريب الحديث، تحقيق: د.عبد الله الجبوري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٥١. المعارف، تحقيق: د. ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة- د ت.

ابن قدامة، عبد الرحمن (ت ٦٨٢هـ /١٢٨٣م)

١٥٢. الشرح الكبير، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان د.ت.

ابن قدامه، عبد الله (ت ٦٢٠هـ/١٢٢٣م)

١٥٣. المغني، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان د. ت.

القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ /١٢٧٢م)

١٥٤. تفسير القرطبي ، تصحيح: أحمد عبد العليم البردوني، دار احياء التراث العربي، بيروت- لبنان ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

القمي الشيرازي، محمد طاهر (ت ١٠٩٨ هـ/١٦٨٦م)

١٥٥. الأربعين في إمامة الأئمة الطاهرين، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، ط١ مطبعة الأمير، قم ١٤١٨هـ.

القندوزي، سليمان بن إبراهيم (ت ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م)

١٥٦. ينابيع المودة لذوي القربى، تحقيق: علي جمال أشرف الحسيني، ط١، دار الأسوة

١٤٦١هـ.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤ هـ/١٣٧٣م)

١٥٧. البداية والنهاية، تحقيق:علي شيري، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

١٥٨. تفسير ابن كثير، تقديم: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت – لبنان١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م.

١٥٩. السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت ١٣٩٦هـ/١٩٧١م.

الكراكجي، محمد بن علي (ت٤٤٩هـ /١٠٥٧م)

١٦٠. كنز الفوائد، ط٢، مطبعة غدير، قم د.ت.

الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت ٣٢٩ هـ/٩٤٠م)

١٦١. الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط٥، طهران - د ت.

ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣ هـ/٨٨٦م)

١٦٢. السنن، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر - د ت.

المازندراني، مولي محمد صالح (ت ١٠٨١هـ/١٦٧٠ م)

١٦٣. شرح أصول الكافي، ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

ابن ماكولا، علي بن هبة الله بن علي (ت ٤٧٥ هـ/١٠٨٢م)

١٦٤. الإكمال في رفع الأرتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، دار إحياء التراث العربي، القاهرة - دت.

المتقي الهندي، علاء الدين علي (ت ٩٧٥هـ/١٥٦٧م)

١٦٥. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ضبط وتفسير: الشيخ بكري حياني، تصحيح وفهرسة: الشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة - بيروت – لبنان ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

مجاهد، أبو الحجاج بن جبير المخزومي (ت ١٠٤هـ/٧٢٢م)

١٦٦. تفسير مجاهد، تحقيق: عبد الرحمن الطاهر بن محمد، مجمع البحوث الإسلامية، إسلام آباد – د ت.

المجلسي، العلامة محمد باقر (ت ١١١١ هـ/١٦٩٩م)

١٦٧. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط٣ دار احياء التراث العربي – بيروت ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦ هـ/٩٥٦م)

١٦٨. أخبار الزمان، ومن أباده الحدثان، وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، تحقيق: لجنة من الأساتذه، ط٢، دار الأندلس بيروت ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م.

مسلم، النيسابوري (ت ٢٦١ هـ/٨٧٤م)

١٦٩. صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت– د ت.

ابن معين، يحيى (ت ٢٣٣هـ / ٨٤٧ م)

١٧٠. تاريخ ابن معين، تحقيق: عبد الله أحمد حسن، دار القلم بيروت د.ت.

المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣هـ /١٠٢٢م)

١٧١.الأمالي، تحقيق: الحسين استاد ولي – علي أكبر الغفاري، ط٢، دار المفيد، بيروت – لبنان ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

مقاتل، ابن سليمان (ت ١٥٠هـ/٧٦٧م)

١٧٢. تفسير مقاتل، تحقيق: أحمد فريد، ط١ دار الكتب العلمية–بيروت ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

المروزي، نعيم بن حماد (ت ٢٢٩هـ/٨٤٤م)

١٧٣. الفتن، تحقيق:سهيل زكار، دار الفكر، بيروت – لبنان ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف (٧٤٢هـ/ ١٣٤١م)

١٧٤. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ/١٤٤١م)

١٧٥. أمتاع الاسماع بما للنبي صلى الله عليه وسلم من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، ط١ دار الكتب العلمية، بيروت-دت.

المناوي، محمد عبد الرؤوف (ت ١٠٣١هـ/١٦٢١م)

١٧٦. فيض القدير في شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير، ضبطه وصححه: أحمد عبد السلام، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

أبو منصور الطبرسي، أحمد بن علي بن أبي طالب (ت ٦٢٠ هـ/١٢٢٣م)

١٧٧. الاحتجاج، تعليق: السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان، النجف الأشرف ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

ابن منظور، جمال الدين بن مكرم (ت ٧١١ هـ/١٣١١م)

١٧٨. لسان العرب، قم ١٤٠٥هـ.

ابن النجار البغدادي، محب الدين أبو عبد الله محمد (ت ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)

١٧٩. ذيل تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر يحيى ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧م.

النجاشي، أحمد بن علي بن أحمد (ت ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م)

١٨٠. رجال النجاشي (فهرست أسماء مصنفي الشيعة)، تحقيق: موسى الشبيري الزنجاني، ط٥، مؤسسة النشر الإسلامي قم ايران ١٤١٦هـ.

ابن نجيم المصري، زين الدين بن إبراهيم بن محمد (ت ٩٧٠هـ /١٥٦٢م)

١٨١. البحر الرائق، تحقيق: زكريا عميران، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

النحاس، أبو جعفر (ت ٣٨٨هـ /٩٩٨ م)

١٨٢. معاني القرآن، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط١، دار جامعة أم القرى، السعودية ١٤٠٩هـ.

النسائي، أحمد بن علي (ت ٣٠٣ هـ/٩١٥م)

١٨٣. السنن الكبرى، تحقيق:عبد الغفار سليمان البنداري - سيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
١٨٤. سنن النسائي، ط١، دار الفكر، بيروت – لبنان ١٣٤٨هـ /١٩٣٠م.
١٨٥. الضعفاء والمتروكين، تحقيق:محمود إبراهيم زايد، ط١، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد (ت ٥٣٧هـ/١١٤٢م)

١٨٦. تفسير النسفي، د.م، د.ت.

ابو نعيم الأصفهاني، أحمد بن عبد الله (ت ٤٣٠هـ /١٠٣٨م)

١٨٧. ذكر اخبار أصفهان، مطبعة بريل، ليدن ١٩٣٤م.

النووي، محي الدين بن شرف الدين (ت ٦٧٦ هـ/١٢٧٧م)

١٨٨. روضة الطالبين، تحقيق:عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان د.ت.
١٨٩. شرح مسلم، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م.
١٩٠. المجموع في شرح المذهب، دار الفكر، د ت.

ابن هشام، عبد الملك (ت ٢١٨ هـ/٨٣٣م)

١٩١. السيرة النبوية، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني - القاهرة ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.

ابو هلال العسكري، الحسين بن عبد الله (ت ٣٩٥ هـ /١٠٠٤م)

١٩٢. معجم الفروق اللغوية، ط١ مؤسسة النشر الإسلامي - قم ١٤١٢هـ.

الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت ٨٠٧ هـ /١٤٠٤م)

١٩٣. مجمع الزوائد، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م.
١٩٤. موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، ط١، دار الثقافة العربية، دمشق ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م.

الواحدي النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد (ت ٤٦٨هـ /١٠٧٥م)

١٩٥. أسباب نزول الآيات، مؤسسة الحلبي ، القاهرة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

١٩٦. تفسير الواحدي، تحقيق:صفوان عدنان داوودي، ط١ ، بيروت - دار القلم ، دمشق الدار الشامية ١٤١٥هـ.

ياقوت الحموي، شهاب الدين بن عبد الله الرومي البغدادي (ت ٦٢٦ هـ/١٢٢٨م)

١٩٧. معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر (كان حياً سنة ٢٩٢ هـ/٩٠٥م)

١٩٨. تاريخ اليعقوبي دار صادر - بيروت - د ت.

ابو يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى (ت ٣٠٧هـ/٩١٩م)

١٩٩. مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، د.ت.

ثانياً: المراجع

- أدوارد كار

٢٠٠. ماهو التاريخ، ترجمة: بيار عقيل – ماهر كيالي، ط١ ، بيروت – لبنان ١٩٧٦م.

التبريزي الأنصاري، (ت ١٣١٠ هـ /١٨٩٢م)

٢٠١. اللمعة البيضاء، تحقيق: هاشم الميلاني، ط١ ، مؤسسة الهادي، قم - ايران١٤١٨هـ.

جعفر مرتضى، السيد

٢٠٢. الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ط٤ ، دار الهادي، بيروت - لبنان / دار السيرة، بيروت – لبنان ١٤١٥هـ /١٩٩٥م.

الحسني، هاشم معروف

٢٠٣. دراسات في الحديث والمحدثين، ط٢ ، دار التعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان ١٣٩٨هـ /١٩٧٨م.

الحكيم، محمد باقر (ت ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)

٢٠٤. علوم القرآن، ط٣، مؤسسة الهادي، د.م ١٤١٧ هـ.

الحلو، محمد علي

٢٠٥. تاريخ الحديث النبوي، ط ٥، د. م، ١٤٢١هـ.

أبو رية، محمود (ت ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م)

٢٠٦. أضواء على السنة المحمدية، ط ٥، د.ت.

- شيخ المضيرة أبو هريرة، ط٣، دار المعارف بمصر، بيروت – لبنان د.ت.

الشاهرودي، علي النمازي (ت ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥م)

٢٠٧. مستدرك سفينة البحار، تحقيق:حسن علي النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤١٩هـ.

الشرهاني، حسين علي

٢٠٨. أضواء على السيرة النبوية، دراسة في حياة الرسول (ص) مع السيدة خديجة عليها السلام، ط١، تموز للطباعة والنشر دمشق ٢٠١٣م.

شرف الدين، عبد الحسين (ت ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م)

٢٠٩. أبو هريرة، د.م، د.ت.

٢١٠. المراجعات، تحقيق: حسين الراضي، ط٢، د.م ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

الشنقيطي، محمد الامين بن محمد المختار (ت ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م)

٢١١. أضواء البيان في تفسير القرآن، دار الفكر، بيروت ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

الشيرازي، ناصر مكارم

٢١٢. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، د.م، د.ت.

الطائي، نجاح عطا

٢١٣. يهود بثوب الإسلام، ط١، دار الهدى لإحياء التراث، بيروت ١٤٢٢هـ / ٢٠١١م.

الطباطبائي، السيد محمد حسين (١٤١٢هـ /١٩٩١م)

٢١٤. تفسير الميزان، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم د.ت.

العظيم آبادي، أبو الطيب محمد شمس الحق (ت ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م)

٢١٥. عون المعبود، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٤١٥هـ.

قلعجي، محمد

٢١٦. معجم لغة الفقهاء، ط ٢، دار النفائس، بيروت – لبنان ١٤٠٨ – ١٩٨٨ م.

الكوراني العاملي، علي

٢١٧. ألف سؤال وإشكال، ط١، دار الهدى ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤م.

٢١٨. الوهابية والتوحيد، ط٢، دار السيرة، بيروت ١٤١٩ هـ.

المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن (ت ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م)

٢١٩. تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

اليوسفي، محمد هادي

٢٢٠. موسوعة التاريخ الإسلامي، ط١، مؤسسة الهادي – قم ١٤١٧هـ.

ثالثاً: الأطاريح والرسائل الجامعية

الجابري، علي رحيم

٢٢١. السياسة الأموية المضادة للإمام علي عليه السلام، دراسة في سياسة السب، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة – كلية التربية للعلوم الإنسانية /٢٠٠٨م).

الجبر، مخلد ذياب فيصل

٢٢٢. روايات أهل الكتاب للسيرة النبوية حتى عهد البعثة، (أُطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة البصرة – كلية التربية للعلوم الإنسانية /٢٠١٢م).

حاجم، أكرم سعود

٢٢٣. روايات دلائل النبوة قبل البعثة دراسة تحليلية نقدية، (رسالة ماجستير غير منشورة جامعة البصرة – كلية التربية للعلوم الإنسانية /٢٠١٣م).

الحسيناوي، عدنان مالح

٢٢٤. صورة السيرة النبوية في صحيح البخاري دراسة تحليلية تاريخية، (أُطروحة دكتوراه غير منشورة جامعة البصرة – كلية الآداب /٢٠١٢م).

الساعدي، إيمان حسن مجيسر

٢٢٥. والدا النبي صلى الله عليه وآله وسلم دراسة تاريخية، (رسالة ماجستير غير منشورة جامعة البصرة – كلية الآداب ٢٠٠٩م).

الشريفي: حيدر حسين

٢٢٦. النبي إبراهيم الخليل عليه السلام في القرآن الكريم، دراسة تاريخية، (أُطروحة دكتوراه غير منشورة جامعة البصرة – كلية التربية للعلوم الإنسانية /٢٠١١م).

الصفراني، رياض رحيم حسين

٢٢٧. هاشم بن عبد مناف، دراسة في سيرته الشخصية (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة البصرة – كلية التربية للعلوم الإنسانية /٢٠١٠م).

العليلي، حيدر مجيد حسين

٢٢٨. الوحي والنبوة في رؤية المستشرق وليم نيور (أُطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة البصرة – كلية التربية للعلوم الإنسانية / ٢٠١٤م).

الفارس، محمد خضير

٢٢٩.٢٢٦ – عروة بن الزبير، دراسة في سيرته ومروياته التاريخية من السيرة النبوية، (رسالة ماجستير غير منشورة جامعة البصرة – كلية الآداب ٢٠١٠م).

المحمداوي، علي صالح رسن

٢٣٠. ابوطالب بن عبد المطلب، دراسة في سيرته الشخصية وموقفه من الدعوة الإسلامية (أُطروحة دكتوراه منشورة، ط١، بغداد ٢٠١٣م).

رابعاً: بحوث ودراسات

٢٣١. دراسات في أزواج النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، كتاب مخطوط غير منشور.

٢٣٢. الافتراءات في ولادة سيد الكائنات، بحث منشور، مجلة كلية الآداب – جامعة ذي قار، العدد السابع، المجلد الثاني آب ٢٠١٢م.

٢٣٣. أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب حقيقة أم وهم، كتاب مخطوط قيد النشر.

٢٣٤. جبريل وكيفية نزوله على النبي صلى الله عليه وآله وسلم دراسة في روايات العامة، بحث مقبول للنشر في مجلة أبحاث ميسان ٢٠١٤م.

٢٣٥. حديث الولاية في روايات الامة، بحث ألقاه الباحث في مهرجان الغدير العالمي الأول، العتبة العلوية المقدسة ٢٠١٢م.

٢٣٦. ألفاظ القرآن الكريم في وثيقة المدينة، بحث غير منشور.

٢٣٧. سلسلة محاضرات في السيرة المحمدية، كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة البصرة ٢٠١٣ – ٢٠١٤ م.

٢٣٨. الشبهات التي أثارها المنافقون ضد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، بحث مقبول للنشر، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، النجف الاشرف ٢٠١٤م.

٢٣٩. شذرات قرآنية في سورة الإسراء، بحث غير منشور.

٢٤٠. صيام يوم عاشوراء، دراسة تاريخية فقهية، بحث مقبول للنشر، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، النجف الاشرف ٢٠١٤م.

٢٤١. عبد المطلب بن هاشم، دراسة في رئاسته على قريش، والمنافرة وعقيدته، بحث منشور، مجلة دراسات تاريخية، العدد التاسع، ٢٠١٠م.

٢٤٢. فاطمة لا تصح مصداقاً عن السرقة، بحث غير منشور.

٢٤٣. ماذا رآى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند سدرة المنتهى، دراسة في الآية ١٤ من سورة النجم، بحث غير منشور.

٢٤٤. النهج الاموي في وضع الحديث النبوي، بحث منشور، مجلة ابحاث البصرة للعلوم الإنسانية، العدد الثاني، ٢٠١٢ م.

٢٤٥. هل رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ربه في معراجه، بحث غير منشور.

٢٤٦. وصية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام دراسة في روايات أتباع مدرسة الصحابة، بحث مقبول للنشر، مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، النجف الاشرف ٢٠١٤ م.

المحتويات

الفصل الأول: الافتراء دراسة في المفهوم والنشأة

الفصل الثاني: الافتراء على سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل البعثة النبوية

الفصل الثالث: التشكيك في النبوة

الفصل الرابع: الطعن في عصمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

إصدارات قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة

ت	اسم الكتاب	تأليف
١	السجود على التربة الحسينية	السيد محمد مهدي الخرسان
٢	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الانكليزية	
٣	زيارة الإمام الحسين عليه السلام باللغة الأردو	
٤	النوران ـ الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٥	هذه عقيدتي ـ الطبعة الأولى	الشيخ علي الفتلاوي
٦	الإمام الحسين عليه السلام في وجدان الفرد العراقي	الشيخ علي الفتلاوي
٧	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان	الشيخ وسام البلداوي
٨	الجمال في عاشوراء	السيد نبيل الحسني
٩	ابكِ فإنك على حق	الشيخ وسام البلداوي
١٠	المجاب بردّ السلام	الشيخ وسام البلداوي
١١	ثقافة العيدية	السيد نبيل الحسني
١٢	الأخلاق (تحقيق: شعبة التحقيق) جزآن	السيد عبد الله شبر
١٣	الزيارة تعهد والتزام ودعاء في مشاهد المطهرين	الشيخ جميل الربيعي
١٤	من هو؟	لبيب السعدي
١٥	اليحموم، أهو من خيل رسول الله أم خيل جبرائيل؟	السيد نبيل الحسني
١٦	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي
١٧	أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم	السيد نبيل الحسني
١٨	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق)	السيد محمدحسين الطباطبائي
١٩	الحيرة في عصر الغيبة الصغرى	السيد ياسين الموسوي
٢٠	الحيرة في عصر الغيبة الكبرى	السيد ياسين الموسوي
٢١ ـ ٢٣	حياة الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) ـ ثلاثة أجزاء	الشيخ باقر شريف القرشي

٢٤	القول الحسن في عدد زوجات الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ وسام البلداوي
٢٥	الولايتان التكوينية والتشريعية عند الشيعة وأهل السنة	السيد محمد علي الحلو
٢٦	قبس من نور الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ حسن الشمري
٢٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية	السيد نبيل الحسني
٢٨	موجز علم السيرة النبوية	السيد نبيل الحسني
٢٩	رسالة في فن الإلقاء والحوار والمناظرة	الشيخ علي الفتلاوي
٣٠	التعريف بمهنة الفهرسة والتصنيف وفق النظام العالمي (LC)	علاء محمد جواد الأعسم
٣١	الأنثروبولوجيا الاجتماعية الثقافية لمجتمع الكوفة عند الإمام الحسين عليه السلام	السيد نبيل الحسني
٣٢	الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٣	الخطاب الحسيني في معركة الطف ـ دراسة لغوية وتحليل	الدكتور عبدالكاظم الياسري
٣٤	رسالتان في الإمام المهدي	الشيخ وسام البلداوي
٣٥	السفارة في الغيبة الكبرى	الشيخ وسام البلداوي
٣٦	حركة التاريخ وسننه عند علي وفاطمة عليهما السلام (دراسة)	السيد نبيل الحسني
٣٧	دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء ـ بين النظرية العلمية والأثر الغيبي (دراسة) من جزءين	السيد نبيل الحسني
٣٨	النوران الزهراء والحوراء عليهما السلام ـ الطبعة الثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٣٩	زهير بن القين	شعبة التحقيق
٤٠	تفسير الإمام الحسين عليه السلام	السيد محمد علي الحلو
٤١	منهل الظمآن في أحكام تلاوة القرآن	الأستاذ عباس الشيباني
٤٢	السجود على التربة الحسينية	السيد عبد الرضا الشهرستاني
٤٣	حياة حبيب بن مظاهر الأسدي	السيد علي القصير
٤٤	الإمام الكاظم سيد بغداد وحاميها وشفيعها	الشيخ علي الكوراني العاملي
٤٥	السقيفة وفدك، تصنيف: أبي بكر الجوهري	جمع وتحقيق: باسم الساعدي
٤٦	موسوعة الألوف في نظم تاريخ الطفوف ـ ثلاثة أجزاء	نظم وشرح: حسين النصار
٤٧	الظاهرة الحسينية	السيد محمد علي الحلو
٤٨	الوثائق الرسمية لثورة الإمام الحسين عليه السلام	السيد عبد الكريم القزويني
٤٩	الأصول التمهيدية في المعارف المهدوية	السيد محمد علي الحلو
٥٠	نساء الطفوف	الباحثة الاجتماعية كفاح الحداد
٥١	الشعائر الحسينية بين الأصالة والتجديد	الشيخ محمد السند
٥٢	خديجة بنت خويلد أُمّة جُمعت في امرأة – ٤ مجلد	السيد نبيل الحسني
٥٣	السبط الشهيد – البُعد العقائدي والأخلاقي في خطب الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي

٥٤	تاريخ الشيعة السياسي	السيد عبد الستار الجابري
٥٥	إذا شئت النجاة فزر حسيناً	السيد مصطفى الخاتمي
٥٦	مقالات في الإمام الحسين عليه السلام	عبد السادة محمد حداد
٥٧	الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني	الدكتور عدي علي الحجّار
٥٨	فضائل أهل البيت عليهم السلام بين تحريف المدونين وتناقض مناهج المحدثين	الشيخ وسام البلداوي
٥٩	نصرة المظلوم	حسن المظفر
٦٠	موجز السيرة النبوية – طبعة ثانية، مزيدة ومنقحة	السيد نبيل الحسني
٦١	ابكِ فانك على حق – طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٦٢	أبو طالب ثالث من أسلم – طبعة ثانية، منقحة	السيد نبيل الحسني
٦٣	ثقافة العيد والعيدية – طبعة ثالثة	السيد نبيل الحسني
٦٤	نفحات الهداية - مستبصرون ببركة الإمام الحسين عليه السلام	الشيخ ياسر الصالحي
٦٥	تكسير الأصنام - بين تصريح النبي ﷺ وتعتيم البخاري	السيد نبيل الحسني
٦٦	رسالة في فن الإلقاء - طبعة ثانية	الشيخ علي الفتلاوي
٦٧	شيعة العراق وبناء الوطن	محمد جواد مالك
٦٨	الملائكة في التراث الإسلامي	حسين النصراوي
٦٩	شرح الفصول النصيرية - تحقيق: شعبة التحقيق	السيد عبد الوهاب الأسترآبادي
٧٠	صلاة الجمعة– تحقيق: الشيخ محمد الباقري	الشيخ محمد التنكابني
٧١	الطفيات - المقولة والإجراء النقدي	د. علي كاظم المصلاوي
٧٢	أسرار فضائل فاطمة الزهراء عليها السلام	الشيخ محمد حسين اليوسفي
٧٣	الجمال في عاشوراء - طبعة ثانية	السيد نبيل الحسني
٧٤	سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم	السيد نبيل الحسني
٧٥	اليحموم، - طبعة ثانية، منقحة	السيد نبيل الحسني
٧٦	المولود في بيت الله الحرام: علي بن أبي طالب عليه السلام أم حكيم بن حزام؟	السيد نبيل الحسني
٧٧	حقيقة الأثر الغيبي في التربة الحسينية - طبعة ثانية	السيد نبيل الحسني
٧٨	ما أخفاه الرواة من ليلة المبيت على فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم	السيد نبيل الحسني
٧٩	علم الإمام بين الإطلاقية والإشائية على ضوء الكتاب والسنة	صباح عباس حسن الساعدي
٨٠	الإمام الحسين بن علي عليهما السلام أنموذج الصبر وشارة الفداء	الدكتور مهدي حسين التميمي
٨١	شهيد باخمرى	ظافر عبيس الجياشي
٨٢	العباس بن علي عليهما السلام	الشيخ محمد البغدادي
٨٣	خادم الإمام الحسين عليه السلام شريك الملائكة	الشيخ علي الفتلاوي

٨٤	مسلم بن عقيل عليه السلام	الشيخ محمد البغدادي
٨٥	حياة ما بعد الموت (مراجعة وتعليق شعبة التحقيق) – الطبعة الثانية	السيد محمدحسين الطباطبائي
٨٦	منقذ الإخوان من فتن وأخطار آخر الزمان – طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٨٧	المجاب برد السلام – طبعة ثانية	الشيخ وسام البلداوي
٨٨	كامل الزيارات باللغة الانكليزية (Kamiluz Ziyaraat)	ابن قولويه
٨٩	Inquiries About Shi‘a Islam	السيد مصطفى القزويني
٩٠	When Power and Piety Collide	السيد مصطفى القزويني
٩١	Discovering Islam	السيد مصطفى القزويني
٩٢	دلالة الصورة الحسية في الشعر الحسيني	د. صباح عباس عنوز
٩٣	القيم التربوية في فكر الإمام الحسين عليه السلام	حاتم جاسم عزيز السعدي
٩٤	قبس من نور الإمام الحسن عليه السلام	الشيخ حسن الشمري الحائري
٩٥	تيجان الولاء في شرح بعض فقرات زيارة عاشوراء	الشيخ وسام البلداوي
٩٦	الشهاب الثاقب في مناقب علي بن أبي طالب عليهما السلام	الشيخ محمد شريف الشيرواني
٩٧	سيد العبيد جون بن حوي	الشيخ ماجد احمد العطية
٩٨	حديث سد الأبواب إلا باب علي عليه السلام	الشيخ ماجد احمد العطية
٩٩	المرأة في حياة الإمام الحسين عليه السلام ـ الطبعة الثانية ـ	الشيخ علي الفتلاوي
١٠٠	هذه فاطمة عليها السلام – ثمانية أجزاء	السيد نبيل الحسني
١٠١	وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وموضع قبره وروضته	السيد نبيل الحسني
١٠٢	الأربعون حديثا في الفضائل والمناقب- اسعد بن إبراهيم الحلي	تحقيق: مشتاق المظفر
١٠٣	الجعفريات - جزآن	تحقيق: مشتاق المظفر
١٠٤	نوادر الأخبار – جزآن	تحقيق: حامد رحمان الطائي
١٠٥	تنبيه الخواطر ونزهة النواظر – ثلاثة أجزاء	تحقيق: محمد باسم مال الله
١٠٦	الإمام الحسين عليه السلام في الشعر العراقي الحديث	د. علي حسين يوسف
١٠٧	This Is My Faith	الشيخ علي الفتلاوي
١٠٨	الشفاء في نظم حديث الكساء	حسين عبدالسيد النصار
١٠٩	قصائد الاستنهاض بالإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه	حسن هادي مجيد العوادي
١١٠	آية الوضوء وإشكالية الدلالة	السيد علي الشهرستاني
١١١	عارفاً بحقكم	السيد علي الشهرستاني
١١٢	شمس الإمامة وراء سحب الغيب	السيد هادي الموسوي
١١٣	Ziyarat Imam Hussain	إعداد: صفوان جمال الدين
١١٤	البشارة لطالب الاستخارة للشيخ احمد بن صالح الدرازي	تحقيق: مشتاق المظفر
١١٥	النكت البديعة في تحقيق الشيعة للشيخ سليمان البحراني	تحقيق: مشتاق المظفر
١١٦	شرح حديث حبنا أهل البيت يكفر الذنوب للشيخ علي بن عبد الله	تحقيق: مشتاق صالح المظفر

	الستري البحراني	
١١٧	منهاج الحق واليقين في تفضيل علي أمير المؤمنين للسيد ولي بن نعمة الله الحسيني الرضوي	تحقيق: مشتاق صالح المظفر
١١٨	قواعد المرام في علم الكلام، تصنيف كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني	تحقيق: أنمار معاد المظفر
١١٩	حياة الأرواح ومشكاة المصباح للشيخ تقي الدين إبراهيم بن علي الكفعمي	تحقيق: باسم محمد مال الله الأسدي
١٢٠	باب فاطمة عليها السلام بين سلطة الشريعة وشريعة السلطة	السيد نبيل الحسني
١٢١	موسوعة في ظلال شهداء الطف	الشيخ حيدر الصمياني
١٢٢	تربة الحسين عليه السلام وتحولها إلى دم عبيط في كربلاء	السيد علي الشهرستاني
١٢٣	The Aesthetics of ‘Ashura	السيد نبيل الحسني
١٢٤	نثر الإمام الحسين عليه السلام	د. حيدر محمود الجديع
١٢٧	ظاهرة الاستقلاب في عرض النص النبوي والتاريخ	السيد نبيل الحسني
١٢٨	الإستراتيجية الحربية في معركة عاشوراء: بين تفكير الجند وتجنيد الفكر	السيد نبيل الحسني
١٢٩	النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومستقبل الدعوة	مروان خليفات
١٣٠	البكاء على الحسين عليه السلام في مصادر الفريقين	الشيخ حسن المطوري
١٣١	تفضيل السيدة زهراء على الملائكة والرسل والأنبياء	الشيخ وسام البلداوي
١٣٢	The Prophetic Life History A Concise Knowledge Of	السيد نبيل الحسني
١٣٣	معاني الأخبار للشيخ الصدوق	تحقيق: السيد محمدكاظم
١٣٤	ضياء الشهاب وضوء الشهاب في شرح ضياء الأخبار	تحقيق: عقيل عبدالحسن
١٣٥	المنهج السياسي لأهل البيت عليهم السلام	السيد عبدالستار الجابري
١٣٦	هوامش على رسالة القول الفصل في الآل والأهل	عبدالله حسين الفهد
١٣٧	فلان وفلانة	عبدالرحمن العقيلي
١٣٨	معجم نواصب المحدثين	عبدالرحمن العقيلي
١٣٩	استنطاق آية الغار	السيد نبيل الحسني
١٤٠	دور الخطاب الديني في تغيير البنية الفكرية	السيد نبيل الحسني
١٤١	أنصار الحسين عليه السلام.. الثورة والثوار	السيد محمد علي الحلو
١٤٢	السنة المحمدية	عبدالرحمن العقيلي
١٤٣	قواعد حياتية على ضوء روايات أهل البيت عليهم السلام	الشيخ علي الفتلاوي
١٤٤	المـُثُل العليا في تراث أهل البيت عليهم السلام	د. محمدحسين الصغير
١٤٥	خاصف النعل	الشيخ ماجد العطية
١٤٦	الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام ورواياته الفقهية	عبد السادة الحداد

١٤٧	الإمام حسن العسكري عليه السلام ورواياته الفقهية	عبد السادة الحداد
١٤٨	أصول وقواعد تفسير الموضوعي	الشيخ مازن التميمي
١٤٩	بحوث لفظية قرآنية	عبد الرحمن العقيلي
١٥٠	مستدرك الكافي	د. علي عبد الزهرة الفحام
١٥١	الإفصاح عن المتواري من أحاديث المسانيد والسنن والصحاح - جزئين	الحاج محسن الخياط
١٥٢	آمنة بنت الحسين عليهما السلام	السيد محمد علي الحلو
١٥٣	أمهات الأئمة المعصومين - جزئين	د. السيد حسين الصافي
١٥٤	قراءة في السيرة الفاطمية	كفاح الحداد
١٥٥	الإيمان والعلم الحديث	محمد حسين الاديب
١٥٦	موسوعة آثار السيد المقرم	السيد عبد الرزاق المقرم
١٥٧	الأمن في القرآن والسنة	الشيخ خالد النعماني
١٥٨	شخصية المختار الثقفي عند المؤرخين القدامى	سالم لذيذ والي الغزي
١٥٩	الوعي الإسلامي	الشهيد السيد حسن الشيرازي
١٦٠	الشعائر الحسينية في العصرين الأموي والعباسي	محمد باقر موسى جعفر
١٦١	الأربعين وفلسفة المشي إلى الحسين عليه السلام	الشيخ حيدر الصمياني
١٦٢	يتيم عاشوراء من أنصار كربلاء	ميثاق عباس الحلي
١٦٣	التلقّي للصّحيفة السّجّاديّة	د. حيدر محمود الجديع
١٦٤	التقية عند مفكري المسلمين	كاظم حسن جاسم الفتلاوي
١٦٥	الجهود التفسيرية عند الإمام الحسين عليه السلام	عبد الحسين راشد معارج
١٦٦	آيات عتاب الأنبياء في القرآن الكريم	زين العابدين عبدعلي الكعبي
١٦٧	سعيد بن جبير - شيخ التابعين وإمام القراء	سلام محمد علي البياتي
١٦٨	حياة الامام علي الهادي عليه السلام - دراسة تاريخية	ثائر هادي العقيلي
١٦٩	تحولات المكان الحسيني في الشعر العراقي (١٩٩٠-٢٠١٠)	شذى عبدالكاظم الحلي
١٨٢	الاربعين عن الاربعين	ابي سعيد محمد بن احمد الخزاعي
١٨٣	مختصر اثبات الرجعة	الفضل بن شاذان النيسابوري
١٨٤	السحاب المطير في تفسير آية التطهير	المحقق القاضي نور الله التستري
١٨٥	الرد على الوهابية	محمد جواد البلاغي
١٨٦	مدارك الغرائب في مسالك العواقب ومشاهد العجائب في مناهج المناقب	المولى الحسن بن عبد الرحيم المراغي
١٨٧	أصحاب المهدي (عجل الله فرجه) صفاتهم و مقاماتهم	عرفان محمود
١٨٨	الإفادة بطرق حديث «النظر إلى علي عبادة»	جمال الدين عبدالعزيز المغربيّ
١٨٩	حب الوطن، قيمة أخلاقية عليا على ضوء أحاديث أمير المؤمنين عليه السلام	الشيخ علي الفتلاوي

١٩٠	خصوصية الوسيلة الحسينية في الهداية والسلوك الى الله	عرفان محمود
١٩١	دور أهل البيت عليهم السلام في تصحيح الفكر والعقيدة	الدكتور علي موسى الكعبي
١٩٢	شرح بعض فقرات دعاء كميل	الشيخ وسام البلداوي
١٩٣	صحبة الرسول صلى الله عليه وآله بين المنقول والمعقول	محمد علي النجفي
١٩٤	جغرافية كربلاء القديمة وبقاعها	الدكتور السيد عبد الجواد الكليدار آل طعمة
١٩٥	زبدة البيان في علوم ومناهج القرآن	الشيخ علاء المالكي
١٩٦	التربية عند أئمة أهل البيت (عليهم السلام) دراسة فلسفية	مها نادر عبد محسن الغرابي
١٩٧	تاريخ الفقه الامامي (من النشوء إلى القرن الثامن الهجري)	مرتضى جواد المدوّح
١٩٨	الثورات العلوية في مرويات المؤرخين المسلمين حتى نهاية العصر العباسي الأول - قراءة جديدة وإعادة تقويم	مريم رزوقي وليد
١٩٩	الإمام محمد الجواد عليه السلام وآراؤه في التفسير والرواية	كريم مجيد ياسين الكعبي
٢٠٠	خطب سيدات البيت النبوي (عليهنّ السلام) حتى نهاية القرن الأول الهجري	زينب عبد الله كاظم الموسوي
٢٠١	هاشم بن عبد مناف، دراسة في سيرته الشخصية	رياض رحيم حسين الصفراني
٢٠٢	الافتراءات على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم	رياض رحيم حسين الصفراني
٢٠٣	الحياة السّياسية والاجتماعية لفاطمة الزهراء عليها السلام	محمد اسماعيل
٢٠٤	غضب فاطمة عليها السلام غضب الله جل جلاله	الشيخ علي الفتلاوي
٢٠٥	فاطمة الزهراء عليها السلام ثمرة الجنة	الشيخ علي الفتلاوي
٢٠٦	فاطمة الزهراء عليها السلام في نظر أهل البيت عليهم السلام	الشيخ علي الفتلاوي
٢٠٧	فَاطمةُ عليها السلام وَسِيْلَةُ السّرُوْرِ وَكَشْفِ الهَمّ	الشيخ علي الفتلاوي
٢٠٨	قبسات فاطمية	الشيخ علي الفتلاوي
٢٠٩	بركة تسبيح فاطمة عليها السلام وآثاره	الشيخ علي الفتلاوي
٢١٠	الحسين راية الاحرار وكعبة الثوار	السيد شبيب الخرسان
٢١١	الحجاب بين الشريعة والواقع	خالد غانم الطائي
٢١٢	منهج الشيعة في فضائل وصي خاتم الشريعة	السيد عبد الله شرف شاه الحسيني
٢١٣	كربلاء والرحالة الذين زاروها	سعيد رشيد زميزم
٢١٤	الرِّوَايَةُ التَاريخيَّةُ في كِتابِ سُلَيْم بنِ قَيْسِ الهِلالِي (دِرَاسَةٌ تاريخيَّةٌ)	حسين محمد علي هداد العبودي
٢١٥	الروايات الموضوعة على شخصية النبي وأهل البيت - دراسة تحليلية	منى جمال كاظم الطفيلي